الكشوف الجغرافية البرتغالية والأسبانية
حول العالم
بين الإستعمار والإستغلال



تأليف
دكتور / السيد يوسف نصر
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر
كلية الآداب - جامعة أسيوط سابقاً

مركز الاسكندرية للكتاب
٤٦ ش الدكتور مصطفى مشرفة
الأزاريطة ت ٤٨٤٦٥٠٨





الكشـــوف الجغرافيـة
البرتغالية والأسبانيـة
بين الاستعمار والاستغلال

تأليف
دكتور : السيد يوسف نصر
استاذ التاريخ الحديث والمعاصر
كلية الاداب ـ جامعة اسيوط سابقا

الإسكندريـــة

٢٠٠٧

مركز الإسكندرية للكتاب
٤٦ شارع الدكتور مصطفى مشرفة ـ سوتير (سابقا)
تليفون وفاكس : ٤٨٤٦٥٠٨ ـ ٠٣ ـ الإسكندرية
a!exbookcenter@yahoo.com

الكشوف الجغرافية
البرتغالية والأسبانية

تأليف الدكتور/ السيد يوسف نصر

رقم الإيداع ٢٠٠٧/٨٧٠١

الترقيم الدولى I.S.B.N – 977-388-153-9

الناشر مركز الإسكندرية للكتاب

٤٦ ش د. مصطفى مشرفة – الأزاريطة

تليفون وفاكس : ٤٨٤٦٥٠٨



مقـــدمة

من المعروف أن بلاد الشرق هى من البلدان التى تحتـوى على سلع ذات أهمية كبيرة تتمثل فــى التوابــل بكــل أنواعهــا ، والحرير والذهب والفضة والقطن والأرز والعطـور والعقــاقير . وكانت هذه السلع تنتج في جنوب شرق آسيا أى فى الصين والهنـد وأندونيسيا وبقية الجزر الأخرى فى شرق آسيا ، ثم تنقل هذه السلع بحراً حتى تصل إلى رأس البحر الأحمــر أو إلـــى رأس الخلـيج الفارسى ، ومن تلك المنطقتين تنقل هذه السلع مرة أخرى بواسـطة القوافل إلى أوروبا عبر الطرق البرية حتى تصــل إلـــى شــواطئ البحر المتوسط . وهناك تكون السفن الإيطالية فى انتظارها ، ثـم تقوم تلك السفن بنقلها إلى مدن إيطاليا الشمالية .

ومن هناك تنقل بالطرق البرية إلى الأســواق الأوروبيــة . وكان العرب والإيطاليون يحققون أرباحا طائلة من جراء العمل فى هذه التجارة كوسطاء ، وقد أدى ذلك بالتالي إلى ازدياد سعر هــذه السلع الأسيوية بالنسبة للأوروبيين الغربيين. فكان هؤلاء الوسـطاء هم الذين يتحكمون فى سعر الشراء أو البيع . لهذا كانوا يستنزفون الذهب الأوروبى .[١]

لكن لما نهضت دول أوروبا علميا ، اهتمــت هــذه الــدول بالصناعة ، خاصة صناعة البارود والأســلحة ، وبنــاء الســفن ، إضافة إلى اهتمامها بفن الملاحة ، ورسم الخرائط وعلــم الفلــك ، وبإقامة المصانع التى غطى إنتاجهــا كــل احتياجــات المســتهلك الأوربى ، وأصبح لدى هذه الدول فائض فى تلك السلع الإنتاجيــة المختلفة، التى تمثلت فى صناعة النسيج والزجــاج والمصــنوعات الجلدية ، والمواد الغذائية المعلبة ، والسمك المجفف وغيرها . ومن

---

[١] Norman A Graebrer.Gilbert.C Fite and Philip. L. White: A history of the American People. U. S . A , 1975 , PP . 11-12 .

الجدير ذكره أن الإنسان فى أوروبا كان يتمتع بالحرية الشخصية ولا يزال، التى مكنته من تحقيق كل أهدافه العلمية والإنسانية .

بعد أن أصبحت دول أوروبا متقدمة إلى حد ما فى الصناعات الإستهلاكية المختلفة ، وفى مجالات العلوم العديدة ، وفى فنون الملاحة وفى امتلاكها للسفن وللقوات البحرية والبرية ، كان لزاما عليها البحث عن معرفة بلدان العالم القديم المجهول ، التى كانت لا تزال غير معروفة بالنسبة للأوروبيين . وكان من هذا العالم المجهول الأمريكتين وأواسط قارة إفريقيا وشرق وجنوب شرق آسيا ، وبعض جزر المحيط الهادى والأطلسى . ومن أجل هذا كله ترسخت فكرة الكشوف الجغرافية فى الأذهان الأوربية ، التى كان الهدف منها معرفة المناطق المجهولة . وكان من أهداف الكشوف الجغرافية :

١- الحصول من هذه المناطق المجهولة على المواد الخام غير المتوفرة فى البلدان الأوروبية واللازمة لمصانع أوربا ، والتى تتمثل فى القطن ، والأرز ، والكاكاو ، وجوز الهند ، والتوابل والمعادن الثمينة المختلفة .

٢- تحويل هذه المناطق إلى أسواق لتصريف المنتج الصناعى الأوربى الزائد عن حاجة السكان المحليين .

٣- البحث عن المعادن الثمينة الموجودة بوفرة فى تلك المناطق غير المعروفة ، التى عجز حكامها عن البحث عنها واستغلالها لصالح شعوبهم .

٤- تكوين الإمبراطوريات الشاسعة ، وبسط الهيمنة الإستعمارية الجديدة بواسطة حماية قوة عسكرية أوربية كبيرة ، تمكنها من تحقيق طموحات الشعوب الأوربية النشيطة ، الحرة غير المكبوتة وغير المستعبدة .

بعد أن انتهى الاوربيون بصفة عامة من مرحلة الكشف الجغرافى – التى غلفوها بثوب المعرفة الجغرافية ونشر المسيحية– بدأوا في استعمار هذه المناطق المكتشفة حديثا ، وفرضوا هيمنتهم عليها وإلى ما شاء الله .

وعندئذ يمكن تعريف الاستعمار بالقول : الاستعمار يقع من دولة قوية متقدمة ، متحضرة تمتلك من وسائل القوة ما يمكنها من فرض هيمنتها على دولة أخرى أو إقليم أو جزيرة فى محيط ، أو قارة مجهولة كالأمريكتين أو قارة متخلفة يسكنها شعب متخلف فقير مستعبد من قبل حكامه – الذين عجزوا عن استغلال موارد بلادهم– عندئذ تقوم هذه الدولة المتقدمة علميا وصناعيا وعسكريا باحتلال هذا الإقليم المكتشف حديثا باستخدام القوة العسكرية ، وبسط هيمنتها عليه ، واستغلال ثرواته إلى جانب استغلالها لأبنائه كعبيد .

بعد هذه المقدمة الموجزة ننتقل إلى الحديث عن الكشوف الجغرافية البرتغالية حول سواحل افريقيا ، التى وصل البرتغاليون إليها ، ومن بعدها وصلوا إلى الساحل الغربى للهند . ومن الجدير ذكره الإشارة ألى الدور الأسبانى فى هذا المجال الذى تركز على ما يعرف بالعالم الجديد (الأمريكتين) . وكان الهدف الأساسى لكل من البرتغاليين والأسبان ، الوصول إلى مصادر تجارة الشرق ، المتمثلة فى التوابل وفى غيرها من السلع المهمة . ومن المعروف أن طرق الوصول إلى تلك المناطق المراد كشفها التى توجد بها التوابل المتنوعة كانت تختلف من دولة إلى أخرى ، فإذا كان البرتغاليون قد اتجهوا نحو الشرق ، نجد أن الأسبان اتجهوا نحو الغرب ؛ أى اتخذوا طريقهم إلى الشرق عن طريق الغرب .

معوقات الكشوف البرتغالية :

تعتبر الكشوف الجغرافية بصفة عامة مظهراً من مظاهر عصر النهضة الأوربية التى بدأت فى القرن الخامس عشر الميلادى[١] والتى قامت على أسس أدبية وفنية وعلمية والتى نتج عنها نهضة صناعية فى البرتغال ، شملت بناء السفن ورسم الخرائط ، وصناعة البوصلة ، والإسطرلاب . وكان كل ذلك نتيجة من نتائج هذا العصر ، ولكن لماذا تأخرت حركة الكشوف الجغرافية فى البرتغال حتى مطلع القرن الخامس عشر الميلادى ؟ الإجابة على ذلك تكمن فى الآتى :

قلة المعلومات الجغرافية لدى البرتغاليين ، فكل ما كان متوفر لديهم فى ذلك الوقت ، لا يزيد عن كونه معلومات خاطئة فى معظمها ، إضافة إلى تخلفهم فى علم الفلك ورسم الخرائط وكذلك فى التخلف العلمى الذى ساد أوربا كلها فى العصور الوسطى ،التى إقتصر العلم فيها على ما يعرف بالفنون السبعة Seven Arts والتى تمثل النحو اللاتينى ، والفلك والحساب والبلاغة والمنطق ، والهندسة والموسيقى[٢] . ومن عوامل تأخر الكشف الجغرافى البرتغالى كذلك عدم امتلاك البرتغاليين لوسائل المواصلات البحرية المتطورة ، التى تمكنهم من الملاحة فى أعالى البحار ، ومنها أيضا الحياة فى مجتمعات مغلقة أى أنه لم يكن هناك أية اتصالات إنسانية The personal contact بين البرتغال وغيرها من دول شعوب العالم وبخاصة العالم الإسلامى [٣] ، فقد ترتب على ذلك عدم وجود أية معلومات جغرافية عن أفريقيا وآسيا باستثناء ما حصل عليه البرتغاليون من التجار الإيطاليين لما لهم من علاقات تجارية متميزة مع بلاد الشرق . ولكن لم يستمر هذا الوضع طويلا .

---

[١] د . سعيد عبد الفتاح عاشور : اوربا فى العصور الوسطى ، التاريخ السياسى ، جزء ١ ، القاهرة ، ١٩٨٣ م ، ص٥ .

[٢] د. سعيد عبد الفتاح عاشور ، اوربا العصور الوسطى ، النهضات والحضارات والنظم ، جزء ٢ ، القاهرة ، ١٩٨٠ ، ص ٣٣١ .

[٣] د . عبد العزيز الشناوى : اوربا فى مطلع العصور الحديثة جزء ١ ، الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٠ . ص ص ١٠٤ ـ ١٠٥ .

أسباب بدء البرتغاليين لكشوفهم الجغرافية :

– تطور الحياة الاقتصادية فى البرتغال من تجارة وصناعة وزراعة ، الأمر الذى أدى إلى زيادة الطلب على المعادن الثمينة خاصة معدنى الذهب والفضة ، بصفتهما وسيلتا التبادل التجارى الوحيدتان والمتعارف عليهما فى ذلك الوقت . ومن المعروف أن مصادر الذهب والفضة كانت قليلة فى العالم فى تلك الفترة ، ولم تكن تفى بحاجة التجارة الدولية ، لذا أصبح من الضرورى البحث عن مصادر أخرى جديدة لهذين المعدنين الثمينين .

– تطور صناعة بناء السفن فى البرتغال ، بحيث أصبحت هذه السفن على درجة من القوة والمتانة ، بما يكفل لها القدرة على مواجهة العواصف والأنواء ، بل التوغل في أماكن مجهولة من المحيطات ولمدد طويلة ، ولمسافات أبعد من الشواطئ .

– انتشار أفكار جديدة حول كروية الأرض خاصة بعد ظهور كتاب إيلى Elle الذى صدر عام ١٤١٥م . فبعد أن قرأه الناس اعتقدوا بوجود بحر واحد تقع على شاطئيه كل من أوروبا وأفريقيا وأسيا . وكانت هذه الأفكار هى بداية الإنطلاق للمغامرات التى تمت فى تلك الفترة [١] .

– سيطرة العثمانيين على الشرقين الأدنى والأوسط ، وتحكمهم فى الطرق الرئيسية التى تمر منها السلع التجارية الشرقية إلى اوروبا ، وهذه السلع هى التوابل والعنبر وماء الورد والعقاقير الهندية والصمغ والأقمشة الحريرية والسجاجيد ، والأحجار الكريمة والعاج ، التى كانت تعرض جميعها فى البندقية لبيعها للتجار الألمان ، والإنجليز وغيرهم . [٢]

---

[١] د . عبد العزيز الشناوى : نفس المصدر ، ص ص ١٠٥ - ١٠٧ .

[٢] George Fadlo Hourani : Arab Sea Faring in the Indian Ocean in ancient and early Medieval times, New York, 1975, P. 51 .

- محاولة البرتغال ومعها بعض الدول الأوربية التخلص من الرسوم الجمركية الفادحة ، التى كانت تفرضها سلطات المماليك فى مصر والشام ، عند عبور تلك السلع التجارية لأراضيها ومنها إلى ايطاليا .

- ضرب أوربا للإحتكار ،الذى كان يمارس من جانب كل من جمهوريتى البندقية وجنوة الإيطاليتين لتجارة الشرق .

- رغبة بعض التجار من رعايا دول أوربا من غير الإيطاليين فى النزول إلى ميدان التجارة الشرقية ، والحصول لأنفسهم على جزء من أرباح تلك التجارة .

- البحث عن المعادن الثمينة كالذهب والفضة خاصة بعد أن أشيع عن وجودهما فى ساحل غرب أفريقيا . ومن الجدير ذكره أن قوة الدولة فى هذه الفترة كانت تقاس بقدر ما تمتلكه من هذين المعدنين ، ولا تقاس بكبر المساحة أو كثرة عدد سكانها .

- زيادة المعلومات الجغرافية نتيجة لرحلة ماركو بولو Marco Polo إلى أواسط آسيا الذى عاش فى الفترة ما بين ١٢٥٠ – ١٣٢٣ م [١] .

وللإستزادة يمكن قراءة هذا النص الخاص بماركوبولو :

" Marco Polo 1250- 1323, the most noted of these travels,taken into the service of kubliakhan the Tartar Emperor of China. For about twenty years he served his royal master , exploring not only China but also parts of central and South Eastren Asia .

Shortly after his return to Vince , Marco Polo wrote an account of his travels .His book tells the vast wealth of Eastern Lands and also a great Ocean which Washes the Eastren –Shores of India and China . Thus there grew up among the trading Peoples of Europe the desire to see for themselves the wonders of the East [٢] .

---

[١] فيج دى جى : تاريخ غرب أفريقيا ، ترجمة د . السيد يوسف نصر ، انظر ف ١ .

[2] George Guest : The Marsh of Civilization . London , 1977 . p . 102

يتضح من هذا النص أن ماركو بولو زار الصين ووقف على أحوال هذه البلاد ، وكتب عنها تقريرا أوضح فيه مدى ما تتمتع به هذه البلاد من ثروات كانت أوربا فى مسيس الحاجة إليها. وفضلا عن ذلك فإن هذا التقرير جعل البرتغاليين يرغبون فى زيارة تلك البلاد بأنفسهم ؛ لأنهم لم يكونوا على علم بها كما أنهم كانوا يرغبون في مشاهدة مظاهر الحياة فى آسيا .

- ومن العوامل التى شجعت البرتغاليين على القيام بحركة الكشف الجغرافى هذه ، العامل الإستراتيجى الذى يكمن فى جزيرة أو فى مضيق أو فى ممر مائى ، أو فى دولة أو منطقة . وندلل على ذلك بموقع مصر المتميز الذى جعلها عرضة للغزاة عبر التاريخ ، ونشير هنا إلى ما ذكره جلوب باشا :

"To the British governor , sir Hudson Lowe,he said,that'Egypt was the most important country in the world [1] .

ويعنى ذلك أنه ينسب إلى حاكم إنجليزى - يدعى السير هدسون لوى قوله : " إن مصر من أعظم وأهم بلدان العالم " .

- ومن العوامل أيضا محاولة البرتغال التخلص من أعداد السكان الزائدة ، وذلك عن طريق تهجيرهم إلى تلك المناطق المكتشفة حديثا ، فتتخلص بذلك من البطالة التى أصبحت عبئا ثقيلا تعانى منه تلك الدولة الصغيرة .

- ومن العوامل أيضا التقدم العلمى فى البرتغال فى ذلك الوقت الذى يعود إلى النهضة العلمية التى شملت كل أوروبا خاصة فى أعقاب انهيار النظام التعليمى الكنسى ، بما اعتراه من تخلف ، بحيث لم يعد هذا النظام التعليمى الكنسى قادرا على مسايرة متطلبات العصر [٢] .

---

[١] John Glubb Pasha: The Middle East Cricis . Great Britain . 1969 . p . 30 .

[٢] د . عبد العزيز الشناوى ، مصدر سابق ، ص ص ٥-٦ .

بعد هذا العرض يمكن القول بأن البرتغال لم تكن من أسبق بعض الدول الأخرى فى مجال الكشوف الجغرافية ، بل كانت هناك كشوف جغرافية وقعت فى الأزمنة الغابرة ، وإن كنا لم نلمس نحن نتائجها ، إلا أن كتب التاريخ احتفظت فى صفحاتها بتلك الكشوف وبنتائجها .

الاستكشافات السابقة على الكشوف البرتغالية فى العصر القديم :

من المعروف أن الفينيقيين سبقوا البرتغاليين والأسبان وباقى الدول فى مجال الكشوف الجغرافية . فقد أشار المؤرخ الإغريقى هيرودت Herodotus بالقول بأن الفينيقيين قاموا برحلة كشفية تجارية حول ساحل أفريقيا الشمالية عام ٦٠٠ ق . م . وكان هدف هؤلاء التجار الفينيقيين البحث عن المعادن الثمينة ، علاوة على قيامهم بتأسيس مراكز تجارية Post trade على طول السواحل الغربية لأسبانيا وفرنسا ، وأسسوا أيضا نفس تلك المراكز فى الطرف الجنوبى لإنجلترا حيث أقاموا علاقات تجارية معها ، شملت بصفة خاصة تجارة القصدير والذهب [١] . إلى جانب الفينيقيين كان يوجد هناك الإغريق ، فقد قام أحد مغامريهم ، ويدعى بثيوس الإغريقى ، Pytheus a Greek عام ٥٠٠ ق . م.، على رأس بعثة كشفية من مرسيليا متتبعا الساحل الجنوبى لفرنسا حتى وصل إلى منطقتى أوركنيس Orkneys والأيس لاند Ice Land وهما منطقتان أسكتلنديتان ساحليتان تقعان فى شمال المحيط الأطلسى [٢] . وتتميز الأيس لاند بأنها جزيرة متناثرة السكان . وفى تلك الأثناء لاحظ بثيوس حركة المد والجزر التى كانت لافتة للنظر فى المحيط الأطلسى ، أكثر منها فى البحر المتوسط . ففى تلك المنطقة شاهد بثيوس أيضا الضباب الكثيف الذى يخيم عليها ، والذى كان يعيق تحركه .

وفى نفس تلك الفترة ، أبحر المغامر الإغريقى أيوثيمنس Euthymenes ، من أثينا ومر من خلال أعمدة هرقل The pillars of

---

(١) Stella Davies: Exploring the world .London, 1968, p. 60 .

(٢) The New Oxford Encyclopedic Dictionary, Bay books.In association with Oxford Uni. Press , part2 pp . 832 , 1188 .

Hercules مضيق جبل طارق – ثم توجه من بعدها نحو الجنــوب ، وطبقا لما ذكره بلنى Pliny – المؤرخ الرومانى – فإن أيــوثيمنس ، قد وصل إلى ما يعرف فى الوقت الحاضر بالسنغال .

لم تقتصر الجهود الكشفية فى التاريخ القديم على كــل مــن الفينيقيين والإغريق بل ظهر على المسرح القرطاجيين، الذين كانوا أمة بحرية تجارية منافسة للرومان . ففى عام ٤٤٣ ق. م أرســل القرطاجيون ستين سفينة كان على متنها عدد من البحارة ، الــذين قاموا بتأسيس ثلاث مدن ساحلية ، كانت إحداها تعرف بالموجادور Mogador ، التى تقع فى منطقة سيراليون Siralean . وفى أعقــابهم جاء النورمانديون ، الــذين قــاموا بطــردهم ، وبــذلك انهــارت الإمبراطورية القرطاجية البحرية The Carthagean Sea Empire حيث دمرت مدنها الإفريقية وتلاشت من الذاكرة . وبذلك انتهت المعرفة الدقيقة بالطرق التجارية إلى الضياع ، التى كان الناس يحــافظون عليها فى ذلك الوقت ، حتى أن البحارة لم يعودوا يبحــرون مــن خلال أعمدة هرقل ، لأن الرومان كانوا قد أسسوا طريقا آخرا بدلا منها ، يمر عبر فرنسا ، ويصل إلى القنال الإنجليزى . ومن بعــد ذلك يصل إلى بريطانيا المستعمرة الرومانية. وفى تلك الفترة كانت الممتلكات الرومانية فى أفريقيا تمثل المنطقة الساحلية الشمالية مــن القارة فقط (١) .

إضافة إلى ما سبق تشير المصادر التاريخية إلى أن مغامرا إنجليزيا أسكتلنديا – يدعى ماتشام Macham كان قــد أبحــر مــن انجلترا إلى أسبانيا ، ومعه سيدة وصفت بأنها كانــت محبوبتــه ، ويقال إنها هربت معه خوفا من انتقام أهلها . ويقال أيضا أن سفينة " ماتشام " قد خرجت عن مسارها بسبب هبوب عاصــفة رعديــة أبعدتها عن مسارها فجنحت فى جنوب خليج بسكا The Bay of Bisca الذى هو جزء من المحيط الأطلنطى الشمالى ، ويقع بين الســاحل الشمالى لأسبانيا والساحل الجنوبى لفرنسا ، ويشــتهر بالعواصــف

---

(١) Stell. [illegible]es Op. cit., pp 60 61.

الرعدية .[١] وفى تلك الأثناء أصيبت السيدة البريطانية بدوار البحر، وأصبحت غير قادرة على تناول الطعام ، لذلك ذهب ماتشام وبصحبته هذه المرأة إلى شاطئ جزيرة - تقع فى مواجهة ساحل الماديرا - ومكثا بها مدة من الوقت لكى تسترد تلك المرأة صحتها . ومع ذلك أصيبت هذه المرأة بالهزال والنحافة ، بسبب ما اعتراها من فكر .

عندئذ قرر ماتشام وبعض أفراد بعثته اتخاذ هذه الجزيرة موطنا لهم . أما البقية من أفراد تلك البعثة ، فقد اتجهت إلى بريطانيا ، ولم يسمع عنهم أى شئ . وبعد فترة من الوقت ماتت هذه السيدة ، وبنى ماتشام لها كنيسة صغيرة فى الجزيرة لتدفن فيها، ونقش على جدار تلك الكنيسة إسميهما وقصتيهما ، عندئذ لم يعد ماتشام قادرا على البقاء فى هذه الجزيرة خاصة بعد وفاة زوجته فصنع بمساعدة بحارته قاربا من جذع شجرة ، وبواسطته اتخذوا طريقهم إلى ساحل أفريقيا ، الذى كان يبعد عن الجزيرة حوالى ٤٠٠ ميل . وفى تلك الفترة كان هذا الجزء من أفريقيا مسكون بالمورز Moors ، وهو الإسم الذى يستخدم بشكل غير دقيق للتعريف بالمسلمين . وهناك أوصل المغاربة ماتشام وبحارته إلى ملك المورز ، الذى تأثر بشجاعتهم ، واهتم بهم وأرسلهم بالتالى مع حاجبه (الياور فى العصر الحديث) إلى أسبانيا ، ومنها إلى بريطانيا [٢] . هذا عن كل الجهود التى بذلت فى مجال الكشوف الجغرافية قبل قيام البرتغاليين بحركتهم الكشفية واسعة النطاق . وهذا ما سوف نتحدث عنه بشئ من التفصيل عن كل الجهود الكشفية البرتغالية التى بدأت من البرتغال مرورا بسواحل أفريقيا، ثم وصولا إلى الهند .

من المعروف أن البرتغال دولة صغيرة تقع فى الجنوب الغربى من القارة الأوربية ، ويحدها من الشرق أسبانيا ومن الغرب المحيط الأطلسى ، وشمال مضيق جبل طارق . وتضم البرتغال

---

(١) The New Oxford Encyclopedic dictionary. Op. cit . Uni . press. Part 1. P . 148.
(٢) Stella Davies : op .cit . pp. 60-62 .

كلا من جزر الماديرا والأزورس [١] . وقد نشأت هذه الدولة من اتحاد كونتية أبورتو مع الكونتيات المجاورة لها عام ١٠٥٩ م . عندئذ تكونت دولة البرتغال من هذا الاتحاد . وكان من أشهر حكام كونتية أبورتو، الفونسو الأول ، الذى عاش فى الفترة ما بين ١١١٢ وحتى ١١٨٥ ، والذى تولى حكم البرتغال عام ١١٣٩ م. وفى عام ١١٤٧ م ساهم هذا الملك وبمساعدة أسطول صليبى – كان على متنه جماعة من الإنجليز الفلمنكيين والألمان – فى طرد المسلمين من لشبونة ، التى أصبحت منذ ذلك الحين عاصمة لدولة البرتغال . وقد خاضت البرتغال صراعاً طويلاً ضد مملكة قشتالة . وكثيرا ما كان هذا الصراع ينتهى بالصلح . وفى عهد الملك الفونسو الثالث – الذى حكم فى الفترة ما بين ١٢٤٨ م ، ١٢٧٩م– تمكنت البرتغال من بناء المدن الصغيرة والكبيرة ، وشجعت التجارة والصناعة والزراعة والصيد ، ومن الجدير ذكره أن الصراع بين مملكة قشتالة ومملكة البرتغال لم يتوقف طوال هذه الفترة ، ومع ذلك تمكن البرتغاليون من المحافظة على بلادهم ، وذلك بفضل جهود الملك جون الأول ملك البرتغال – الذى عاش فى الفترة ما بين ١٣٨٣ م ، وحتى عام ١٤٣٠ م – والذى أنجب الأمير هنرى الملاح الذى كان له أكبر الأثر والفاعلية فى حركة الكشف الجغرافى البرتغالى على امتداد ساحل أفريقيا الغربى ، وحتى السنغال [٢] .

---

(١) Jonahan L. Goldman and Andrew N. Sparks : Webster. s New world . student.s Dictionary. Macmillan . U. S. A . New York. 1992 . p. 686 .

(٢) The Medieval and Renaissance World . London .1979 . p. 307 .

الفصل الأول

الكشوف الجغرافية البرتغالية في مطلع التاريخ الحديث

الفصل الأول

الكشوف الجغرافية البرتغالية فى مطلع التاريخ الحديث

فى عهد الملك جون الأول بدأت البرتغال حركة الكشوف الجغرافية لسواحل غرب افريقيا،وسرعان ما عادت هذه الحركة الكشفية على البرتغاليين بثروة طائلة وشهرة واسعة[١]ولكن لنا أن نتساءل بالقول، لماذا اهتمت البرتغال بهذا الدور الكشفى دون غيرها من دول أوربا فى ذلك الوقت؟ الإجابة على ذلك تكمن فى أن البرتغال كانت قد تمتعت بالأمن والاستقرار ، وبتحرر الإنسان فيها من القيود التى كان من الممكن أن تشل وتعطل تفكيره ونشاطه فى تلك الفترة .

ففى مطلع عصر النهضة حدث انتعاش ذهنى شامل ما لبث أن ظهرت أثاره واضحة فى القرن السادس عشر الميلادى ، ففى هذا ألقرن ظهرت الدولة الحديثة وقامت حركة الإصلاح الدينى فى أوروبا ، التى حررت عقل الإنسان من الشلل ، بل فكت قيوده . وقد نتج عن هاتين الحادثتين العظيمتين حروب طاحنة ، كان الهدف منها توسع هذه الدولة الحديثة على حساب غيرها داخل القارة الأوربية،وعرفت هذه الحروب باسم الحروب الإيطالية . ويرجع سبب هذا الصراع أيضا إلى رغبة هذه الدولة الحديثة فى التوسع خارج أوربا ، وذلك عن طريق القيام بحركة الكشوف الجغرافية. وكانت هذه الدولة الحديثة ، قد انشغلت أيضا فى النصف الثانى من القرن السادس عشر ، بصراع دينى عنيف ترتب عليه أولا ، إنتشار حركة الإصلاح الدينى فى أوربا ، وثانيها إنتعاش الكنيسة الكاثوليكية من جهة أخرى . وحاولت هذه الدولة الحديثة أيضا القضاء على أى انقسام دينى،خوفا من أن ينبثق عنه إنقسام سياسى[٢].

---

[١] د. عبد الفتاح سعيد عاشور : أوروبا العصور الوسطى ، التاريخ السياسى جزء ١ ، الانجلو المصرية القاهرة ١٩٨٣ ، مصدر سابق ، ص ص ٥٤٧-٥٤٨ .

[٢] د . محمد فؤاد شكرى : محاضرات فى تاريخ اوروبا الحديث ، من عصر النهضة وحتى الثورة الفرنسية ، ص ٥ .

ورغم كل هذه الأحداث التى سادت أوربا قاطبة إلا أن البرتغال ظلت فى منأى عن كل هذه الأحداث الأوربية فدفعها ذلك للقيام بحركة الكشف الجغرافى التاريخية،التى نقلت العالم إلى مرحلة جديدة،كان فى مسيس الحاجة إليها.بعد ذلك،ولمدة قرن من الزمن،قام البرتغاليون بحركة الكشوف الجغرافية على طول السواحل الإفريقية الغربيةو الشرقية خاصة بعد طرد المسلمين من شبه جزيرة أيبريا– أسبانياو البرتغال فىالوقت الحالى–الذين تعقبهم البرتغاليون حتى الشمال الغربى من أفريقيا [١] .

جهود الأمير هنرى الملاح Henry the navigator :

كان هنرى المعروف بالملاح الإبن الأصغر لملك البرتغال . وكان يأمل فى إيجاد طريق يصل إلى الشرق ، وذلك بالدوران حول أفريقيا وصولاً إلى الهند والصين عن طريق البحر، لكى يتمكن البرتغاليون من المشاركة فى التجارة الشرقية الثرية التى تمتعت بها كل من فينيسيا وجنوة،وبعبارة المصدر :

"Prince Henry,who is Known in history as the navigator,was younger son of the King of Portugal.He hoped to find a way around Africa to India and China by sea " so that Portugal might gain a shore of the rich eastern trade that Venice and Genoa enjoyed . [٢]

كان الهدف من قيام دولة البرتغال بهذا الدور الكشفى هو البحث عن طريق جديد، كى يصل إلى أماكن تجارة الشرق . وكان الأمير هنرى المعروف فى التاريخ بهنرى الملاح هو الإبن الأصغرلملك البرتغال جون الأول،الذى أمل فى إيجاد طريق بحرى يمر من حول أفريقيا ليصل البرتغاليون من خلاله إلى الهند والصين .

وبهذا العمل سيشارك البرتغاليون فى التجارة الشرقية الغنية التى كان يهيمن عليها الفينيقيون والجنويون [٣] . وعندما وصل

---

[١] Eugene C . Baker and Others : The building of our nation . New York . 1948 . pp. 15,17 .

[٢] Eugene C. Baker : Ibid. 16-17 .

[٣] Ibid . pp. 15 ,17 .

الأمير هنرى الملاح إلى شمال أفريقيا ، احتل البرتغـاليون سـبتة ومليلة الواقعتين على الساحل الشمالى الغربى من مراكش . وفـى نفس الوقت ، كان هناك اتجاه من جانب هنرى الملاح يتمثـل فـى الوصول إلى مملكة الحبشة ، وبذلك يقطع الطريق أمـام وصـول المسلمين إلى جنوب الصحراء الكبرى ، ولكن هذا المشروع لم يتم لعدة أسباب منها :

- عدم توفر وسـائل المواصـلات البريـة التـى تمكـن البرتغاليين من اختراق الصحراء الكبرى ، فكما هو معروف تعتبر الصحراء الكبرى من أكبر صحارى العـالم إتسـاعا The greatest desert all over the world . فهذه الصحراء تتميز بمناخهـا القـارى الشديد الحرارة ، وبدروبها المجهولة الوعرة .

- قلة المعرفة الجغرافية لدى البرتغاليين عـن الصـحراء الكبرى فى تلك الفترة ، فكيف يعبرونها وهـم لا يعرفـون عنهـا شيئا؟!

- عداء قبائل الطوارق الذين كـانوا يسـكنون الصـحراء الكبرى والذين كانوا سيرفضون السماح للبرتغاليين بـالمرور مـن خلال بلادهم . لهذا توقف مشروع هنرى الملاح ، فاتجه بـه بعـد ذلك نحو سواحل غرب أفريقيا؛ ويقال أن السبب وراء ذلـك هـو حرمان سكان الشمال الإفريقى من الإتجار مع سكان منطقة غـرب إفريقيا ، ولكنه فشل فى ذلك أيضا بسبب علاقـة التـرابط القويـة والمودة التى تربط بين السكان العرب فى شمال القارة والزنوج فى غربها . لهذا وجه الأمير هنرى الملاح جهوده صوب الهند مصدر التوابل المطلوبة للبرتغال، إضافة إلى زيادة مساحة الإمبراطوريـة البرتغالية ، وكذلك زيادة تجارتها [1] .

وهنا نشير إلى الخطوات التى اتخذها الأمير هنرى المـلاح صاحب أكبر مشروع كشفى عرفته أوروبا فى ذلك الوقت . فعندما أوكل إليه والده جون الأول تنفيذ هذا المشـروع الكشـفى ، اتخـذ هنرى الملاح عدة خطوات كان منها :

---

[1] Baker B. J. N. L : A history of Geographical discovery and explorations. New York, 1967 . p. 63 .

- تأسيس مدرسة للبحارة فـي مدينـة سـاجرس Sagres ، الواقعة فى الطرف الجنوبى الغربى لدولة البرتغال لتضم المدرسين ورسامى الخرائط والفلكيين بحيث يقومون بتعليم الدارسين فن الملاحة وقيادة السفن .[١]

- حصوله على مجموعة من الخرائط والمراجع التى كان من الممكن الإستفادة منها فى إنجاح مشروعه الكشفى (من أراشيف بعض الدول) .

- حصوله على بعض المعلومات من كل ربان سفينة عائد من رحلة بحرية .

- إعداده لعدد من السفن الكبيرة الحجم ، التى تتناسب مع هذه المهمة . وبعد إنجاز كل هذه المهام بدأت الرحلات البرتغالية الكشفية فى الإنطلاق مع الساحل الغربى لإفريقيا .

قبل هذا الوقت لم تكن هناك أية مغامرة على طول الساحل الإفريقى ، فيما وراء الصحراء القاحلة ، لأن الساحل الإفريقى الغربى كان محروما من الموانئ ، ولأن البحارة كانوا مثبطين الهمة ، بسبب الإعتقاد السائد فى هذا الوقت ، بأن منطقة غرب أفريقيا كانت مرعبة وخالية من السكان .... وبعبارة المصدر :

"Before this time no one had ventured along the coast of Africa beyond the desert region of Sahara. The country was forbiden , there were no ports , and sailors were discouraged by the general belief that the torrid region was uninhabitable ." [٢]

كشف البرتغال لساحل غرب إفريقيا :

عندما اكتملت استعدادات البرتغاليين بدأوا فى تسيير حملاتهم الكشفية بمحاذاة الساحل الغربى لأفريقيا ، ففى عام ١٤١٨، أرسل البرتغاليون أيضا بعثة كشفية إكتشفت جزر الماديرا والكنارى . وفى عام ١٤٣٩ م ، أرسلت بعثة برتغالية أخرى نجحت فى كشف جزر الأزورس . وفى عام ١٤٤١ م ، أرسل

---

[١] George Shattel : Decision in United states history . Lexington . 1975 . p . 13 .

[٢] James Henry and others : History of Europe. Ancient and Medieval. New York. 1929. pp. 444. 446.

البرتغاليون أيضا بعثة كشفية تمكنت من الدوران حول رأس البلانكو ، وتمكنت هذه البعثة من كشف جزيرة أرجوين . (١)

وفى عام ١٤٤٥ م ، أرسل البرتغاليون بعثة كشفية نجحت فى استكشاف رأس الفيرد Verde Cape ، ومصب نهر السنغال . وفى عام ١٤٦٠ م مات هنرى الملاح راعى حركة الكشوف الجغرافية ، ولكن حملات البرتغال لم تتوقف بعد موته . وكان هنرى الملاح قد ترك لبلاده أسطولا بحريا يعمل عليه بحارة مدربون متحفزون لقهر البحار والمحيطات ، ومكن هذا الأسطول خلفاء هنرى الملاح من مواصلة تلك المهمة التاريخية ، فبعد وفاة هنرى بسنتين أى فى عام ١٤٦٢ م ، وصل البرتغاليون إلى نقطة أختيرت لكى تكون الميناء الخاص بهم .(٢) وفى عام ١٤٦٢ م ، أرسل البرتغاليون بعثة كشفية أخرى وصلت إلى خليج غينيا ، وبعد ذلك ، وصلت البعثة إلى غانا ، وهناك حصل أعضاء هذه البعثة على بعض المعادن الثمينة مثل الذهب، كما حصلوا على عدد من الأفارقة الذين أركبوهم على متن السفن البرتغالية لبيعهم فى أوروبا، وقد حقق البرتغاليون أرباحا طائلة من جراء تجارتهم فى الرق ، مما أغرى بعض المغامرين البريطانيين من أمثال جون هوكنز John Hokins ، وفرانسيس دريك Francis Drake من ممارسة تلك التجارة ، (٣) وكان البرتغاليون قد أنشأوا بعض المحطات التجارية على طول سواحل أفريقيا الغربية لبيع سلعهم فيها والحصول منها على السلع الأفريقية .

ذكرنا أن رحلات البرتغاليين لم تتوقف بعد موت هنرى الملاح ، ففى عام ١٤٨٤ م ، إكتشف ديجو كام Diego Cam مصب نهر الكنغو ، وهناك نزل البرتغاليون إلى أرض الكنغو بحجة نشر

---

(١) د . أحمد شلبى : موسوعة التاريخ الإسلامى ، الحضارة الإسلامية ، جـ ٦ ، القاهرة ١٩٨٣ م ، ص ٤١٨ .

(٢) Baker B: Ahistory of Geographical discovery and exploration, New York, 1967, p. 65.

(٣) Look at the book of the British seamen in the sixteenth century .

الدين المسيحى ، وكان هذا فى الواقع غير حقيقى ، فقاموا بالتجول فى هذه البلاد لمعرفة أماكن مناجم الذهب والفضة ، فكثيرا ما كانوا يسألون الناس عن الأماكن التى حصل الوطنيون منها على الحلى ، ولما تبين لملك الكنغو نواياهم الخبيثة قام بطردهم من بـــلاده .[١]
وبعد أن إطلع ملك البرتغال على تقارير ديجو كام التى تشير إلـــى مملكة يملكها ملك يدعى أوجانى Ogane، الذى تقع ممكلتـــه علـــى مسافة بعيدة جدا من الساحل ، أرسل بعثتـــين كشـــفيتين ، تـــذهب إحداهما إلى مملكة الملك الكاهن – فيما يبدو ملـــك الحبشـــة – لأن الحبشة هى الدولة الوحيدة المسيحية فى أفريقيا فى ذلـــك الوقـــت . وبعد وصول هذه البعثة إلى الحبشة إتجهت إلى الهند ، وفى عـــام ١٤٨٧ م ، غادرت البعثة الأخرى البرتغال إلى مصـــر ، وكانـــت تحت قيادة كوفيلهام، ومن مصر وصلت إلى الهنـــد عـــن طريـــق البحر. وفى عام ١٤٨٨ م ، أيضا أرسلت بعثة أخرى ، خرجت من برشلونة ، وكانت تحت قيادة بارثلميو دياز ، ومرت هذه البعثة في طريقها إلي الكنغو ، حيث النقطة التى توقف عندها ديجـــو كـــام ، وهى نقطة بداية كشف بارثلميو دياز ، الذى استمر في مسيرته حتى وصل إلـــى رأس العـــذاب The torment cape أو رأس العواصـــف the stormy cape . وفى عام ١٤٨٨ م ، وبعد مصـــاعب ومخـــاطر جمة تمكن بارثلميو دياز من الدوران حول رأس العواصف ، وسار مع ساحل شرق أفريقيا ، ولكنه واجه عدة مصاعب كان من أهمها: تمرد أطقم السفن ورفضهم مواصلة المسير أكثر من تلك المســـافة بسبب صعوبة الإبحار ونقص المواد الغذائية التـــى قاربـــت علـــى النفاد.وشدة العواصف التى تهب من الشرق ، والتى استمرت عـــدة أسابيع بحيث جعلت السفن تتأرجح أثناء سيرها مما جعل البحـــارة فى حالة من الفزع والخوف .[٢]

إنتشار مرض الأسقربوط الناجم عن سوء التغذية الذى لـــم يكن معروفا جيدا للبحارة في تلك الفترة من الـــزمن . فقـــد ظهـــر

---

[١] لا فينا دابلر ووليام برون : الحكام العظام فى افريقيا فى الماضى : ترجمة د . السيد يوسف نصر ، الانجلو المصرية ، ١٩٩٠ ، ص ص ٥٣ -٦٦ .

[٢] Baker B. : op. Cit. pp. 65-66 .

المرض بسبب النقص فى الفيتامينات التى كان من الممكن الحصول عليها من الفاكهة الطازجة والخضر ، حتى لو فرض وعرف سبب هذا المرض ، فإنه من الصعب أيضا الحصول على الفاكهة والخضر اللازمتين والكافيتين لرحلات بحرية طويلة كهذه ، وفى ظروف إبحار فى القرن الخامس عشر . وكان من مخاطر هذا المرض أنه يحدث خراجات (دمامل) فى الفم واللثة Gums ، ونتج عن ذلك خلخلة فى الأسنان ، بل ألم شديد بحيث تصبح الأسنان مؤلمة عند تناول الطعام ، خاصة عندما يتناول البحارة الأطعمة التى يحملونها معهم ، والتى تتكون من بسكويت صلب ولحم بقرى مملح وجاف ، إذن فلابد وأن يصاب الأفراد بالألم . وفي الواقع ، فإن هذه الأطعمة هى التى كانت على متن السفن ، ولا يوجد سواها. وكان من نتيجة هذا المرض إنتشار الكسل والخمول بين أفراد البعثة . فكان أى مجهود يوكل إليهم يصبح عبئا ثقيلا ، مما دفع بارثلميو دياز إلى استخدام القسوة مع أفراد الأطقم، فكان يعلق البعض منهم فى عوارض أشرعة السفن كعقاب لهم ، وكان يقوم أيضا بجلد البعض الآخر . وفى ظل ظروف كهذه إستعصى على بارثليميو دياز مواصلة السفر، وأضطره ذلك إلى العودة إلى البرتغال فى شهر ديسمبر عام ١٤٨٨ م بعد أن طاف حول سواحل أفريقيا مسافة قدرت بـ١٢٦٠ ميل ، دون أن يحقق الهدف المنشود فى الوصول إلى الهند مصدر التوابل فى العالم [١].

الإعداد لحملة فاسكو دي جاما :

بعد فشل رحلة بارثليميو دياز ، وقبل إرسال بعثة فاسكو دي جاما، قررت حكومة البرتغال الحصول على المعلومات اللازمة لأى بعثة ترسل إلى بلاد الشرق . ومن أجل تحقيق هذا الهدف أرسلت حكومة البرتغال فى عام ١٤٨٨ م ، مجموعة من اليهود ، الذين كانوا يعيشون فى البرتغال فى رحلة استطلاعية إلى مصر . وكان أفراد هذه البعثة متخفين في زى برتغالى . وأما عن اختيار ملك البرتغال لليهود للقيام بهذه المهمة ، فلأنهم كانوا ملمين باللغة

Baker Ibid pp . 65 -66 .

العربية ، ويمكنهم التعامل بسهولة مع الشرقيين بعامة والعرب بخاصة . وكان على رأس تلك المجموعة الفونسو دى بيفا Alfonso de paiva ، وبيرو دى كوفيلهام Pero de Covilham. وعندما وصلت هذه المجموعة إلى مصر ، استقلت سفينة عربية من ميناء السويس إلى عدن ، ومنها بطريق المحيط الهندى إلى الهند . وهناك تمكن هؤلاء اليهود من الوقوف على أحوال تلك البلاد وجمعوا الكثير من المعلومات المفيدة عن كافة النواحى ، ثم عادت تلك البعثة إلى مصر . وفى أثناء وجودها فى مصر تقابلت مع مجموعة أخرى من اليهود ، كانت قد قدمت من البرتغال أيضا لنفس الغرض . وكان من ضمن أفراد تلك المجموعة الثانية إبراهام دى بيا Ibraham de pia ويوسف لاميجو Youssef Lamigo . وكان من أهداف تلك المجموعة والمجموعة السابقة عليها ، جمع المعلومات اللازمة للبرتغاليين . وانضمت المجموعتان فى مجموعة واحدة وسافر الجميع مرة أخرى من السويس إلى زيلع- الواقعة على ساحل البحر الأحمر الغربى - ومنها إلى الحبشة ثم إلى هرمز ، ثم عادت هذه البعثةبعد ذلك إلى مصر ، ومنها إلى البرتغال .

ومما لاشك فيه أن هاتين المجموعتين الإستطلاعيتين حصلتا على الكثير من المعلومات المفيدة التى يمكن الإعتماد عليها فى إرسال أى بعثة كشفية برتغالية . وقد تمكنت هاتان المجموعتان من الحصول على خرائط عربية خاصة بالمحيط الهندى ، وحصلتا أيضا على معلومات تفصيلية عن التيارات البحرية والرياح الموسمية ، فضلا عن البيانات الخاصة بتجارة التوابل الشرقية ، من حيث حجمها ونوعيتها . وقدمت تلك المجموعة هذه المعلومات إلى حكومة البرتغال فى لشبونة للإستفادة منها . وبعد حصول حكومة البرتغال على تلك المعلومات ، قررت إرسال حملة كشفية أخرى بقيادة فاسكو دي جاما . (١)

(١) Stella Davies: Exploring the world . London . 1968. pp. 58 , 60-66 .

بدأت حكومة البرتغال فى الإعداد لإرسال حملة كشفية أو بعثة أخرى إلى الهند على الرغم من فشل حملة بارثليميو دياز فى الوصول إلى تلك المنطقة . ففى عام ١٤٩٥ م ، قررت البرتغال إعداد أربع سفن ، أشرف على بنائها بارثليميو دياز مما له من خبرة سابقة فى مجال الملاحة البحرية . فقد ساهم البيت الملكى بجزء كبير من تمويل تلك السفن ، إضافة إلى ما قدمه بعض الأشخاص العاديين من تمويل . وتميزت هذه السفن بأنها من النوع المسطح والمربع المؤخرة ، كما كانت مقدمتها مسطحة وعريضة ، وسميت تلك السفن بالأسماء التالية :

السفينة سنت جبريل Saint Gabriel ، والسفينة سنت روفائيل Saint Rophael والسفينة بريو Berio ، والسفينة سنت مارى Saint Mary . وقد لصق على مقدمة السفينة سنت جبريل صورة القديس الحارس ، وعملت تحصينات قوية فى مؤخرة ومقدمة كل سفينة ، كما زودت كلا منها بغرفتين للمراقبة : إحداهما فوق الصارى الأمامى ، والأخرى فوق الصارى الرئيسى . وكانت هذه الغرف مخصصة للمراقبة وإطلاق النيران ، بخاصة عندما تتعرض السفن للخطر .

بعد أن تم تصنيع تلك السفن زودت بالأسحلة المختلفة التى كان منها السيوف swords ، والرماح Javelins أو البيكس Pikes ، وبالسهام المقوسة Cross bows ، والقنابل grenades ، وبقدور البارود Powder pots ، كما زودت تلك البعثة بكمية من الذخيرة . ومن الملاحظ أن هذه السفن لم تحو أسلحة نارية صغيرة small fires Arms وكان على متنها عدد من البحارة والضباط . وننوه هنا إلى أن كلا من السفينة الأولى والثانية حملتا ١١٨ بحارا.[١]

إضافة إلى هذا كله ، فقد زودت هذه السفن بالإسطرلاب Astrolabe –آلة بدائية تستخدم لتسجيل الأماكن ومواقع النجوم –

---

[1] Baker B . op. Cit . pp. 66 .

وبالبوصلة البحرية Mariner's Compass ، التى كانت اختراعا جديدا فى ذلك الوقت ، وزودت تلك الحملة الكشفية أيضـا بالرصـاص الرنان ، الذى كان يستخدم فى قياس أعماق الماء الذى تسير السفن فوق سطحه ، لأن الساعات التى كانت تستخدم لقياس عمق الميـاه فى ذلك الوقت لم تعد مجدية . وزودت البعثـة أيضـا بـالخرائط والجداول، التى جمعتها كلية الأمير هنرى الملاح .

وبالنسبة للمواد الغذائية ، فقـد زودت البعثـة بكميـة مـن الدقيقFlour والعدس tentils ، والسردين sardines والسـمك الجـاف Codfish والبرقوق الجـافdried plums واللـوز Almonds والبصـل Onions والثوم garlic واللحوم المجففة dried meat وزيـت الزيتـون Olive oil وبكمية من النبيـذ Wine وبـالجبن Cheese وبالبهـارات spices. وكما هو واضح فإن هذه المواد الغذائية قد تميزت بالتنوع . وتشير المصادر إلى أن هذه البعثة كان فى إمكانها الحصول علـى بعض المؤن الغذائية فى حالة ما تسـتدعى الظـروف ذلـك مـن المحطات العسكرية البرتغالية التى كانت قد أسسـت علـى طـول الساحل الغربى الإفريقى أثناء رحلة بارثليميو دياز وغيره . وتقرر أن توزع هذه الكميات على البحارة على النحو التالى :

- رطل ونصف الرطل بسكويت جاف مصنوع من الـدقيق والماء لكل بحار فى اليوم .
- رطل لحم جاف لكل بحار فى اليوم .
- مكيالان ونصف المكيال من الماء (لتران ونصف اللتر) لكل بحار فى اليوم .
- نصف لتر من النبيذ المخلوط بالخل والزيت يوميا لكـل بحار . وعلاوة على ذلك فقد زودت تلك السفن الأربع بكمية مـن السلع التجارية – كان من المعتقد أنها ستكون مفيدة فى المقايضـة Bartering مع السكان الأفارقة والهنود – التى تتمثل فـى القبعـات Hats والطـواقى Caps والخـرز الزجـاجى glass beads ، والأحواضbasins (الطشـط النحـاس) ، والأجـراس الصـغيرة

little bells ، والحلقان Rings ، والأساور Bracelets التى صنعت من الصفيح Tins .

وتقرر أن يرتدى ضباط البعثة دروعا من الصلب، بينما إرتدى البحارة سترا بدون أكمام Darkins ، فضلا عن إرتدائهم للدروع الصدرية Breast Plates . وفى خضم تلك الإستعدادات التى تسير على قدم وساق ، من أجل إنجاز متطلبات هذه الحملة الكشفية، مات الملك جون الثانى ، الذى كان مسئولا عن ارسال تلك البعثة، وخلفه فى حكم البرتغال الملك " عمانويل " الذى قرر أن يزود البعثة بكافة المعلومات اللازمة لإنجاحها حتى لا تصاب بالنكسة كبعثة بارثليميو دياز . ومن أجل تحقيق هذا الغرض حاول الإتصال ببعض البحارة الإيطاليين للحصول على أية معلومات خاصة بطرق الشرق وسلعه ، ولكن ذهبت محاولاته سدى ، فاضطر أن يأمر أحد رعاياه من اليهود – ويدعى زاكوتو Zacoto– ليعرف له الطالع ، فأخبره هذا اليهودى بحسن الطالع ، وطلب هذا الكاهن اليهودى من الملك الاستمرار فى إعداد تلك البعثة وإرسالها.

وبعد أن تم إنجاز كل متطلبات تلك البعثة تقرر أن يكون على رأسها فاسكو دى جاما Vasco de Gama [(١)]. الذى ولد عام ١٤٦٠م، والذى كان عمره آنذاك ٣٦ سنة . وفى عام ١٤٧٩ م ، رسى هذا الأسطول الصغير فى ميناء لشبونة مستعدا لبدء هذه الرحلة الكشفية. وكان من الواضح أن العمل على متن سفن كتلك ، يبدو قاسيا ، بل مروعا ، ربما لأن هذه السفن لم تكن قد صنعت بشكل مريح ، بل كان يغلب عليها طابع الخشونة والبدائية ، ولكن رغم ذلك ، بدأ هذا الأسطول الصغير فى صورة شجاعة ، ونشرت أشرعته التى بلغت مساحتها ٤٠٠٠ م ، ورفرف من فوق الصارى الرئيسى لكل سفينة العلم الملكى البرتغالى The Royal Standard Of Portugal كما رفرف أيضا من فوق غرف المراقبة علم القبطان

---

(١) كان فاسكو دي جاما ينحدر من أسرة عريقة . ويتميز بصفات منها أنه لا يعرف الخوف كما كان حاد المزاج وشديد القسوة ، وخاصة عندما يعارضه أحد الأشخاص وكان طموحا مغرورا . يعامل الناس على حسب معاملتهم له ، ولكن حينما يغدر به احد كان يعاقبه بنفسه ودون ان يهتز له ضمير

الذى عرف Crow's Nest ، الذى كان يتميز بلونه القرمزى . وقبل أن تبدأ البعثة رحلتها إلى الهند ، أعد لها إحتفال توديع رسمى مهيب ، فاتخذ البحارة ومعهم المودعون طريقهم على طول الشارع الرئيسى للشبونة فى هيئة موكب إلى الكاتدرائية . وكانوا جميعا على الترتيب التالى :

فاسكو وشقيقه باولو ، كانا فى مقدمة قباطنة البحر ، ومن بعدهم مباشرة الملك عمانويل والملكة ، ومن خلف الملك والملكة سار النبلاء والتجار ، ومن خلفهم سار الجنود ، ومن بعدهم أطقم السفن ، وأخيرا سار الدجرادوس والكهنة Degrados and priests. وكان الجميع ذاهبين للصلاة فى الكنيسة من أجل إنجاح الرحلة ، ومن التحلل من الخطايا والذنوب ، وليشاركوا فى إقامة القداس Holy Communion . وقد زينت شوارع لشبونة بالزهور ، واحتشد الناس على جنبات الشارع وهم فى حالة من الفرح والبهجة ، وعلقت اللافتات الحريرية على شرفات المنازل ، كتعبير عن البهجة والسرور والفرح ، لهذا الحدث الكبير الذى سيعود على البلاد بالنفع والفائدة (١) .

بدء حملة فاسكو دي جاما الكشفية إلى الهند :

فى ٢٥ من شهر يوليو ١٤٩٧ م ، بدأ الأسطول الصغير فى الإبحار نحو الجنوب محاذيا لسواحل غرب إفريقيا ، أى أنه سار فى نفس الخط الذى سارت فيه بعثة بارثليميو دياز . وكانت تلك السفن تتوقف فى المحطات البرتغالية الموجودة ، على طول الساحل الإفريقى الغربى للتزود بما تحتاجه من مؤن ومياه عذبة، وكانت هذه المحطات قد أنشئت بمعرفة البرتغاليين الذين قاموا برحلات سابقة وفى إحدى تلك المحطات حاول الأسطول الصغير الرسو من أجل الحصول على المياه العذبة ، لكن المواطنين الأفارقة اشتبكوا مع البحارة ، مما دفع فاسكو لاستخدام الأسلحة النارية ضد هؤلاء االناس ، وأنزل بهم هزيمة ساحقة ، ويدل ذلك

---

(١) Stella Davies : Ibid. 73 -74 .

على رفض الأفارقة للتعامل مع هؤلاء الغرباء . وبعد أن سارت السفن مسافة نحو الجنوب نزل بعض الجنود المسلحين للحصول على المياه العذبة مرة أخرى ، فقابلهم الأفارقة بصداقة ومودة ، إذن يمكن القول بأن الأفارقة يختلفون فى معاملتهم مع البرتغاليين . عندئذ وزع عليهم الجنود البرتغاليين الهدايا المتمثلة فى الطواقى والأجراس والأساور ، لهذا صاح الأفارقة فرحا وابتهاجا بهذه الأشياء ، وبعد ذلك قدم الزنوج – في مقابل هذه الهدايا – وليمة قدموا أثناءها لأفراد البعثة الفاكهة ولحم الخنزير والدجاج . كما زود هؤلاء الأفارقة رجال البعثة بالمياه العذبة وبكمية من المواد الغذائية المتمثلة فى لحم الخنزير المجفف ولحم الدجاج .

بعد ذلك واصلت البعثة المسير نحو جنوب إفريقيا . وكان بارتليميو دياز قد حذر أفراد البعثة بأن يبتعدوا عن منطقة التيارات القوية . وفى تلك الأثناء تسربت مياه البحر إلى داخل السفن من خلال الشقوق الخشبية ، مما إضطر البحارة لاستخدام المضخات ليلا ونهارا لتجفيف قيعان السفن . ونتيجة لهذا العمل ، فقد تعب أفراد الأطقم من جراء هذا العمل ، وروعوا من الخوف لدرجة أنهم كانوا على حافة التمرد واضطرهم ذلك إلى مطالبة فاسكو دي جاما بالعودة إلى أرض الوطن . وفى هذه الأثناء فكر بحارة السفينة بريو فى التآمر ضد قائد تلك السفينة – المدعو كيولهو Coellho – وذلك بحبسه فى إحدى غرف السفينة ثم يتولون هم قيادة السفينة إلى أرض الوطن ، عندئذ يتجنبون محاولة الدوران من حول منطقة الرأس التى دارت بعثتهم من حولها عام ١٤٩٨ م [١] ، ولكن عندما علم كيولهو بذلك تظاهر بالتعاطف مع البحارة ، ودعاهم للتشاور ، وأخبرهم بأنه سيذهب إلى سفينة فاسكو دي جاما لمقابلته ، ومحاولة إقناعه بالعودة إلى أرض الوطن ، وليخبره أيضا ببداية تمرد البحارة ، وعندما سمع فاسكو ما قصه عليه كيولهو وعده بأنه فى حالة إستمرار الجو فى عدم الإستقرار ،فإنه سيتخذ قرارا بالعودة إلى البرتغال ، وكل ما طلبه فاسكو من كيولهو هو أن يؤمنه

---

[١] Wallace W . At Wood : the Groth of nations . U.S.A . 1994 .p. 27 .

البحارة فقط من غضب الملك ، وذلك بقيامهم بالتوقيع على بيان يشير إلى إستحالة التقدم أكثر من ذلك ، وقد وافق طاقم السفينة "بريو " بسعادة على هذا الشرط . ومن الواضح أن فاسكو كان يضلل البحارة حتى لا يفكروا فى القيام بالتمرد ، وحتى يتمكن من وضع خطة للقضاء على ما يمكن أن يحدث فى المستقبل من تمرد.

وكان مخبر السفينة " بريو " قدم أسماء خمسة بحارة من قادة المتمردين لقائدها كيولهو ، فدعا كيولهو هؤلاء الخمسة المتمردين على الفور للصعود على متن السفينة سنت جبريل – وهى سفينة فاسكو دي جاما – لمناقشة آرائهم أمام فاسكو دي جاما. وعندما رآهم فاسكو دي جاما ، وقف إلى جانب الممر الذى سيدخلون منه إلى كبينة سفينته ، ولما دخلوا جميعا أغلق فاسكو الباب عليهم ، وبعد ذلك قام أفراد طاقم سفينته ، بطرح الخمسة المتمردين أرضا ، ثم قيدوا أيديهم وأرجلهم بالسلاسل وتركوهم وحالهم . وبعد ذلك واصل فاسكو الإبحار بسفينته حتى أصبح بمحاذاة سفينة كيولهو ، وأخبره بما حدث لهؤلاء البحارة المتمردين حتى يخبر كيولهو بالتالى زملائهم بما حدث ، وأضاف فاسكو فى قوله: إنه ليس بحاجة إلى الجبناء الذين فى إمكانهم العودة إلى أرض الوطن ، إذا شاءوا ذلك ، ثم واصلت البعثة الإبحار إلى الهند لتحقيق هدفها المنشود .

لم يحدث أى تمرد بعد ذلك ،فبرغم أن بحارة السفينة " سنت روفائيل " كانوا فى حالة من البؤس ، إلا أنهم لم يقوموا بأى تمرد . وكان باولو Paulo شقيق فاسكو دي جاما قد زار المساجين على متن السفينة " سنت جبريل " وزار أيضا طاقمى كل من السفينة " بريو" وسفينة المؤن . ويعتبر باولو الرجل اللين الذى يتعامل مع البحارة بلطف،فكان قد طلب من الجميع أن يشكروا الله على أنهم لا يزالون على قيد الحياة ، وإن كل هذه المشاكل ستنتهى نهاية طيبة . وبعد تجوال باولو على متن السفن إطمأنت نفوس البحارة ، خاصة بعد أن وعدهم بأنه سيتعطف فاسكو دي جاما بأن

يصفح عن المساجين ، وأن يفك أسرهم .بهذه السياسة اللينة نجح باولو فى القضاء على ظاهرة التمرد التى كادت أن تدب فى صفوف البحارة من حين لآخر .

وصول حملة فاسكو دي جاما إلى شرق أفريقيا :

بعد فترة من الوقت دارت البعثة من حول رأس العذاب The cape of Torment كما كانت تسمى فى ذلك الوقت ، أو رأس العواصف The Stormy Cape التى سميت فيما بعد برأس الرجاء الصالح The Cape of Good Hope ،وفى تلك الأثناء كانت كمية كبيرة من المواد الغذائية قد فسدت بسبب تسرب الماء المالح إليها ، كما تحطمت براميل المياه العذبة بسبب إهتزاز السفن أثناء هبوب العاصفة . وقد عان الكثير من البحارة من مرض الإسقربوط ، وكان الجميع منهكا حتى أن أفراد الطاقم الذين ظلوا مخلصين لفاسكو دي جاما طوال الرحلة أصبحوا بعد ذلك كسولين وسلبيين ، وفى حالة نفسية يائسة .

وواجه فاسكو دي جاما فى تلك الأثناء بعض الصعاب التى منها صعوبة العثور على إيجاد ميناء ترسو فيه السفن ، مما اضطره ذلك إلى الإبحار فى مصب نهر يوجد على ساحل المحيط الهندى الغربى فى جنوب أفريقيا ، كى يرسو بسفنه فيه ، وسمى فاسكو دي جاما هذا النهر بنهر الرحمة The River of Mercy ، وسمى الأرض الواقعة بجواره إقليم ناتال (أى أرض الميلاد) . فكلمة ناتال هىالكلمة المشتقة من الكلمة اللاتينية نتاليس Natalis ، التى تعنى يولد ، فهذا اليوم الذى دخل فيه فاسكو هذا النهر كان يوم عيد الميلاد . وقد حمل فاسكو المرضى إلى الشاطئ لمحاولة معالجتهم، وهناك صلى البحارة صلاة شكر لله ، والتقوا مع عدد قليل من الأفارقة البدائيين الخجولين ، ووزعوا عليهم بعض الهدايا من خرز وأساور وحلقان وحصلوا منهم على بعض الفاكهة والأطعمة .

من المحتمل أن يكون هؤلاء الأفارقة من شعب البوشمن Bushmen – الذين يعيش أحفادهم فى الوقت الحاضر فى صحراء كلهارى – وأحضر هؤلاء الأفارقة الطعام للبحارة المصابين بالهزال ، كما أنهم أعطوا فاسكو الكثير من الفاكهة البرية والأعشاب التى يمكن إستخدامها فى علاج المرضى . وكانت البعثة قد صادفت بعض الصعاب التى منها فقدانها لمائة بحار ، ومنها أيضا مهاجمة مرض الإسقربوط للبحارة من حين لآخر ، ومنها كذلك ميل سفينتان على جنبهما مما اضطر فاسكو دي جاما إلى تفكيك سفينة من السفن لاستخدام أخشابها فى إصلاح السفينتين الأخريين . وفى نفس الوقت أصلحت البراميل وملئت بالمياه العذبة، كما جففت المستودعات ، وتم التخلص من الكميات الزائدة من الطعام بإلقائها فى البحر . وحصل فاسكو على مواد غذائية جديدة من الوطنيين الأفارقة . ويمكن القول أنه بنهاية شهر فبراير عام ١٤٩٨ م ، تقلص عدد سفن الأسطول الصغير إلى ثلاث سفن، كانت قد بدأت الإبحار فى مياه المحيط الهندى . وبعد فترة من المسير إقتربت تلك السفن من حدود الحضارة العربية . فقد وصلت تلك البعثة إلى حدود سوفالا Sophala المحطة العربية التجارية الواقعة فى أقصى جنوب القرن الإفريقى .

سوفالا

هى إحدى مدن إفريقيا الشرقية ، فكانت مدينة سوفالا هذه تضم من المظاهر الحضارية قدرا كبيرا ، مما جعل البرتغاليين يندهشون لرؤيتها ، ففى بعض الجوانب كانت هذه المظاهر الحضارية تفوق ما يمكن مشاهدته فى البرتغال . فقد شاهد البرتغاليون المنازل العالية المبنية من الأحجار . وكانت شبابيك تلك المنازل مطعمة بالزجاج الملون الجميل ، ورصفت أرضيات المنازل بالقرميد المنقوش . وزودت المساجد فيها بأرشات عالية ، وبأعمدة مرتفعة . وشاهد أفراد البعثة واجهات المحلات المطلية

بالنحاس المشغول ، التى كانت تحوى السيوف المصنوعة من الصلب والمزينة بالزخارف . وكان من السلع التى تباع فى هذه المحلات المجوهرات الفضية والذهبية والحرير . وزاد إندهاش البرتغاليين أكثر عند مشاهدتهم للتوابل المتنوعة الموجودة بكثرة فى سوفالا ، وتأكدوا من أن وجودهم فى تلك المدينة سيمكنهم من التعرف على الجهة التى تأتى منها هذه السلع التابلية التى يرغبون فى الحصول عليها ، والتى جاءوا من أجلها . ورحب تجار سوفالا بالبرتغاليين ، وأقاموا لهم وليمة إحتفاء بقدومهم ، كما أعدوا لهم عرضا راقصا ، وأطلع تجار سوفالا على عينات من التوابل التى كان البرتغاليون قد أحضروها معهم ، ولكن تجار سوفالا أخبروهم بأن كل الأنواع التى أحضروها معهم موجودة لديهم بما فى ذلك السكر ، الذى كان يعتبر حتى ذلك الحين من التوابل . فكانت هذه التوابل تستورد من أقصى مكان فى الشرق عن طريق الهند ، فمراكب العرب المحيطية المعروفة بالدوس Dhows كانت تذهب بانتظام من زنجبار إلى قاليقوط ، حيث كان يوجد هناك مستودع لتجارة الشرق الأقصى ، فكان التجار العرب يشترون ما يرغبون فى شرائه من التوابل ، ويعودون بسفنهم وهى محملة بتوابل الشرق. وقد سجل كاتب البعثة بأن الناس فى سوفالا كانوا خليطا من الزنوج والعرب المولدين ، وكان الجميع يدينون بالعقيدة الإسلامية ، فبوصول البعثة إلى سوفالا ، تكون قد وصلت إلى جنوب العالم الإسلامى المعروف للأوربيين فقط عن طريق البحر المتوسط .

بعد أن مكثت البعثة مدة قصيرة فى سوفالا ، غادرتها فى اتجاه الشمال نحو موزمبيق ،كان ذلك فى شهر مارس من عام ١٤٩٨ م ، وبذلك تكون البعثة قد قضت شهرين فى عرض المحيط قبل وصولها إلى موزمبيق ، ومرة ثانية هاجم مرض الإسقربوط البحارة ، ولكن كان باولو شقيق فاسكو يقوم بتمريض المرضى بإخلاص ، بل كان يجلس معهم ليخفف عنهم آلامهم ويريحهم فى ساعاتهم الأخيرة من عناء المرض . وكان يجرى لهم بعض

العمليات الجراحية ، فكان باولو يقوم بقطع الأجزاء المريضة من الجلد البشرى المصاب بالغرغرينة Gangreened Fish فى محاولة منه لإنقاذ حياتهم ، ومع ذلك مات منهم ثلاثون بحارا، وبقى على قيد الحياة ١٢٠ شخصا من جملة العدد الأصلى البالغ ٢٥٠ بحارا .

عندما اقتربت البعثة من ميناء موزمبيق شاهد أطقم السفن البرتغالية قاربا وطنيا صغيرا يعرف بالسمبوك ، فنادى أفرادها على بحارة هذا المركب ، ولكنهم خافوا وقفزوا من على متنه وهم فى حالة من الرعب والجنون بسبب رؤية البحارة البيض بزيهم الغريب ، وسبحوا فى المياه حتى وصلوا إلى الشاطئ . وكان على متن هذا القارب تاجر يتحدث العربية ، ويعرف باسم – دافانا Davana – الذى نادى البرتغاليون عليه فرد هذا التاجر الموزمبيقى على البرتغاليين بعربية طليقة ، وبعد ذلك أحضر التاجر على متن السفينة سنت جبريل ، وعرف عنه بأنه أول شخص ذكى ومتعاون، ويتحدث الهندية والإفريقية إلى جانب العربية . وبعد ترجمة حديث دافانا بواسطة اليهودى المدعو زاكوتوZacoto أو المسيحى الجديد – الذى كان مرافقا للبرتغاليين ، والذى كان يتحدث أيضا عدة لغات منها العربية – وافق دافانا على إصطحاب البرتغاليين فى رحلتهم ، وعلى القيام بدور الدليل والوسيط فى آن واحد .

موزمبيق :

موزمبيق من مدن شرق أفريقيا ، فعندما وصلت بعثة فاسكو دي جاما إلى تلك المدينة أحيطت بالقوارب التجارية الصغيرة ، فالناس متعودون على رؤية مثل هذه السفن فى البحر ، واعتقدوا بأن البرتغاليين مسلمين مثلهم . ففى البداية كان الجميع فى حالة صداقة وسرور ، وتظاهر فاسكو دي جاما بأنه يبحث عن شراء السلع التابلية ، لذلك لم يقل شيئا عن مقصده الحقيقى المتمثل فى القضاء على وساطة العرب ، وذلك بالبحث عن طريق يصل بين بلادهم وبين مصادر السلع التابلية الأسيوية دون وسيط . وفى

موزمبيق أخبر سكانها فاسكو دي جاما بأن سفنا كثيرة ستأتى من الشمال ، وهى محملة بشحنات من الذهب والفضة والكركاديه Calve والفلفل الأسود Pepper ، والزنجبيل ginger والنيلة Indigo ، وزبل الحمام* Pigeons dung ، الذى كان يستعمل فى الصبغة فى قاليقوط .

وسرعان ما ظهر بعض الشك ، خاصة بعد معرفة جنسية الوافدين ، ففى موزمبيق كان يوجد بعض النصارى ، الذين كانوا ينتمون إلى أصل أثيوبى ، والذين كانوا عبيدا للعرب ، فقد تعرف هؤلاء العبيد المسيحيون على الرموز التى كانت على السفن البرتغالية ، والتى كان منها تمثال الملاك جبريل ، الذى كان موضوعا على مقدمة السفينة سنت جبريل . وعندما كان هؤلاء العبيد المسيحيون قادمين على متن سفينة حاملة سلعا لأسيادهم العرب ، وقف هؤلاء العبيد وأدوا صلاتهم وهم يحركون أيديهم إشارة إلى الصليب .

ويلاحظ أنه على الرغم من أن بشرة البرتغاليين كانت داكنة مثل بشرة الأتراك أو الهنود ، إلا أنهم لم يتحدثوا التركية ، أو الهندية ، فبمجرد أن سمع سلطان موزمبيق الشيخ خوايا Khwaya عن هذه الأحداث ، قرر القيام بزيارة إلى سفن البرتغاليين بصفته الشخصية الرسمية ، فعندما وصل شيخ موزمبيق إلى سفن البرتغاليين على نحو مفاجئ ، وقف زورقان مما كان برفقته جنبا إلى جنب واستخدما كرصيف ثم ثبت فوقهما مظلة حريرية ليجلس تحتها هذا السلطان ، على كرسى دون ظهر Stool ، غطى بوسادة حريرية ، وكان برفقة هذا السلطان ، رجال حاشيته ، وعندما التقى السلطان بفاسكو دي جاما دارت بينهما محاورة كلامية ، كان السلطان أثناءها يحاول معرفة هوية هؤلاء الأشخاص ، وهدف وطريق الرحلة ، وكان فاسكو من ناحيته يحاول أن يخفى الحقيقة بالمراوغة ، فلم يصرح بها كاملة ، فلقد قال فاسكو : " إنهم تجار

---

* زبل الحمام تعنى بذور نباتية تستخدم لصناعة الصبغه . (المؤلف)

قدموا من بلد بعيد أى أنهم جاءوا ليبحثوا عن المكان الذى تأتى منه التوابل والحرير والمجوهرات والمعادن الثمينة الأخرى ، وأضاف بالقول بأن السلع التجارية التى أحضروها للمبادلة ، قد فقدت فى البحر بسبب طول رحلتهم ، التى بدأت منذ سنتين ."

ورغم ذلك فإنهم يملكون النقود الذهبية والفضية بالوفرة اللازمة لشراء السلع الشرقية ، ورغم مراوغة فاسكو دي جاما إلا أنه أخبر بالحقيقة عندما قال : إنه لا يعرف المكان الذى وصلت إليه البعثة ، وأنه يتوق إلى العودة إلى أرض الوطن بأسرع ما يمكن ، ولم يقل شيئاعن رغبته فى اكتشاف الطريق إلى الهند ، ولم يقل أيضا إنه سيؤسس هناك علاقات تجارية للمغامرات فى المستقبل خشية أن يكشف أمره أمام سلطان موزمبيق الذى كان يرتاب فى أمره[١].وطلب سلطان موزمبيق من فاسكو دي جاما عدم الذهاب إلى أبعد من ذلك ، لأن كل شئ يطلبه يمكن شراؤه من موزمبيق ، أو يقوم السلطان بتدبيره له ، وأبدى فاسكو إقتناعه بما يقوله السلطان،وقدم فاسكو للسلطان خمسة أذرعة من القماش القرمزى اللون وخمسة أذرعة من السيتان (الحرير) ، وطاقيتين قرمزيتين اللون أيضا ، وأربع سكاكين من صنع مقاطعة الفلندرز – Flanders هى المقاطعة القديمة التى قسمت بين فرنسا وبلجيكا وهولندا فى مطلع التاريخ الحديث [٢] . – إضافة إلى مرآة. ورغم كل ذلك فإن هذا السلطان لم يكن مقتنعا بكل ذلك ، لأنه سمع من عبيده أنه فى كل صباح يجتمع هؤلاء البحارة على متن السفن ليمارسوا طقوسهم الدينية ، لهذا إقتنع السلطان بأن البرتغاليين كانوا من المسيحيين ، لذلك فهم أعداء له. وفى أثناء تلك الفترة ، حاول السلطان إستمالة دافانا بالرشوة ، لكنه لم ينجح لأن دافانا كان ميالا للبرتغاليين ومعجبا بهم وبنظامهم ، ومبهورا بفن الملاحة لديهم ، . وقد سمع عن القصة الحقيقية لرحلتهم ، لذلك عقد صداقة مع اليهودى زاكوتو، لكى يتعرف على الكثير منه عن البرتغاليين .

---

(١) Stella Davies : Op. Cit. pp . 74-88 .

(٢) The New Oxford Encyclopedic Dictionary Bay books in association with Oxford University Press . London 1983 . p. 633.

بعد ذلك صمم سلطان موزمبيق على قتل البرتغاليين ، ومن أجل تحقيق هذا الهدف ، نافق دافانا أو خدع دافانا ، فأرسل معه رسالة إلى فاسكو يدعوه فيها وطاقمه إلى وليمة Feast ووعده سلطان موزمبيق بمعالجة مرضاه . وكان دافانا قد حذر السلطان من قوة السلاح الذى يمتلكه البرتغاليون ، لهذا خشى السلطان أن يدخل معهم فى مواجهة ، لكنه قرر اللجوء إلى الخديعة . وفى تلك الأثناء سلم دافانا رسالة السلطان إلى فاسكو ، ونصحه بأن سفنه سيتم الإستيلاء عليها ، وأن أطقمها وقباطنتها سيغتالون بعد الوليمة خاصة بعد أن تمتلئ بطونهم بالطعام والشراب . فعلى الفور قرر فاسكو دي جاما مغادرة موزمبيق ، عندئذ أرسل دافانا إلى الشاطئ ليحصل على مؤن لكنه لم يجد هناك شيئا يمكن شراؤه باستثناء وجود كمية قليلة من الذرة والسمك ، لأن التجار فى موزمبيق كانوا قد منعوا من التعامل مع البرتغاليين ، لهذا قرر فاسكو الإبحار دون الحصول على مؤن ، ولكنه كان فى حاجة للحصول على مياه عذبة وفى أثناء ذلك ، إلتقى دافانا برجل عرض على أطقم فاسكو أن يقودهم إلى بئر ماء ، كان هذا الرجل من جواسيس سلطان موزمبيق ، فقاد البرتغاليين إلى جداول مائية صغيرة ساروا فيها صعودا وهبوطا تحت الأشجار ، وكان هذا الرجل (الدليل) يعمل على تعويقهم وتضليلهم حتى يأتى وقت الجزر ، ففى هذه الحالة تترك السفن فى عرض البحر ولا يستطيع البرتغاليون إستخدامها . وفى النهاية قادهم إلى مكان المياه Water place ، الذى كان مخفورا من قبل السلطان بواسطة رجال مسلحين بالحراب والأقواس والسهام ، ومع ذلك تمكن البرتغاليون من التغلب على هؤلاء الحراس وقتلهم ، بعدئذ ملأ البرتغاليون البراميل بالمياه العذبة ، وأسرعوا بالعودة إلى السفن وقصفوا المدينة بالقنابل ، وخلفوا من ورائهم تدميرا كبيرا . بعد ذلك أبحروا إلى خارج الميناء ، وكانوا قد فعلوا ذلك فى اللحظات الأخيرة من حدوث الجزر .

لم يكن ضرب مدينة موزمبيق ضروريا ، ولكن ما عمل كان بقصد إجراء لامتصاص غضب فاسكو دي جاما ، الذى نتج عن تصرف السلطان الموزمبيقى . وكان هذا بمثابة كارثة لمستقبل العلاقات مع العرب ، وفى تلك الأثناء إنتشرت الإشاعات على طول الساحل الشرقى لإفريقيا بسبب الأضرار التى نجمت عن ضرب موزمبيق من قبل البرتغاليين . وفى نفس الوقت تسربت الحقائق الخاصة بأهداف البعثة البرتغالية إلى كل منطقة شرق أفريقيا ، فعرف سكانها أن البرتغاليين من المسيحيين ، وعلى هؤلاء السكان إثبات أنهم قادرون على التصدى للإختراق الأوروبى لبلادهم ، وكان سلطان موزمبيق قد حذر سلطان ممبسة – المركز التجارى الكبير التالى الواقع على الساحل بأن البعثة البرتغالية تقترب من مدينته ، ونصحه بأن يقوم بتدمير هؤلاء النصارى قبل أن يقوموا بمهاجمته .

ممبسة :

هى من مدن شرق إفريقيا الإسلامية أيضا ، فعندما علم سلطانها المدعو داو Dohow بقدوم البرتغاليين ، قام بإرسال مركبا شراعيا صغيرا لمقابلة البرتغاليين عند مصب الميناء ، وكان هذا المركب مشحونا بالفواكه والهدايا ، وكان على متنه إثنان من المرشدين اللذين ذهبا ليحضرا السفن البرتغالية الثلاث إلى الشاطئ أى إلى ممبسة . واعتقد فاسكو قبل ذهابه إلى ممبسة بأنه يوجد فيها عبيد نصارى ، كما هو الحال فى موزمبيق ، لهذا السبب أرسل إثنين من بحارته بصحبة دافانا لكى يقابلا سلطان ممبسة ، وهناك وجد دافانا ومن معه عددا كبيرا من العبيد النصارى ، كما وجدوا عددا قليلا من الرجال المحررين ، الذين دفعوا الكثير من الأموال من أجل الحصول على حريتهم ، لهذا سمح لهم بممارسة التجارة . وكان هؤلاء العبيد المحررين ودودين مع البرتغاليين، لكنهم كانوا مغلوبين على أمرهم ، وليس لهم أى نفوذ يذكر، وكان أحدهم يمارس التجسس لصالح ممبسة .

وقد أتاح دافانا الفرصة للبحارة البرتغاليين بصفته دليلهم ، كي يحصلوا على ما يستطيعون الحصول عليه من معلومات من العبيد المسيحيين فى ممبسة ، وفى نفس الوقت ، زار دافانا السلطان ، الذى وعده بأنه سيبيع للبرتغاليين المواد الغذائية والفاكهة، ولحوم الطير ، والغنم ، إضافة إلى التوابل ، فى حالة وصول السفن البرتغالية إلى الشاطئ. وكان فاسكو دي جاما بحاجة ماسة إلى تلك المواد الغذائية اللازمة لطاقمه ، لهذا سمح لمرشدى السلطان بقيادة السفن إلى الشاطئ ، وبالقرب من الشاطئ إرتطمت السفينة سانت جبريل بالشعب المرجانية ، فأمر فاسكو دي جاما تلك السفن بالرسو وإنزال أشرعتها ولفها وذلك لإصلاحها ، وعلى الفور أرسل فاسكو إشارات تحذيرية إلى السفينتين الأخريين ؛ السفينة سنت روفائيل ، والسفينة بريو ، كى تأخذا حذرهما وحتى لا ترتطما بالصخور المرجانية . وفى تلك الأثناء إنفجر فاسكو دي جاما فى واحدة من ثورات غضبه العنيفة وأمر بتكبيل المرشدين التابعين للسلطان بالسلاسل ، ولكن قفز أحدهما من على متن السفينة، وسبح فى الماء حتى وصل إلى الشاطئ ، وعذب الآخر بسكب الزيت المغلى عليه حتى اعترف بأن سلطان ممبسة أمره بالعمل على جعل السفن تجنح فى المياه الضحلة أى أن سلطان ممبسة كان ضد قدوم البرتغاليين إلى بلاده .

وفى تلك الأثناء كان الجزر قد بدأ مما أدى إلى جنوح السفينة سانت جبريل، وتحطم كابل الرسو . لهذا مكث البرتغاليون ساعات عدة فى خطر كبير . وعلى الرغم من الأخطار التى أحاطت بالسفينة سنت جبريل ، التى استمرت لساعات عدة ، إلا أنها تمكنت بعدها من الطفو بسبب التمرس فى الخبرة، وفى فن الملاحة ، خاصة عندما عاد المد فى منتصف الليل . عندئذ خرجت السفينة من الميناء بأمان ووصلت إلى عرض البحر فى مطلع الفجر . أما السفينتان الأخريان فقد تبعتا السفينة سانت جبريل ، خاصة وأنهما لم يجنحا فى المياه الضحلة . ومكث مرشد السلطان

مع البرتغاليين ، وهو مكبل بالحديد ، ولم يعرف أحد عنه شيئا بعد ذلك ، فربما يكون البرتغاليون قد إحتفظوا به معهم .

حاول فاسكوا دي جاما من طرفه إيجاد قواعد صديقة على طول ساحل شرق أفريقيا لتكون بمثابة موانئ تتوقف فيها السفن البرتغالية فى المستقبل ، لكن العرب حالوا دون تحقيق هذا الهدف ، لذلك قرر فاسكو العمل على إضعاف النفوذ العربى فى منطقة شرق أفريقيا ، وذلك بالتعاون مع بعض التجار من غير العرب ، ومع حكام بعض المدن غيرالعربية . هذان الأمران ، أوحيا للبرتغاليين بإمكانية التحالف مع عناصر السكان من غير العرب ، لكي يحققوا أطماعهم ، وكان العرب قد فتحوا الساحل الشرقى لأفريقيا منذ زمن بعيد ، واستقروا فى المدن الكبيرة ، ولكن سيطرتهم على المدن الصغرى كانت محفوفة بالمخاطر ؛ لأن حكام تلك المدن الصغيرة كانوا من الزعماء الوطنيين ، وكان يوجد لديهم إحساس بعدم الرضا أو الإرتياح عن الحكام العرب ، كما أن السكان المحليين كانوا يرفضون النفوذ العربى ، ربما لسوء معاملات الحكام العرب للسكان الأفارقة .

مالندى:

كانت مالندى من مدن شرق أفريقيا ، فهى ميناء تجارى صغير يقع إلى الشمال من ممبسة ، التى تعرضت إلى محاولات طويلة وملتوية وناجحة من جانب البرتغاليين ، بهدف العمل على سوء العلاقة بين سلاطينها وسلاطين المدن الأخرى ، فقد تعارك سلطان موزمبيق مع سلطان مالندى ، لهذا لم يأسف سلطان مالندى عند سماعه بضرب مدينة موزمبيق بالقنابل البرتغالية . وفى ذات الوقت كانت ممبسة فى حرب مع مالندى على نحو متقطع إستمر قرابة القرنين من الزمن ، وعندما أقترب فاسكو من شاطئ مالندى أرسل دليله (دافانا) إلى المدينة ، فأستقبل هناك بكرم ، وأخبر دافانا سلطان مالندى بقدوم البرتغاليين ، فأستشار هذا السلطان

عرافا فنصحه بأن يعامل البرتغاليين معاملة حسنة ، وبعد ذلك عاد دافانا إلى السفينة ، وهو يحمل معه بعض الهدايا ، ودعوة من السلطان باستضافة البرتغاليين . وكان فاسكو حذرا جدا ، بحيث رفض الرسو فى ميناء مالندى ، وأرسل رسالة مهذبة إلى السلطان مصحوبة بهدية عبارة عن ثلاثة أحواض للغسيل ، وعقدين من خرز المرجان ومعطف مثل الذى كان يرتديه رهبان الرحمة .وكان فاسكو دي جاما على يقين من أن مخزونه من الهدايا ملائما لرجال القبائل البائسين ، ولكنها ليست بالقدر الكافى الذى يتناسب مع حكام موانئ عربية . فمن المحتمل أن البرتغاليين لم يتوقعوا أن يجدوا نفوذ العرب راسخ فى الساحل الشرقى لأفريقيا ، فعندما كان فاسكو دي جاما يقدم هدية لأحد الحكام ، كان يقول : " إن هذه الهدية منى بصفة شخصية ،وأنا لا أتعدى كونى مجرد قبطان بحرى فقير ، وليست من مليكى الغنى غناء فاحشاً " ، هذا أسلوب فيه مكر وخداع . وقبل سلطان مالندى الهدية التي قدمها له فاسكو ، والتى كانت عبارة عن أحواض غسيل ، فعلى الفور انطلق هذا السلطان بالمركب الملكى ليزور البرتغاليين فى عرض البحر فى مركب شراعى . وهناك قابله فاسكو دي جاما ، وكان هذا السلطان مرتديا ثوبا حريريا دمشقيا مزيناً بستان أخضر . وكان يحمل سيفا مرصعا بالجواهر ، مغروز فى حزامه ؛ الذى كان مرصعا أيضا بالفضة والياقوت ، وجلس هذا السلطان على كرسى مصنوع من البرنز ، تحت ظل شمسية قرمزية اللون ، وكان بصحبته رجلان موسيقيان يعزفان على أبواق ضخمة مصنوعة من سن الفيل .

كان فاسكو دي جاما مدركا لتفاهة هداياه ، إذا ما قورنت بمكانة السلطان الكبيرة ، لهذا قدم فاسكو لسلطان مالندى المرشد الذى كان قد أسره من ممبسة ، كما قدم له بعض المساجين الذين تم أسرهم عند بئر ماء فى موزمبيق ، ليستعملهم السلطان عبيداً له ، وألح السلطان على فاسكو ليرسو بسفنه فى مدينة مالندى ، ولكن فاسكو إعتذر له . عند ذلك فهم الإثنان كلا منهما الآخر فهما جيدا، ولم يشعر السلطان – الذى كان رجلا ذكيا – بأية إهانة ، فبعد ان

عاد هذا السلطان إلى مالندى ، أرسل هدايا كثيرة إلى البرتغاليين ، كما وافق على الإتجار معهم ، بل تعهد لأية سفينة برتغالية تأتى إلى مالندى بتزويدها فى المستقبل بالمؤن ، وفى مقابل ذلك طلب هذا السلطان من فاسكو أثناء رحلة العودة إلى وطنه أن يقوم بمساعدته فى ضرب مدينة ممبسة بالقنابل ، ووافق فاسكو على هذا المطلب ، ووقع إتفاقية بينه – كممثل للملك البرتغالى – وبين السلطان . يدل هذا على مدى الخلافات المستحكمة بين سلطانى ممبسة ومالندى .

بعد أن ربطت المصالح المشتركة بينهما ، قرر فاسكو المخاطرة بالذهاب إلى مالندى ، وطلب البحارة منه أن يسمح لهم بالنزول إلى الشاطئ لعدة أيام ، لأنهم أقاموا علاقات شخصية مع بعض الرجال والنساء اللائى زرن السفن البرتغالية فى عرض البحر ، وقد استقبل فاسكو ورجاله على الشاطئ بالحفاوة الكبيرة ، التى تمثلت فى عزف الموسيقى والرقص وإقامة الولائم وأعدت للبرتغاليين مباراة صورية فى الملاكمة ، ووجدوا فى هذا المكان تسلية على كل المستويات أى للعامة والخاصة ، وقد أمر السلطان أن تكون أسعار بيع جميع السلع معتدلة بالنسبة للزوار ، ونفذ هذا الأمر بكل بدقة . وكانت مالندى مدينة كبيرة جدا بها مبانى كثيرة وجميلة فمنازلها مبنية من الحجر ، وتميزت تلك المنازل بالسمات العربية أكثر من أى مكان آخر شاهده البرتغاليون ، منذ أن غادروا الساحل الإفريقى الشمالى الغربى . وكان يوجد فى هذه المدينة أناس كثيرون منهم العبيد والخدم ومنهم الوطنيين –الذين يعملون لدى العرب – وربما بفضل نفوذ السلطان – الذى كان أفريقيا ، وهناك وجد قدرا أقل من الإضطهاد ضد هؤلاء العبيد ، الذين كانوا أفضل حالا عما يحدث لغيرهم فى موزمبيق ، وفى تلك المنطقة كان السكان من السود الذين يرتدون زيا من القماش القطنى أو الحريرى . وفى مالندى وجدت وفرة فى الطعام الذى يتمثل فى الأرز والدخن والقمح المستورد من الهند [1] .

---

[1] Stella Davies . op. cit .. pp. 80 – 89 .

قبل مغادرة البعثة مالندى فى طريقها إلـى الهنـد ، زودت بالطعام والمياه ، وأقام سلطان مالندى وليمة لرجـال تلـك البعثـة البرتغالية ، ومنح فاسكو سلطان مالندى مبلغا من النقود البرتغالية ، كما أقام عمودا من الرخام على الشاطئ لإحياء ذكـرى المعاهـدة الموقعة بين فاسكو دي جاما وسلطان مالندى ، بحيث يكون معلمـا لبعثات المستقبل ، ولا يزال هذا العمود قائما ، فهو أول بناء دائـم شيده البرتغاليون على ساحل أفريقيا الشرقى . وقبل مغادرة البعثـة لمالندى سمح سلطانها لرجالها أيضا بالإحتفال بقداس يقـام علـى شاطئ البحر . وفى هذا الصدد قال السلطان " إفعلوا ما يحلوا لكم ، كما تفعلون فى بلادكم داخل أو خارج المدينة " . وفى إحتفال كبير أقيم مذبحا بجوار العمود الرخام ، الذى أقامه فاسكو ، وغطى هـذا المذبح بقماش ثمين ، ووضع بجواره تمثالا للسيدة مريم العـذراء . وبعد ذلك قرئ القداس ، وتناول الجميع من أعضاء البعثة القربـان والتف أناس من مالندى حول رجال البعثة فى دهشة وأعجبهم مـا حدث ، ورسم بعض العبيد الصليب ، وركعـوا وهـم يتـذكرون الطقوس ، التى كانوا يقومون بها فى طفولتهم . [٢]

مغادرة بعثة فاسكو دي جاما شرق أفريقيا إلى الهند :

فى أغسطس ١٤٩٨ م ، غادرت البعثة البرتغاليـة مالنـدى متوجهة صوب الهند ، بعد أن كانت قد قضت مـدة تزيـد علـى السنة؛أى منذ مغادرتها للبرتغال ، وعبورها من مالندى إلى الهند ، ولم تكن السفن البرتغالية مصحوبة بأى أحداث تعوق تقدمها[٣]. لأن سلطان مالندى زود البعثة بمرشد من أفضل ما عنده ، فتمكنت تلك البعثة من الوصول إلى الهند بعد عشرين يوما من السـفر ، وفـى تلك الأثناء إنتاب فاسكو بعض الهواجس حول طبيعة إستقبال البعثة فى الهند ، ورغم ذلك كان يشعر بسعادة بسبب الإنجاز الذى حققه . وبعد وصول البعثة إلى الهند ألقى بمراسيه على شـاطئ قـاليقوط

---

[٢] Ibid , pp. 75 – 89 .

[٣] Herman Bondi :Towards New Frontiers . London , 1969 , p. 6.

الواقعة على ساحل الملبار ، الذى كان عبارة عن شريط طويل ضيق وساحلى يقع على المحيط الهندى ، وكانت قاليقوط مقسمة إلى عدد من الممالك الصغيرة ، التى كانت موانيها عبارة عن مستودعات ومتاجر ضخمة للتجارة الهندية ولتجارة الشرق الأقصى. وكانت هذه التجارة تتم بمقتضى معاهدات مع ملوك مختلفين ، وكان من أهمهم العرب ، (١) الذين احتكروا هذه التجارة بسبب ثرائهم وقوتهم وكثرة عددهم ، والذين مكنتهم هذه العوامل المختلفة من تحويل الكثير من سكان الملبار إلى العقيدة الإسلامية ، بل من إقراض بعض ملوك هذه المنطقة بالأموال ، ونخص بالذكر ملك قاليقوط الذى كان يقترض أموالا طائلة من العرب ، ورغم ذلك حاول أن يستعين بالبرتغاليين ليتحرر من هذا النفوذ العربى .

فى الهند قال أفراد البعثة أنهم سفراء من قبل ملك البرتغال . وأنهم يشكلون جزءاً من أسطول كبير ما تزال بقيته فى الطريق إلى الهند ، كانوا يحكون ذلك إلى الصيادين الذين قدموا فى جماعات إلى السفن البرتغالية ، وفى تلك الأثناء ظل البحارة البرتغاليين مدة ثلاث أيام على متن سفنهم فى شاطئ قاليقوط حريصين على أن يدفعوا أسعار مغرية للسكان ، بل إنهم كانوا يعطونهم نقودا أكثر ، عوضا عن المشقة الناجمة عن إحضار سكان قاليقوط القوارب المملوءة بالسلع غير المرغوب فيها من جانب البرتغاليين . وفى تلك الأثناء ، أرسل ملك البرتغال رسالة إلى ملك الملبار يحثه فيها على ضرورة مقابلة أفراد البعثة ، فأرسل ملك الملبار رسولا من طرفه إلى فاسكو دي جاما ، كان هذا الرسول رجل نبيل المولد يغطى نصفه الأسفل بقماش أبيض ، وكان يحمل معه سيفا طوله ذراع ودرعا مستديرا ، وكان شعره مسترسلا ، حول رأسه فاستقبله فاسكو دي جاما بحفاوة ، وحضر هذا اللقاء كلا من : دافانا واليهودى زاكوتو ، حيث عملا كمترجمين ، وسأل رسول ملك الملبار فاسكو دي جاما أسئلة كثيرة عن البعثة وعن غرضها ، فأخبره فاسكو بالقصة المتفق عليها مع البحارة التى كان مفادها أن

---

(١) Stella Davis: op. cit .p.6.

هناك خمسين سفينة فى طريقها من البرتغال إلى الهند ، وأن فاسكو يرغب فى شراء توابل ومنتجات هندية ، ويقترح عقد معاهدة سلام وصداقة مع ملك الملبار ، كما يرغب فى حصـــوله علـــى امتيـــاز يخول له حق القيام بعمليات تجارية بينه وبين ملك الملبـــار ، مـــن أجل تأمين وضمان سلامة أفراد البعثة . وعندما علم التجار العرب بأنباء التقارب بين ملك الملبار وفاسكو دي جاما ، غضبوا من ذلك غضبا شديداً ،وعقدوا إجتماعا تقرر فيه القيام بأى عمل يمكـــن أن يكون من شأنه إلغاء الإقتراح الخاص بعقد معاهدة بين الطرفين أى بين فاسكو وملك الملبار ، لهذا حذر جوزيـــل Gozil – المستشـــار الرئيسى والمراقب على الدخل – ملك الملبـــار مـــن أن الجماعـــة العربية لن تقدم له أى مساعدة نقدية فى المستقبل إذا أقدم على عقد معاهدة مع فاسكو دي جاما ، ولكى تتأكد هذه الجماعة من تحقيـــق رغبتها قدمت رشوة إلى جوزيل هذا ، كى ينصـــح ملـــك الملبـــار برفض المقترحات البرتغالية ، وأشار جوزيل أيضا على الأعضاء الأخريين فى مجلس الملك باتباع سياسة المراوغة والتأجيل ، وعدم إتخاذ أى قرار لصالح البرتغاليين ، وكان من نتيجة هـــذا التحـــرك الذى قام به جوزيل – المدفوع من جانب التجار العرب – رفـــض ملك الملبار إرسال الرهائن المتفق عليها بين الطرفين ، كما أنه لم يرد على الإقتراح الخاص بالمعاهدة ، بل أرسل رسالة إلى فاســـكو يحثه فيها بالمجئ إلى الشاطئ إن رغب فى ذلك ، وأن يتجر مـــع مملكة الملبار إذا كانت لديه الرغبة فى ذلـــك أيضـــا ، ويبـــدو أن جوزيل قد نجح فى مسعاه المتمثل فى إفساد العلاقة بين ملك الملبار وقاليقوط وفاسكو .

وبناء على رسالة ملك الملبار إلى فاسكو إضطر الأخير أن يرسل دافانا وبرفقته زاكوتو إلى الشاطئ زاعمين شـــراء مـــؤن ، وفى واقع الأمر كان الغرض الحقيقى من وراء ذلك هو استكشاف إمكانية رسو السفن البرتغالية بأمان ، ولكن كانت الإشـــاعات قـــد انتشرت فى هذا المكان عن السفن البرتغالية ، لذلك ترى أن الناس تجمعوا حول دافانا وزاكوتو بمجرد وصولهم إلى الشاطئ ، لدرجة

أنهما كانا سيختفيان بسبب الزحام . عندئذ أنقذ جوزيل كل من زاكوتو ودافانا بأخذهم إلى منزله وإبقائهم فيه من قبيل الإستضافة لهما حتى أقبل الليل ، وحاول جوزيل أيضا إقناعهما بالمكوث عنده طوال الليل ، لكنهما رفضا وانزعجا الإثنان من سلوك جوزيل . لهذا قررا الفرار وذهبا إلى الميناء ليجدا قاربهما قد اختفى ، ولم يكن هناك أحد يساعدهما فى الوصول إلى السفن ، لكنهما عادا إلى المدينة ، وهما فى حالة من القلق . وفى تلك الأثناء بادرهما رجل بالحديث فاندهشا الإثنان معا بسبب حديثه لأنه كان يتحدث الأسبانية وكان هذا الشخص قشتاليا Castilian ، أى من أشبيلية Seville فحكى لهما قصته قائلا : عندما كان يعمل فى البحر وعندما كان صغيرا ، أخذ سجينا بواسطة العرب المغيرين ، ثم بيع بعد ذلك إلى تاجر عربى ، فأخذه إلى قاليقوط ، وهناك منحه حريته قبل وفاته ، وكان هذا القشتالى يعمل كاتبا فى الميناء ، ودعى كلا من اليهودى زاكوتو ودافانا إلى منزله لقضاء ليلة معه وحذرهما من جوزيل ، الذى قال عنه : أنه عازم عل أخذهما وقتلهما ، كما حذرهما من ملك الملبار الخائن المحتال ، الجشع الماكر ، الذى لا يمكن لأحد أن يثق فيه ونصحهما بالإلحاح بالعودة إلى وطنهما بأسرع ما يمكن .

وفى الصباح إصطحب القشتالى كلا من : دافانا وزاكوتو إلى السفينة البرتغالية العائدة ، ويبدو أنها السفينة التى كانت قد أقلتهما . وكان هذا المكان يعج بالحركة والنشاط ،وعندما سمع البرتغاليون بقصته بكى الجميع بأسى وحزن من أجله ، لانه كان مسيحيا متعدد الأمزجة ، فانهار القشتالى عندما تقابل مع أخوة له فى للدين والوطن ، وكان القشتالى مرتشيا من جانب التجار العرب كى يتجسس على البرتغاليين ، ويقف على قوتهم ، وإبعادهم عن قاليقوط ، قبل أن يستميلوا الملك، ويعقدوا معه معاهدة ،ولكنه عندما عرف حقيقة كل من زاكوتو ودافانا ، إمتلأ القشتالى ندما على فعلته المتمثلة فى قيامه بالتجسس ، وأعلن بنفسه أنه سيكون الحليف والخادم الأمين للبرتغاليين ، وغضب فاسكو عند سماعه لكلام القشتالى ، لهذا حث باولو شقيق فاسكو دي جاما على قبول عرض

هذا القشتالى ، وانتهى الامر بأن أصبح هذا القشتالى وسيطا لحساب البرتغاليين ، وظل مخلصا لهم طوال مدة تواجدهم بالهند ، وتمكن من معرفة كافة الحقائق عن البرتغاليين ، فعرف أنه لم يكن هناك أسطول قادم من البرتغال ، كما أشيع من قبل ، بل وقف بنفسه أيضا على حالة البحارة البائسة . لهذا أخفى هذا القشتالى كل ما سمعه وشاهده عن البرتغاليين . ومن أجل البرتغاليين قدم للتجار العرب تقريرا مضللا حتى لا يعرفوا أى شئ عن البرتغاليين .

وفى الوقت الذى كان فيه الملك يتحرك ببطء نحو تحدى العرب ، كان هناك حزب موال للبرتغاليين فى سبيله إلى التكوين داخل مجلسه ، وكان فاسكو ، قد ذهب للقاء الملك وبرفقته اثنا عشر شخصا من رجاله أى من رجال فاسكو ، إضافة إلى الحارس الملكى . ومع ذلك لم يكن هذا اللقاء حاسما ، فقدم فاسكو أثناء هذا اللقاء هدايا للملك الذى وضعها جانبا باحتقار لتفاهتها ، ولم يعط أى رد مباشر عن المعاهدة المقترحة . أما عن السلع التى قدمت للبرتغاليين فكانت غالية الثمن مع أنها كانت سلعا من نوعية رديئة، فالزنجبيل على سبيل المثال كان مغشوشا بالطين ، وكانت جوزة الهند من الخشب . بعد ذلك عاد البرتغاليون إلى سفنهم ، ومعهم ثلاث رهائن ، وقد مكنتهم مقابلة ملك الملبار من زيارة المدينة ، وهم فى حالة من الأمن النسبى .

فى هذا الوقت ، كان مع البرتغاليين مبلغا من النقود الذهبية والفضية إستعملوه فى الرشوة إلى بعض الشخصيات الهندية ، التى كانت ميالة إلى تأييد البرتغاليين .ومن أجل هذا غضب العرب الموجودين على الأرصفة ، وفى الأسواق الهندية بسبب معرفتهم للعبة التى يلعبها البرتغاليون . وكانت المفاوضات التى أجراها البرتغاليون فى قاليقوط معادية للعرب ، لذلك رشا العرب جوزيل كى يخطف فاسكو وبعض رجاله ، فقام بسجن فاسكو وبعض بحارته فى إحدى المنازل الواقعة فى ضواحى قاليقوط لعدة أيام ، بعد ذلك أخذوا سيرا على الأقدام فى حرارة الشمس حتى وصلوا

إلى أحد الأنهار ، ثم أبحروا بعد ذلك فى هذا النهر ، ثم تركوا فـــى إحدى الأدغال ، وكانت النية بالنسبة للمختطفين تتجه نحو إتعـــابهم حتى يموتوا فى النهاية ، وإذا لم يتمكن المختطفون من فعل ذلـــك ، فإن البرتغاليين سيغتالون بأية وسيلة . وفى هذه الحالة يبدو الأمـــر طبيعيا ، وفى نفس الوقت رشا العرب الكانتولز Cantuals – البوليس الوطنى – كى يقوم باغتيـــال البرتغـــاليين . ومـــن المعـــروف أن الكانتولز كان على علم بأن ملك الملبار كان مؤيدا للبرتغاليين ، ولم يكن مستعدا للتخلى عنهم .

وعلاوة على ذلك ، عرض رئيس الكانتولز علـــى فاســـكو إرسال رسالة إلى باولو – عن طريق القشتالى – يبدو لإخبار باولو بسجن شقيقه فوافق فاسكو الذى كان غاضبا فـــى تلـــك اللحظـــة ، والذى كان سجينا لدي جوزيل ، وكان فاســـكو قـــد وعـــد رئـــيس الكانتولز بالرشوة ، فأرسل رئيس الكانتولز الرسالة ، وانتهى الأمر بإطلاق سراح فاسكو ، وعرف الملك كل ما حدث فسجن جوزيـــل ورئيس الكانتولز . ورغم هذه النهايـــة المبهجـــة ، التـــى انتهـــت بالإفراج عن فاسكو وزملائه ، إلا أن غضبه ممن حاولوا خطفـــه تزايد ، إضافة إلى أنه لم يبرئ الملك من المسئولية . كان فاســـكو يعتقد بأنه فى إمكان ملك الملبار التدخل لولا خشيته مـــن التجـــار العرب . لقد كان فاسكو يحتقر الجبن والخوف ، ومجرد التفكير فيه يعتبره خيانة ، وبما أن فاسكو كان حاد الطبع فأنـــه هـــدد الملـــك بالإنتقام . من هنا قرر البحث عن حاكم آخر يعقـــد معـــه معاهـــدة صداقة وسلام ، يحمى بها نفسه من أية خيانة تحـــدث ضـــده فـــى المستقبل ، وكان لدى فاسكو الرغبة فـــى معاقبـــة ملـــك قـــاليقوط (الملبار) ، وذلك عن طريق اتخاذ منافس آخر يتاجر مع البرتغاليين فى المستقبل، بعد ذلك ترك فاسكو القشتالى فى قاليقوط كمفـــوض معتمد لملك البرتغال ثم أبحر شمالا إلى كنانور Cananor .

فى هذا الوقت إنتشرت الأخبار التى حدثت فى قاليقوط على طول الشاطئ الهندى . رغب ملك قاليقوط فى وضع حد لغضـــب

فاسكو ، فأرسل رسولا إلى ملك كنانور ينصحه بالتعامل الحسن مع البرتغاليين ، ويسأله التوسط عند فاسكو ليزيل غضبه ، لكن ملك كنانور ، لم ينفذ ما طلب منه ، وأرسل قاربا لمقابلة البرتغاليين فى عرض البحر ، وكان هذا القارب مشحونا بالهدايا ، وعندما رست سفن البرتغاليين فى الميناء كان ملك كنانور على رأس المستقبلين ، بعدها أقيم احتفال لهم فى الميناء تبودلت فيه الهدايا ، كما تبودلت فيه كلمات الترحيب . وفى غضون أسبوع أو أسبوعين – بدون حدوث أية مشاكل – وقعت معاهدة تجارة وصداقة وسلام بين كلا من ملك كنانور وفاسكو ، الذى ادعى أنه سفير لملك البرتغال . ومن ناحية أخرى ، عمل ملك كنانور على كسر الإحتكارات العربية للتجارة الهندية ، وكان على استعداد لخداع ملك قاليقوط (الملبار) ، كما أنه لم يكن يخشى العرب [1].

المصاعب التى واجهت الحملة فى طريقها إلى الهند :

مما لاشك فيه أن البعثة البرتغالية الكشفية واجهت مصاعب جمة وكبيرة منها تسرب المياه إلى داخل السفن حيث سببت رائحة كريهة بدرجة كبيرة، فضلا عن إحتواء السفن على تراكمات من الأقذار والحصى ، كما أنها حوت الفئران الميتة وروس الماشية وفضلات الإنسان ، وأحيانا أخرى الجثث الميتة التى كان يحتفظ بها حتى الوصول إلى الوطن ، إذا كانت جثثا لأشخاص مهمين لدفنها هناك . وقد أدى هذا إلى موت عدد كبير من البحارة ، مما دفع الناس إلى العزوف عن السفر فى مثل هذه الرحلات . إضطرت الحكومة البرتغالية للتعاقد مع عدد من الرجال ممن لهم سوابق إجرامية للعمل فى تلك البعثات الكشفية فى المستقبل. ومن المصاعب التى واجهت البحارة ضيق المساحة التى كان يشغلها كل بحار ، حيث بلغت أربعا وعشرين بوصة كى يعلق فيها أمتعته ، وفى أغلب الأحيان كان البحارة ينامون بالتناوب ، فخصص لكل بحار مسافة لا تزيد عن قدمين ، وأربع بوصات بحيث يتقلب فيها

---

[1] Ibid. pp. 89-97 .

البحار ، وأما عن التهوية فكانت سيئة حيث تأتى من خلال الفتحات الخاصة بالمدافع المنصوبة على طول جوانب السفينة ، ولكن عندما يهيج البحر أو المحيط ، كانت هذه الفتحات تغلق ، لـذلك كانـت المياه تتسرب إلى داخل السفن ، فتغمر أسطحها وأرضيتها بالمياه ، ويؤدى ذلك بالتالى إلى وجود الحشرات الطفيلية المميتة . وقد ذكر فاسكو دي جاما أنه فى أثناء رحلته هـذه كانـت السـفن تحـوى حشرات كثيرة ومتنوعـة ؛ منهـا أم أربـع وأربعـين Centipedes والعقارب Scorpions والنمل الأسـود black ants والبراغيـث flease والصراصـير Cockroaches والفئـران rats والثعـابين الصـغيرة small snakes – وكان فاسكو يطهر سفن البعثة من تلـك الرائحـة بواسطة البارود gun powder المحروق ، والمنقوع فى الخل . ومن المخاطر التى تعرضت لها تلك الحملة الكشـفية إنتشـار مـرض التيفوس المتسبب عن القمل Lice ، فكثيرا ما تكرر هذا المرض بين البحارة الذين كانوا يتخلصون من هذه المشكلة بغمر السـفن فـى المياه للتخلص من تلك الحشرات الضارة . ومن المصاعب أيضـا إحتواء المواد الغذائية على اليرقات maggots الدودية ، علاوة على ذلك فإن اللحم المجمد أصبح صلبا لدرجة أنه كان مـن الأشـغال المحببة لبعض البحارة الذين كانوا يشكلونه فى شكل قطع شطرنج ، ويغطونـه بمـادة لامعـة جعلتـه شـبيها بخشـب المـاهوجنى Mahogany wood .

ومن المصاعب أيضا أن بحارة تلـك السـفن كـانوا مـن المجرمين Criminal ، ومن أفراد الطبقات المعدومة destitute ، فكان عدد كبير من هؤلاء المجرمين قد حرروا من السـجون Jails فـى البرتغال ، والتحقوا على أثر ذلك بهذا العمل . ففى أثنـاء الرحلـة وعندما كان فاسكو يرغب فى التوقف من أجل الحصول على شـئ يرسل أحد هؤلاء المجرمين للإستطلاع ، وكانت حجة فاسـكو أن هذا البحار لو فرض وقتل من قبل الوطنيين فإن موته كان لا يشكل خسارة للبرتغال ، لأنه كان محكوما عليه مسبقا بالسجن مدة طويلة، وكانت هذه الفئة من البحارة تقوم بالعمل الوضيع ، وكانت تعـرف

بالدجرادوس degrados أى الأشخاص المنحطين اجتماعيا ، وكــانوا قد تحللوا من خطاياهم بعد خروجهم من السجن ، وأخــذوا العهـد المقدس ، وكانت حكومة البرتغال قد دفعـت هبـات سـخية الــى زوجاتهم أو إلى زويهم قبل شروع البعثة فى الإبحار .

وفى حالة ارتكاب أحد منهم خطأ ، كان فاسكو يقوم بتعليقــه فى عارضة الشراع ، ثم يقوم بجلده ، وكان الهدف من وراء ذلـك هو تخويفهم حتى تكلل الرحلة بالنجاح ، وقد عاد منهم ستون مـن جملة ١٨٠ بحارا ، كانوا فى جملتهم مشلولين ، أو فى حالة صحية سيئة . أما بقية البحارة الذين يعملون على المدافع والضباط كــانوا جميعا من الطبقة الراقية ، وكانوا من المتدينين الراغبين فى القيــام بالتنصير بالمسيحية بين المسلمين والوثنيين heathen على حد سواء، ولكن رغم ذلك كانت معاملاتهم مع الوثنيين والمسلمين من أفظــع المعاملات التى شهدها تاريخ البشر المأساوى ، ويعنى ذلـك خلـو ضمائرهم من الإنسانية .

عودة الحملة إلى البرتغال :

بعد أن أنهت حملة فاسكو دي جاما مهمتها فى الهند قــررت العودة إلى البرتغال ، ولكن قبل مغادرته للهند أخبر ملـك كنــانور فاسكو بأن العرب يملكون أسطولا بحريــا كبيــرا يتواجــد هــذا الأسطول فى جزر التوابل ، ومن المتوقع حضــوره إلــى مــوانئ الملبار ليشحن بالتوابل ، ثم يعود مرة أخرى إلى بلاده ، وأخبــره ملك كنانور أيضا بأن هذا الأسطول مسلح تسليحا جيدا ،كما أخبره بوجود وقت محدد ومعلوم للسفن التى ترغب فى عبــور المحــيط الهندى ، ويتوافق هذا الوقت مع هبوب الرياح الموسمية Mooson ، فهى رياح دورية وقوية تهب باعتدال وانتظــام ، وعلــى فتــرات منتظمة إلى حد ما . وسيأتى أسطول العرب مــع هبــوب الريــاح الموسمية ، التى إقترب وقتها ، ومن الجدير ذكره إنــه ســيخاطر بالحرب ضد البرتغاليين فى حالة تواجدهم فى بلاد الهند . لهذا قرر

فاسكو العودة إلى وطنه وعدم مواجهة الأسطول العربى ، خاصة عند هبوب الرياح الشرقية المعتدلة . وكان فاسكو على علم بوجود أرخبيل Archipelago يقع على مسيرة أيام قليلة من إبحاره من ساحل الملبار ، فعندما اقترب من هذا الأرخبيل توقفت سفنه عن الإبحار لعدم هبوب الرياح . وبعدئذ توجه إلى إحدى الجزر وألقى بمراسيه فيها .

كانت الجزيرة حلم البحارة فهى جزيرة غير مسكونة بالناس باستثناء وجود راهب فيها الذى رحب بفاسكو ورجاله ، ووجد فاسكو فى تلك الجزيرة وفرة فى المياه العذبة وفى الأشجار الظليلة، وفى الأسماك التى يمكن صيدها ، وفى الفاكهة الوفيرة ، فكانت القوارب تأتى من الجزر الأخرى ، وهى محملة بالدجاج والأرز والتين Figs . ومكثت بعثة فاسكو هناك عشرة أيام كانت فى غاية المتعة . وفى هذه الجزر أقام فاسكو علاقات صداقة مع قرصان عربى ، كان يستخدم هذا الأرخبيل قاعدة له بحيث ينطلق منها لمهاجمة وأسر السفن العائدة من الشرق الأقصى ، وكان هذا القرصان مفيدا بالنسبة لفاسكو ، خاصة عند عودته للهند ، كنائب لملك البرتغال ، وحذر هذا القرصان فاسكو من أن للعرب أسطولا يطوف حول شبه القارة الهندية .

غادر فاسكو ورجاله الجزيرة وهم على مضض كبير بسبب توقع عدم هبوب الرياح الموسمية ، الذى إستمر لعدة أيام أو أسابيع، فهذه الرياح هى التى تساعد السفن على الإبحار . من هنا ظهرت علامة التمرد على البحارة ، لهذا توقف هذا الأسطول الصغير عن الإبحار فترة من الوقت فى جو شديد الحرارة ولكن فى ٥ أكتوبر عام ١٤٩٨ م غادرت البعثة الجزيرة فوصلت إلى مالندى فى ٢ فبراير عام ١٤٩٩ م ، وفى تلك الأثناء كان مرض الإسقربوط قد عاود الظهور بين البحارة ، فقضى على عدد منهم ، ومرض الباقى عدا ثمانية أفراد فقط . وكان باولو شقيق فاسكو دي جاما ضمن المرضى . وفى مالندى إحتفى السلطان بالبعثة وقدم لها

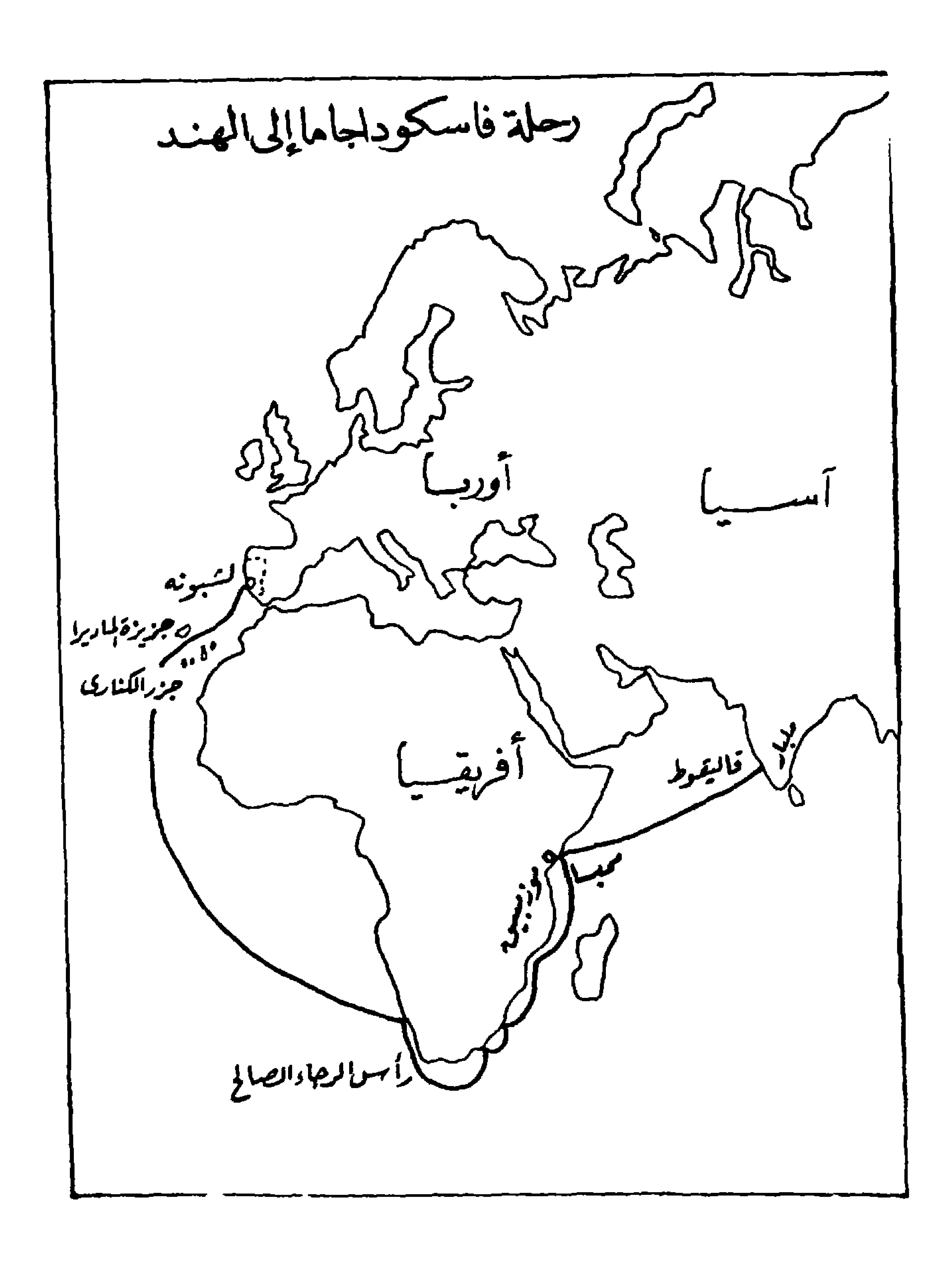
كل ما تحتاج إليه من مواد غذائية وغيرها . وفـــي تلـــك الأثنـــاء إشتعلت النيران فى سفينة باولو – السفينة سنت روفائيل – فوزعت محتوياتهاعلى السفينتين الباقيتين – السفينة سنت جبريل والســفينة بريو – ونقل باولو إلى السفينة سنت جبريل ، حتى يكــون تحــت رعاية أخيه . وفى ذلك الوقت ، زودت السفن بالمؤن والماء ، وأكد فاسكو لسلطان مالندي أن البرتغاليين ســيعودن علـــى رأس ســفن كثيرة ، وأنهم سيكافئونه . بعد ذلك أبحــرت الســفينتان بمحــاذاة الساحل إلى ممبسة ، ولكى ينفذ فاسكو دي جاما وعــده لســلطان مالندي قام بإطلاق قنابل مدافعه على مدينة ممبسة ، كمـــا قصـــفت قنابله أيضا العديد من المدن العربية الواقعة على طول ساحل شرق أفريقيا . وفى تلك الأثناء إنتاب القلق واليأس فاسكو بسبب مرض أخيه وبسبب تعبه هو أيضا . وفى نفس الوقت كان الطـــاقم علـــى وشك التمرد فتأرجح فاسكو بين ثورات الغضب ، ونوبات الــتهجم والسكون، وقد أشار تقرير البعثة إلى هذه العبارة بالقول " نحن نتبع طريقنا برغبة كبيرة أملا فى الوصول إلى أرض الــوطن " وفـــى خليج غينيا إنفصلت السفينتان بسبب هبوب عاصفة حيث أن السفينة سنت جبريل لم تستطع الطفو لعدم وجــود طـــاقم كـــاف لتشـــغيل المضخات ، لضخ المياه المتجمعة فى داخلها ، عندما كانــت تلـــك السفينة تتقدم ببطء إلى ميناء تنريف Teneriff . وفى أثناء ذلك كـــان باولو على وشك الموت ، فحمل إلى الشاطئ وهناك ظل حيا مـــدة يوم واحد فارق بعده الحياة ودفن فى تنريـــف فـــى ديـــر القـــديس فرانسيس.

كان فاسكو دي جاما يحب أخاه حبا جما ، فبعد موته ظـــل فى كبينته تسعة أيام لحزنه عليه ، وكان كيولهو الذى يقود الســـفينة بريو قد وصل إلى تنريف قبل فاسكو ، فأرسله فاسكو إلى لشـــبونة ليبلغ المسئولين بالأخبار ، لذا تلقى كيولهو التشريفات الأولى قبـــل فاسكو. فمن المعروف أن تنريف كانت مســتوطنة برتغاليـــة بهـــا حوض لإصلاح السفن فعرض ضباطها البحريون على فاسكو أخذ سفينة ، أخرى لكنه رفض ذلك وتمسك بالســفينة ســنت جبريـــل وبذكرياتها . كانت تلك السفينة قد أصلحت وحل طاقم جديد محـــل

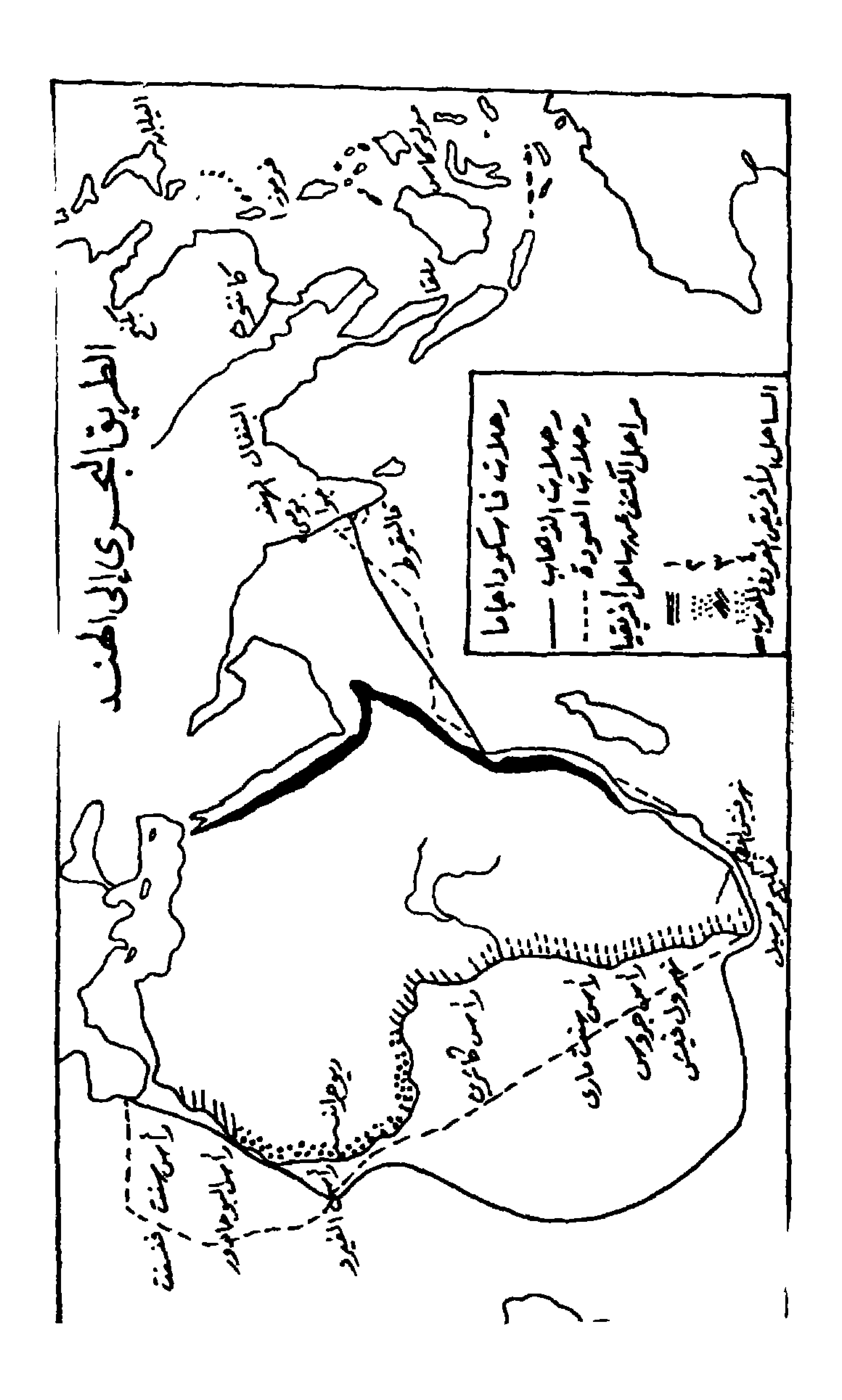
المرضى والأموات ، وبعد بضعة أسابيع من رحيل كيولهــو ، تــم إقناع فاسكو دي جاما بالإبحار وبرفقته أسطول صــغير Flotilla ، ولما وصل فاسكو إلى لشبونة أعد له إستقبال رسمى وترحيب ملكى ولكنه رغم ذلك رفض النزول من السفينة بسبب حزنه على وفــاة شقيقه ، فلم يعبأ فاسكو بالحفاوة والإبتهاج وظل فى ســفينته ولــم ينزل منها إلا بعد أن تسلم رسالة من الملك البرتغالى ، فنزل مــن السفينة بأقل إحساس من الرضا والإبتهاج ، وكان لدى باولو قبــل موته رغبة فى عدم محاكمة البحارة الذين كانوا قد تمردوا ، لــذلك إهتم فاسكو بمطلب شقيقه ، فتشفع للمتمردين عند الملك ،الذى كان بخيلا ، ومع ذلك عفا عنهم جميعا ، ورغم إعفائه عنهم إلا أنه أجل دفع المكافأة المناسبة ، لفاسكو وطاقمه مقابل الخدمة الجليلة التــى قاموا بها ، فكل ما فعله هذا الملك أنه مــنح فاســكو لقــب الــدوم الصغير The little of dom ، المساوى تقريبا للقب الســيد Sir كمــا منحه لوردية أسنسAsens ، فأصبح بذلك لوردا للمكان الــذى ولــد فيه، ولسوء الحظ فأن إيرادات هذه اللوردية كانت تذهب إلى طائفة دينية،بالإضافة إلى ذلك فقد حصل فاسكو دي جاما علــى معــاش كاف علاوة على أنه كان له الحق فى القيام برحلة ثانية إلى الهنــد لإستيراد سلع معينة على حسابه الخاص للإتجار فيها . وبسبب كل هذه المزايا التى حصل عليها فاسكو جعلت الملك ينظر إليه علــى أنه ندا له ، أى مساوى له فى المزايا . كان فاسكو يعــرف جيــدا قيمة العمل الذى قام به ، لهذا كان مصمما علــى أن يتلقــى هــو وطاقمه المكافأة المناسبة من الدولة . وكان مــن صــفات فاســكو إخلاصه لزملائه القدامى ، من البحارة وحبه للمغامرة . [١]

---

[١] Ibid. pp. 97- 103 .



رحلة فاسكو دي جاما إلى الهند



الطريق البحرى إلى الهند

الفصــل الثانــى

تأسيــس النفــوذ البرتغالــى
فى الهنــد

الفصـــل الثـــانى

تأسيس النفوذ البرتغالى فى الهند

بعد عودة فاسكو دي جاما من رحلته التاريخية إلـــى الهنـــد وبعد مكوثه فترة من الزمن قام برحلة ثانية على حسابه الخـــاص ، وبتفويض من الملك ، ولكن هذه الرحلة لا تمت بصلة إلى تـــاريخ الكشف الجغرافى ؛ أى أنها ليست رحلة كشفية ، لأن هـــذه البعثـــة غادرت البرتغال إلى بلاد تم كشفها حديثا . ففى عام ١٥٠١ م قـــاد فاسكو دي جاما أسطولا مكونا من تسع عشر سفينة مسلحة تسليحا جيدا ، وتحمل على متنها سلعا ثمينة وهدايا كثيرة فاخرة ، لتوزيعها على شيوخ القبائل فى السواحل الإفريقية ، وعلى المســئولين فـــى بلاد الهند . وعندما وصلت تلك البعثة التجارية إلى الهنـــد أســـس فاسكو بعض المراكز التجارية فى قـــاليقوط وكوشـــين Cochine ، وحقق من وراء ذلك أرباحا طائلة بسبب الصفقات التجارية التى قام بها .

كان فاسكو قد بدأ حياته العملية قبطان سفينة عادية ، ولكنـــه أصبح بعد عمله فى التجارة واحدا من أغنى رجالات البرتغـــال ، ومع ذلك لم يمكث فاسكو طويلا فى الهند ، فعاد إلى البرتغال عـــام ١٥٠٣ م ، ثم تزوج وكون أسرة ، ويعتبر فاسكو المؤسس الفعلـــى للنفوذ البرتغالى فى الهند . وعلى الرغم مـــن معارضـــة العـــرب للتواجد البرتغالى فى الهند ، إلا أن البرتغاليين تمكنوا من تأســـيس مراكز تجارية لهم فى قاليقوط وكوشين وفى كنانور ، لـــذا قـــاموا باضطهاد العرب بقسوة ، ولكن مع ذلك نجد أن العرب إستمروا فى معارضتهم للتواجد البرتغالى فى الهند . ومن الملاحـــظ أن ملـــك الزامورين هاجمهم فى كوشين ، لكنه هـــزم أمـــام قـــوتهم بســـبب استخدامهم للأسلحة الناريـــة . ونتيجـــة لهـــذا الإنتصـــار تمكـــن البرتغاليون من فرض السيطرة على المنطقة التى يقطنون فيهـــا ،

ومنذ تلك الفترة بدأ الحكم البرتغالى يستقر فى الهند ، وبدأت البرتغال فى تعيين الحكام الذين كانوا يمثلون ملك البرتغال هناك ، وسوف نتحدث عن أبرز هؤلاء الحكام فقط .

١-دى الميدا :

يعتبر دى الميدا أول نائب لملك البرتغال الذى حكم الهند فى الفترة ما بين ١٥٠٥ – ١٥٠٩ م ، وفى أثناء حكمه لم يهتم هذا النائب ببناء المستوطنات بل كان كل همه تطوير قوة البرتغال البحرية ، وهذا شئ منطقى كى يواجه بها أعدائه فلا يمكن أن تتم الهيمنة والسيطرة دون قوة عسكرية تحميها ، وقال دى الميدا فى هذا الصدد ما نصه " إعرفوا جيدا مخاطبا البرتغاليين أنه طالما تكونوا أقوياء فى البحر فستكون الهند ملكا لكم ، وإذا لم يكن فى مقدوركم الإمتلاك لهذه القوة البحرية فستكون الفائدة المرجوة من الحصون المقامة على الشاطئ غير ذى جدوى " وسميت هذه السياسة بسياسة الماء الأزرق The blue water policy ورغم كل ما قام به دى الميدا فى المجال العسكرى ، إلا أنه لم يستمر حكمه للهند طويلا ، حيث قتل ومعه نجله فى معركة ديو البحرية عام ١٥٠٩ ، على أيدى القوات المملوكية المصرية ، وعين ملك البرتغال بدلا منه البوكيرك .

٢-البوكيرك :

حكم البوكيرك الهند فى الفترة ما بين ١٥٠٩– ١٥١٥ م ، ويعتبر البوكيرك ثانى نائب لملك البرتغال فى الهند ويشير المستر إستيفينز M.R Stephens إلى أربع نقاط قامت على أساسها سياسة البوكيرك فى الهند .

أولها : رغبة البوكيرك فى إحتلال أماكن هامة ومعينة للأغراض التجارية ويحكمها حكما مباشرا .

وثانيهــا : رغبة البوكيرك فى إحتلال المناطق المختارة عن طريق تشجيع الزواج المختلط بين السكان الوطنيين والبرتغاليين .

وثالثها : رغبته فى بناء الحصون فى حالة عدم قدرته على الفــتح والإحتلال .

ورابعها : رغبة البوكيرك فى إستمالة التجار الوطنيين من الهنــود للإعتراف بسيادة ملك البرتغال على الهند ، ودفع الجزية له بخاصة عندما تكون البنود السابقة غير عملية .

كان البوكيرك فاتحا عظيما فقد فــتح جــوا وضــمها إلــى البرتغال عام ١٥١٠ م ، وأصبحت منذ ذلك التاريخ مركزاً لقيــادة الإمبراطورية البرتغالية ، وفتح أيضا ملقا ، فى الشرق الأقصــى ، كما أرسل حملة إلى جزر التوابــل Island's Spices . وفــى عــام ١٥١٥م ، فتح البوكيرك هرمــز Ormuz – جزيــرة فــى الخلــيج الفارسى – وبنى حصنا فى كوشين بعد حصوله على تصريح مــن الراجا ، وعين البوكيرك عددا كبيرا من الموظفين البرتغاليين فــى كل أعمال الإدرارة ، وحرم منها المسلمين بل اضطهدهم ، ورحب البرتغاليون بالهندوس فى كافة فروع الإدارة المختلفة ، وأسس لهم المدارس وتسامح مع طائفة البانشــياتس Panchayats الهندوســية ، بحيث لم تعد طائفة منبوذة ، ورحب البوكيرك أيضا بالجنود الهنود الذين كان ضباطهم من الهندوس ، علاوة على ذلك ، فإنــه شــجع زواج البرتغاليين من النساء الهنديات ، وكــان البــوكيرك رجــلا عظيما بسبب ما قام به من إنجــازات . ويعتبــر بحــق مؤســس الإمبراطورية البرتغالية فى الهند ، وقد تميزت شخصيته بســمات كثيرة منها : بسالته وصدقه التام واستقامته ، وإحسانه وقســوته ، ومع ذلك كله فإنه كان محبوبا فلم يكن بالإنسان الذى يثنيه الفشــل عن عزمه ، فعندما يفشل لم يهدأ له بال حتى يجد لهذا الفشل حلا . وكان وطنيا من الدرجة الأولى ، وكانت سمعته من حيث النزاهة – ذائعة الصيت – وكانت نظرته الثاقبة تصحبها شخصــية قياديــة ،

وإصرار على تحقيق الهدف ، وهى صفات يتمتع بها القليل من القادة ، وكان عبقريا فى الإدارة المدنية والعسكرية على حد سواء . وفى مجال الدبلوماسية إستطاع البوكيرك أن يقاوم الشرقيين بنفس أسلحتهم ، فلا غرابة أن يدعى من قبل أهل بلده ببوكيرك العظيم .

ووفقا لما ذكره دودول Dodwell بشأن البوكيرك يقول ما نصه " كان البوكيرك يتمتع بمزايا شخصية كثيرة ، مثل التى تمتع بها كليف Clive فكلاهما كان قائدا عسكريا عظيما ، وكانت شجاعتهما ونفاذ بصيرتهما ، تظهر فى وقت الخطر ، وكان كل منهما غير متردد ، بل كان شجاعا ، وكان كل منهما أيضا مستعدا لمقابلة أى عدو مهما كان عدده ، وكان كل منهما يتمتع بروح عالية تفرض نفسها على أتباعهما ، وكانا يتمتعان أيضا بحسن الحظ الذى روع أعدائهما ، وكانا فى مقدورهما اللجوء إلى الغدر والخيانة ، لكنهما كانا نادرا ما يلجآن إليهما . ولم يفقدا أبدا ثقة الآخرين بهما ، وكانا لديهما المهارة فى معرفة الظروف الهامة للنجاح ، ويتجاهل كلاهما الظروف الأخرى . ويبدو أن البوكيرك كان فريدا فى جيله لإدراكه بأن السيادة التى تعتمد على القوة البحرية وحدها ، لا يمكن أن تستمر . وقد وقف بإصرار فى وجه المعارضة البرتغالية مؤكدا على أهمية المحافظة على جوا كمركز لقوة البرتغاليين فى الشرق، وكترسانة كبيرة تقوم بإصلاح السفن ، علاوة على ما تقوم به من تزويد السلطة البرتغالية بالرجال والمؤن ، وكمدينة كبيرة يمكن الحصول منها على إحتياطى من الجنود ، الذين يمكن تجنيدهم ، وبكل تأكيد كان البوكيرك محقا فى كل مواقفه .

بعد قرن من الزمن وجد البرتغاليون أنفسهم متورطين فى حرب حياة أو موت . ولم يكن فى مقدورهم مواصلة الحرب مدة تزيد عن خمسين عاما ، لولا الموارد الأولية المكدسة فى جوا [١] واعتبر البرتغاليون جوا جزءا مكملا لمملكتهم بسبب رسوخ تواجدهم فى الهند ، فقاموا بإنشاء العديد من المستوطنات على

[١] Mahajan V. D. : Indian Since 1526, Without date. pp. 2-3 .

الساحل الشرقى للهند ، لكن هذه المستعمرات أو المستوطنات كانت أقل مستوى من المستوطنات المألوفة التي أنشأوها فى السابق على الساحل الغربى للهند . كل هذا ساعد التجار البرتغاليين فى الإستقرار فى أماكن عديدة من أرض البنغال ، وعلى ساحل الكروماندل Coromandel ، معتمدين فى ذلك على هيبة حكومتهم ، وعلى تحصين مستوطناتهم التى حكموها بأنفسهم بطريقة صحيحة، ويقال : إن هذه المستوطنات البرتغالية كانت مركزا لإيواء الخارجين على القانون ، وأحيانا كانت تلك المستوطنات تمثل أوكارا للقراصنة ، وفى بعض الأحيان كان المستوطنون البرتغاليون لا يعترفون بسلطة نائب الملك البرتغالى فى جوا Goa .

مع ذلك لم تكن التأثيرات المباشرة التى أحدثها البرتغاليون فى الهند كبيرة ، ففى مجال السياسة ورطهم إستيلاؤهم على جوا فى عداء مع البيجابور Bijapur ، – طائفة هندية ، لكنهم حافظوا فى نفس الوقت على علاقات صداقة مع الفيجايا ناجار VijayaNagar – طائفة هندية أيضا – التى لم تتلق أية مساعدة مادية من البرتغاليين فى صراعها ضد المسلمين . وكان البرتغاليون متقدمين فى مجالات الحرب ، وفى فن استخدام الأسلحة الصغيرة ، والمدفعية ، فبذلك أحاطوا أنفسهم بهالة من القوة كان مفادها أنهم لا يقهرون ، وساعدتهم تلك الهالة المزيفة على تثبيت حكمهم فى الهند، ولكن رغم ذلك فإن قوتهم لم تستطع الصمود أمام القوة البريطانية البحرية التى قامت بطردهم من الهند ، وبالإضافة إلى ذلك ، بنى البرتغاليون أسطولا قويا فى الهند ليساعدهم فى السيطرة على البحار ، كما بنوا الحصون ليدافعوا منها عن المضايق المائية، وبنوا أيضا حوضا لإصلاح السفن ، وبعد أن تمكنوا من السيطرة على التجارة الشرقية حرموها على كل العرب والهنود والإيطاليين على حد سواء ، وبلغ بهم الأمر أن منحوا تصاريح للسفن الهندية تخول لها حق الملاحة بين موانئ معينة فى مقابل دفعها رسوم محددة ، وكانت السفينة التى لا تحصل على ترخيص تكون عرضة للمسائلة القانونية ، بل يتم الإستيلاء عليها ومصادرتها . ومن اجل

تحقيق الدقة فى القيام بهذا الإجراء إستخدم البرتغاليون قوارب حربية لتأمين وحماية الطرق البحرية ، وكانت هذه القوارب البرتغالية تفوق فى سرعتها سفن منافسيهم الكبيرة البطيئة ، فبواسطة تلك القوارب سيطر البرتغاليون على الطرق الرئيسية لتجارة الشرق خلال القرن ١٦ م ، ففى عام ١٥٣٤م ، إستولى البرتغاليون على ديو Diu وباسين Bassein . وبعد أربع سنوات فتح البرتغاليون دامان، وفى نفس العام حصلوا من الحاكم المحلى على تصريح يخول لهم تأسيس مصنع فى جوا ، يبدو أنه كان مصنعا للتوابل . ورغم كل الإجراءات التى اتخذها البرتغاليون والتى كانت تهدف إلى إحكام سيطرتهم على الهند ، إلا أن السلع الشرقية إستمرت فى الوصول إلى أوروبا عن طريق الموظفين البرتغاليين، الذين نظروا إلى مراكزهم على أنها مصدر مشروع للكسب ،فكانوا يحصلون من التجار على رشاوى ، فى مقابل السماح للسلع المهربة بالمرور، لهذا لم يرض الهنود والعرب عن الوجود البرتغالى فى الهند . ففى عام ١٥٤٥ م ، هوجم حصن ديو من جانب كجرات Cujrat ،لكن صد البرتغاليون الهجوم . وفى عام ١٥٧١ م ، إتحدت كل من ولاية بيجابور Bijapur وأحمدنا جار Ahmednagar ، وقاليقوط للوقوف ضد البرتغاليين ، لكنهم فشلوا جميعا فى إسترداد جوا ، بسبب إستخدام البرتغاليين للأسلحة النارية الحديثة (١) .

إنهيار التواجد البرتغالى فى الهند :

بعد أن انتهينا من الحديث عن الكشوف الجغرافية البرتغالية لكل من الساحل الغربى لأفريقيا والجنوب الأفريقى وشرق القارة ، وجنوب جزيرة العرب ، وشبه القارة الهندية ، وبعد أن أشرنا إلى تجول البرتغاليين فى ساحل شبه القارة الهندية الغربى ، وعودتهم بعد ذلك إلى البرتغال ، بعد أن حققت البعثة أهدافها ، ووضعت أسس النفوذ البرتغالى فى جنوب شرق آسيا . رغم كل ذلك فإن هذا

---

(١) Mahajan. V. D. : Ibid . pp. 3-4.

النفوذ البرتغالي لم يستمر طويلا ، بل بدأ فى الإنهيار . وهـذا مـا سوف نتحدث عنه بشئ من التفصيل ، وإلقاء الضوء على عوامـل هذا الإنهيار البرتغالى وأسبابه . لقد بدأ إنهيار النفوذ البرتغالى فـى الهند منذ القرن السابع عشر ، ويرجع ذلك إلى عدة أسباب منها :

فساد الإدراة البرتغالية فى الهند الذى يرجع فى المقام الأول إلى إنخفاض مرتبات الموظفين البرتغاليين ، الذين لم يشعروا بـأى تردد فى قبول الرشاوى من أية جهة ، لرفع مسـتوى معيشـتهم . وكان معظم هؤلاء الموظفين أنانيين ، وغافلين عن معاناة النـاس ، فعقدوا العزم على تحقيق ثروات طائلة لأنفسهم بشتى الوسائل ممـا جعل السكان يتضجرون من هذا الأسلوب ، ففـى عـام ١٥٥٢ م كتبت السلطات الأهلية فى جوا إلى الملك البرتغالى تخبره بالقول " إنه لا توجد عدالة فى الهند سواء من جانب نائـب الملـك أم مـن جانب هؤلاء الذين يتولون أمر السلطة ، والذين كان هـدفهم الأول فى الهند منحصراً فى جمع المال بكـل وسـيلة ، ودون مراعـاة للمصلحة العامة للدولة .

ومن عوامل إنهيار التواجد البرتغالى فـى الهنـد ، صـغر مساحة البرتغال ، وقلة عدد سكانها ، فإن هذا جعل مـن الصـعب عليها توفير الموارد الكافية اللازمة لحكم قطر مترامـى المسـاحة كالهند . ومن هذه العوامل أيضا إستبداد الحكام البرتغاليين الأوائل، الذين كان الكثير منهم يتمتع بالفخر القومى ، والرغبة الشديدة فـى الفتح والذين كانوا يميلون إلى الشغب والقسوة والإستبداد ، وشجعهم فى ذلك نجاحهم المبكر فى الوصـول إلـى الهنـد ، وعجـرفتهم الفطرية، فلا غرابة أن ينظر البرتغاليون إلى الأسيويين بصفة عامة على أنهم رعاياهم الطبيعيون . ومنها أيضا تزاوج البرتغاليين مـن الهنديات ، الذى نتج عنه سلالة جديدة مختلطة ، كانت أقل مستوى وشجاعة من السلالة الأصلية ، ومع ذلك كانت تلك السلالة الجديدة متغطرسة وفاسدة ، وأدى ذلك بالتالى إلى أن أصـبح البرتغـاليون ممقوتين . ومن عوامل الإنهيار كذلك اهمال البرتغاليين للحصـون

التى أصبحت منهارة ، بل خالية من وسائل الدفاع والحماية منذ القرن ١٦ م ، علاوة على انهيار نظامهم وسلطاتهم ، وندلل على ذلك بأنه فى الفترة ما بين ١٥٩٧ وحتى عام ١٦٠٠ م ، كان فرانسسكو دي جاما حاكما عاما للهند ، وأثناء عودته لوطنه البرتغال ، تعرض لإهانات كبيرة من جانب الهنود الذين قاموا بإلقاء تمثال سلفه العظيم فاسكو دي جاما على الأرض ودمروه . وعندما كان فرانسسكوعلى متن إحدى السفن التى كانت تقله إلى البرتغال ، صعد إليه أربعون رجلا وأمسكوا به وعلقوه كتمثال فى أحد عوارض شراع السفينة التى تقله . هذا دليل واضح على ضعف سلطة حكومة البرتغال فى الهند، بل على مدى إستخفاف الهنود بالمسئولين البرتغاليين . ومن عوامل الإنهيار أيضا تأسيس إمبراطورية المغول فى الهند .

كانت أمبراطورية المغول من أهم أسباب فشل البرتغاليين فى شرق آسيا ، ففى بداية القرن السادس عشر ، وقبل تأسيس هذه الإمبراطورية ، لم يقابل البرتغاليون أية معارضة تذكر ، فى الهند من جانب أية قوة ، ولكن هذا الوضع لم يستمر طويلا بالنسبة للبرتغاليين ، ففى عام ١٥٥٦ م ، تنامت قوة المغول التى كان فى إمكانها الإستيلاء وبشكل عملى على كل الهند ، ووضعها تحت سيطرتها ، وفى ظل ظروف كهذه لم يوجد هناك مجال لتنامى قوة البرتغاليين فى الأرض الرئيسة ؛ أى أرض البرتغال . ومن العوامل أيضا خضوع البرتغال لأسبانيا.

فى عام ١٥٨٠ م ، هيمنت أسبانيا على البرتغال وأخضعتها لنفوذها ، وبالتالى هيمنت على المصالح البرتغالية ، إضافة إلى ذلك فإن أسبانيا وضعت قيودا عديدة على مشروعات البرتغاليين فى الهند ، دون غيرها ، مع أن لشبونة كانت فى فترة من فترات تاريخها مستودعا لأوروبا ، لكن بعد خضوعها للأسبان فقدت كل هيمنتها على تجارة الشرق ، بل كل نفوذها على ممتلكاتها فى شبه القارة الهندية . وكان من تلك العوامل توقف التقدم البرتغالى

المدهش فى مجال بناء السفن ، وما ارتبط به من تقدم فى فن الملاحة البحرية ، فقد قابل البرتغاليون أبناء أسبانيا الذين تعلموا فن بناء السفن من الأوربيين ، بكيفية أفضل من الكيفية التى تعلمها البرتغاليون فى وقت فاسكو دي جاما [1].

من الملاحظ أن تواجد البرتغاليين فى الهند قاد بالضرورة إلى صراع على المصالح . لم يكن هذا الصراع كما يقال فى بعض الأحيان صراعا بين النصارى والمسلمين ، بل كان صراعا بين المستوردين والمصدرين ، فالمستوردون الهنود كان الكثير منهم من المسلمين ، هؤلاء المستوردون الهنود رحبوا بالبرتغاليين كزبائن جدد ، بينما عارض العرب والمصريون البرتغاليين بصفتهم منافسين جدد ، الذين كان فى إمكانهم تحطيم الإحتكارات التجارية التى يقوم بها العرب . ومن العوامل كذلك ضعف السلطة البرتغالية فى الهند ، مما جعل البرتغاليين عاجزين عن حماية ممتلكاتهم فى شرق آسيا ، الأمر الذى دفع بعض الدول الأوربية وغيرها إلى منافستهم وإضعاف قوتهم والإحلال محلهم ، وكان من هذه الدول إيران .

إيران من الدول التى تصدت للتوسع البرتغالى فى جنوب شرق آسيا ، فقد استولت إيران على مضيق هرمز Ormuz عام ١٦٦٢ م ، مما كان له أكبر الأثر فى تهديد حركة الملاحة البرتغالية فى الخليج الفارسى والمحيط الهندى ، مما أثر بالتالي وبشكل كبير على التواجد البرتغالى فى الهند . وكان من عوامل إنهيار النفوذ البرتغالى فى الهند التنافس الهولندى .

كان يطلق على هولندا فى الماضى الأراضى المنخفضة ، التى تمكنت من التحرر من تحت نفوذ فيليب الثانى ملك أسبانيا . فمنذ ذلك التاريخ بدأت الشركة الهولندية التى كونتها مجموعة من تجار أمستردام عام ١٥٩٢ م ، مهامها التجارية. وبعد ثلاث سنوات

Mahjan Ibid. pp. 5-6 .

مضـــت علــى تكــوين الشــركة إنطلــق كورنيليــوس هوتمـــان Cornelius Houtman إلى الهند ، حيث مكث هناك خمس ســنوات ، عاد بعدها إلى هولندا ومعه شحنة كبيرة من السلع التجارية التابلية. وكان من أهم نتائج تلك الرحلة الهولندية فتح الأرخبيل الهندى أمام الهولنديين ، الذين نجحوا – إلى حد كبير – فــى جعــل شــركات هولندية أخرى كثيرة ، تبدأ عملها فى نفس المجــال. وفــى عـــام ١٦٠٢ ، إندمجت الشركات الهولندية كلها فى الشــركة الهولنديـــة الشرقية The Dutch East Indian Company التــى منحتهـــا الحكومـــة الهولندية ترخيص Charter يخول لها إحتكار التجـــارة الشـــرقية ، وفوضها هذا الترخيص أيضا شن الحـــرب ، وعقـــد المعاهـــدات واحتلال الأقاليم وبناء الحصون ، وبعبارة المصدر :

"The charter gave amonopoly of eastren trade to the company which was also empowered to wage war, make treaties,Occupy territories- and build fortress. The main object of the Dutch company was trade, the Dutch concentrated their attention on the spice Islands inthe Far East. They tried to establish their exclusive monopoly .

بعد ذلك حاول الهولنديون أن يؤسسوا إحتكارا شاملا لكــل سلع الشرق فعملوا على جعل رؤساء الجزر يقبلون بسيادة هولنـــدا عليهم ، عندئذ منع الهولنديون جميع الدول الأوربية الأخـــرى مـــن الإتجار مع تلك الجزر ، بل عملـــوا أيضـــا وبكـــل جهـــد لتظـــل إحتكاراتهم لتلك التجارة مستمرة . ومن عوامل الإنهيار البرتغـــالى أيضا المنافسة البريطانية

دخل البريطانيون إلى الشرق كأصدقاء ، وكـــان كـــل مـــن البريطانيين والهولنديين من أبطال البروتستانت ، فعملا معا ضـــد أسبانيا والبرتغال الكاثوليكيتين ، ولكن بعد ذلك نشأت الخلافات بين القوتين ، فصمم الهولنديون على الإحتفاظ باحتكاراتهم علـــى كـــل السواحل –شرق آسيا – مما أدى إلى ازدياد حـــدة المنافســـة بـــين البلدين ، واتسع نطاقها عام ١٦٢٣ م ، إلى حـــد أن الهولنـــديين ، دبروا مذبحة فى أمبويانا Amboyana ضد الإنجليز .

بعد هذه المأساة إضطر الإنجليز إلى ترك جزر التوابل وتراجعوا إلى الأرض الرئيسة فى الهند . وفى أثناء حكم كرومول، دفع الهولنديون إلى بريطانيا تعويضا قدره ، ٨٥,٠٠٠ خمسة وثمانين ألف جنيها إسترلينيا . ومع هذا ، لم يقلل ذلك من عزيمة الهولنديين ، فنجدهم ينتزعون ملقا من البرتغاليين عام ١٦٤١ م . وفى عام ١٦٥٨ ، إستولوا أيضا على سيلان Ceylon ، كما استولوا فى الهند على نيجاباتنام Negapatnam الواقعة على ساحل مدراس ، واستولى الهولنديون كذلك على تشنسورا Chinsurah فى البنغال. ومن البداية إلى النهاية ، كان مركز هولندا فى الهند غير ذى أهمية، نظرا لصغر مساحتها وقلة عدد سكانها .ومن عوامل إنهيار النفوذ البرتغالى فى الهند المنافسة الدنمركية .

تشجع الدنمركيون فى المشاركة فى التجارة الهندية ذات القيمة الإقتصادية ، بعد أن رأوا التجار الأوروبيين يمارسون تلك التجارة . ففى عام ١٦٢٠ م ، حقق الدنمركيون أهدافهم عن طريق تأسيس تجارهم لمستوطنتين ، أسست إحداها فى مقاطعة تنجور Tangore ، وأسست الأخرى فى مقاطعة ترانكبار Tranquebar.وفى عام ١٦٧٦ م احتل الدنمركيون سيرومبور Sirumpour ، ومع ذلك لم يكن لهم من المستوطنات فى الهند ما يستحق الذكر . وفى عام ١٨٤٥ م ، باع الدنمركيون مستوطناتهم فى الهند إلى الحكومة البريطانية (١) .

ومن عوامل إنهيار التواجد البرتغالى فى شرق آسيا أيضا إزدياد نفوذ سلطان مسقط العربى ، الذى أعاد نفوذ العرب على المدن الساحلية فى شرق أفريقيا ، والذين عملوا بالتجارة ، ولم يكن العرب – كما هو معروف – مستكشفين ، لهذا ظل داخل أفريقيا مجهولا . ورغم ذلك بقيت أفريقيا مستقرة إلى أن جاء الإستعمار الأوروبى . وفى عام ١٨٤٠ م ، هيئت هذه المنطقة لتكون تحت

Mahajan, V D : Ibid . pp. 7-8 .

سيطرة السيد سعيد حاكم عُمان ، الذى حقق سيطرة على كل ساحل شرق أفريقيا ، بدءاً من عاصمته فى جزيرة زنجبار وحتى ممبسة.

نتائج الكشوف الجغرافية البرتغالية :

من المعروف أن البرتغاليين تأثروا بما شاهدوه فى بلاد الشرق ، وانعكس ذلك جليا فى أسلوبهم المعمارى الجديد الذى لا تزال بقاياه حتى يومنا هذا ، ويطلق على هذا الفن المعمارى إسم المانويلى نسبة إلى الملك عمانويل ، الذى تم فى حكمه إرسال أول حملة كشفية ناجحة إلى الهند . ويتميز هذا الفن المعمارى بكثرة إستخدام العناصر الزخرفية المرتبطة بالبحر وبالحياة البحرية ، وبالمنتجات المجلوبة بالسفن ، فقد تم نحت الأعمدة الحجرية المصممة على هيئة الحبال المجدولة التى تحمل الأسقف والشبابيك،كما نحتت دلايات من الرخام والجرانيت على هيئة أعشاب بحرية ، وزخرفت المنازل بالهلوب والدلافين ، والأسماك المنحوتة من الأحجار ،كما زخرفت أطراف الأبراج المدببة بتماثيل ضخمة ، نحتت من الأحجار على هيئة ثمار الأناناس ، وأسنان الفيلة ، وأشجار النخيل والجوز ، وكلها أشياء تذكرنا بالرحلة الأولى حول العالم .

لم تقتصر تأثيرات الرحلة إلى شرق آسيا على الفن المعمارى العام بل تأثرت به الأبنية الخاصة ، على مدى قرن من الزمن ، فقد زخرفت الكنائس ، والقصور ، والحصون ، التى بنيت فى القرى والمدن بنفس الكيفية السابقة . ولم يقف هذا الأمر عند هذا الحد ، بل بحلول منتصف القرن ١٦ م تدفق الذهب والفضة على البرتغال ، فاستخدم الورق المذهب بسخاء لتغطية الحوائط ، والأسقف والمذابح ، فأدى ذلك إلى فقدان الحس الجمالى لدرجة أن بريق هذه الأشياء ،كان يحول دون رؤيتها .

ومن النتائج التى تحققت للبرتغاليين أيضا من الرحلة الكشفية إلى الهند أن أصبح لهم تجارة مع الشرق الأقصى ، إضافة إلى فتح أسواق لهم فى غرب أفريقيا والبرازيل ، فحققوا بذلك ثروة طائلة زادتهم إحساسا بالمحيط الواسع وبالطرق البحرية ، وبأهمية كل هذا للوطن البرتغالى ، بماله من خط ساحلى طويل يمثل جزءا من الساحل الشرقى للمحيط الأطلسى . ففى غضون عشرين عاما بعد رحلة فاسكو الأولى ، كان البرتغاليون قد رسخوا نفوذهم بشكل جيد فى المناطق التى فتحوها ، فأقاموا المراكز التجارية ، التى أصبحت بعد ذلك ممتلكات برتغالية تمتد بطول السواحل الإفريقية والهندية ، ووضعوا أساسا لقيام إمبراطوريتهم البحرية The portuguse Maritime Empire ، ولكن على الرغم من ذلك فإن استقرار البرتغاليين فى الشرق لم يستمر طويلا ، فقد فقدت البرتغال – ومنذ وقت مبكر – مستعمراتها فى الهند ، واحتفظت لنفسها فقط ببعض المستعمرات الخاصة فى أفريقيا مثل : مالندى التى عقد فاسكو دي جاما ، مع سلطانها المعاهدة الأولى ، التى أصبحت بمقتضاها مالندى من الممتلكات البرتغالية الخاصة ،ومثل موزمبيق التى – كان سلطانها معاديا للبرتغاليين – أصبحت هى الأخرى عاصمة لإقليم برتغالى فى شرق أفريقيا .

ومن النتائج أيضا تنظيم البرتغاليين الفعال للتجارة البحرية الساحلية ، فمن المعروف أن القراصنة إتخذوا من ساحل الملبار Malbar أوكارا لهم ، ودرجوا على مهاجمة السفن الصغيرة التى تعمل بأعداد كبيرة بين كوجارات Cujarat من ناحية ، وسيلان Ceylon ومدراس والبنغال من ناحية أخرى . فمن المعروف أن البرتغاليين حينما استقروا فى الهند ، وفروا قوارب حربية صغيرة مزودة بالمدافع Gun boat لترافق الأساطيل التى تتكون منها السفن التجارية، وذلك لحمايتها من قراصنة البحر . وبهذه الوسيلة نجح البرتغاليون فى ترسيخ الأمن على طول طرق التجارة الهندية بدرجة جيدة ، بل حموا طرق التجارة من الهند وحتى البرتغال .

وكان من النتائج كذلك إضمحلال موانئ البحر المتوسط وانهيارها ، بعدما كانت من أكثر موانئ العالم إزدهارا وشهرة . ومن ناحية أخرى إزدهرت موانئ أوروبا الغربية ، وتطورت أساطيلها البحرية التى مكنتها من الإستيلاء على المستعمرات ، والتى كانت تمثل مصادر للمواد الأولية ، اللازمة لتلك الدول الأوروبية . وكانت تلك المستعمرات تمثل أهم الأسواق التجارية الإستهلاكية للمنتج الصناعى الأوروبى الزائد عن حاجة السكان . وأدى ذلك بالتالى إلى نشوب الصراع الحربى بين هذه الدول الأوروبية ، خاصة عندما تضاربت المصالح فيما بينها . وقد نتج عن هيمنة الأوروبيين على تجارة الشرق إنهيار جمهورية البندقية ، التى كانت تمثل الوسيط الأوروبى فى نقل تجارة الشرق وتوصيلها إلى أوروبا ، وأصيبت بالفقر أيضا المناطق الخلفية من أقطار البحر المتوسط ، وعادت إلى الإقتصاد الزراعى التى حاولت تطويره .

وكان من النتائج أيضا قيام البرتغاليين بحرمان العرب بعامة والمغاربة المسلمين بخاصة من ممارسة التجارة فى التوابل ، فعندما وصل البوكيرك إلى الهند قرر إستئصال شأفة العرب والمغاربة . ويذكر البوكيرك : " إنه لو استطاع إنجاز هذه المهمة فستكون النتيجة أن المغاربة سيتخلون بشكل كلى عن الهند إلى ملك البرتغال " ومن الجدير ذكره أن الغالبية العظمى من المغاربة التى كانت تعيش فى الهند على التجارة أصبحت نتيجة لذلك غنية وأصبحت هذه الغالبية صاحبة ثروة طائلة ، فالمغاربة كانوا يهيمنون على تلك التجارة ، ويقول البوكيرك " لو حرمنا العرب من هذا العمل فإن سوقهم القديم سوف لا يحتفظ لهم ، ولو بميناء واحد ولا بمكان مناسب فى كل هذه الأرجاء، يمكنهم من مواصلة تجارتهم فى تلك الأشياء " . وبالفعل حرمت القاهرة ومكة والبندقية من توابل الهند ، ولا يمكن أن يتم ذلك إلا باستخدام البرتغاليين لأسطول حربى ضخم ، كان يقوم بمهمة الإبحار والحراسة ، بصفة مستمرة فى عرض البحر ، ولا يمكن للدول آنفة الذكر الحصول

على تلك السلع إلا إذا ذهب تجارها إلى لشبونة ، لشراء ما يحتاجون إليه من توابل الهند .

ومن النتائج كذلك أن البعثة الكشفية البرتغالية كانت قد مرت بعدد من المدن العربية المشهورة ، الواقعة على سواحل شرق أفريقيا . فهذه المدن هي سوفالا Sofala وموزمبيق وممبسة ومالندى. وكانت هذه المدن جميعها تعيش في أمن وسلام واستقرار، بل كان السكان يعيشون حياة مترفة . ظهر ذلك جليا فى مبانى تلك المدن المتمثل فى فن العمارة ، وفى الأسواق ، وفى الموانئ التى كانت تعج بالسفن وبالسلع التجارية . ومن الجدير ذكره أن السلاطين العرب فى ساحل شرق أفريقيا قد عجزوا عن مقاومة البرتغاليين ، رغم إمتلاكهم لموارد إقتصادية ضخمة لو استخدموها إستخداما علميا لقضوا بسهولة على أفراد تلك الحملة ، الذين كانوا فى حالة من الإعياء الشديد ، والضعف والإنهاك ، بحيث كانوا لا يستطيعون معها إلى التصدى لأية مقاومة ، حتى ولو كانت بسيطة، لكن هؤلاء السلاطين إنشغلوا بأمور لا تجدى ولا تنفع واكتفوا بأن يحيوا حياة مرفهة ، بعيدة عن الجد والإلتزام ، فأهملوا تأسيس قوة عسكرية تحمى مدنهم وأموالهم ، وتصون أعراضهم ولكنهم – فيما يبدو إعتبروا أنفسهم فى منأى عن أعين الأوروبيين أو غيرهم حتى أنهم لم يفكروا مجرد التفكير – فى أنه فى أى يوم من الأيام سيتعرضون لأى هجوم خارجى . كان كل ذلك بعيدا عن خيالهم ، لهذا فوجئ هؤلاء السلاطين فى شرق أفريقيا ، بهذه القوة البرتغالية المنهكة الضعيفة التى كان من الممكن القضاء عليها بيسر وسهولة . وكان من نتائج الحملات البرتغالية الكشفية إلى الهند وصولها إلى فارس، حيث إستولت على ميناء هرمز الهام عام١٥١٥ م ، إضافة إلى فتح بلاد الشرق – أرض التوابل والثروة – وكان من النتائج كذلك إهتمام الأوروبيين ببلاد الشرق التى وصل إليها عام ١٦٠٠ م عدد من التجار الإنجليز والفرنسيين والهولنديين.

ومن النتائج أيضا وصول بعض المستكشفين إلى أسيا وأفريقيا ؛ أى بعد قرن من الزمن على مجئ البرتغاليين إلى آسيا ، وكان من هؤلاء المستكشفين الكاهن الجزويتى الشجاع ، الذى وصل إلى التبت بنجاح ، ومن بعده قام دورت باربوسا Duarte Barbosa الرحالة البرتغالى ، الذى زار كيلوه فى أفريقيا ، وتأثر بما شاهده فيها من حضارة ،وكتب تقريرا عنها جاء فيه " إن هذه المدينة غنية بالذهب " .

ومن النتائج أيضا ، إستيلاء فرانسيسكو دى الميدا Francisco de Almeida ، على كيلوة التى بنى بها حصنا ، ومن بعدها إستولى على ممبسة ، ثم قام بتدميرها بعد ذلك ، وملئت شوارعها بما يزيد على ١٥٠٠ جثة . وفى غضون سنوات قليلة كان كل ساحل الزنج – ساحل شرق أفريقيا – أى المنطقة الواقعة فيما بين سوفالا ومقديشو قد سقطت فى أيدى البرتغاليين . وكان من نتائج الوجود البرتغالى فى شرق أفريقيا تعرضهم للتحدى ، من جانب القبائل الداخلية المولعة بالحرب ، ففى عام ١٥٨٧ ،نهب مقاتلو قبيلة زيمبا Zimba كيلوة وذبحو ٣٠٠٠ من سكانها ، وتقدموا مع الساحل وهم يقتلون ويأكلون كل شئ من كلاب وقطط وفئران وثعابين وسحالى ، ولم يتركوا أى شئ . ليس من الغريب أن يأكل سكان قبيلة زيمبا أى شئ مما سبق ذكره لأن هذا من عاداتهم الإجتماعية .

وكان من النتائج أيضا وقوف المستكشفين البرتغاليين على المخاطر الداخلية لأفريقيا ، فكان هناك خوف من رجال القبائل ، وخوف من الجدب ومن الطبيعة غير المشجعة ، ومن الأنهار المسدودة غير الصالحة للملاحة ، كل هذه العوامل ساعدت على تثبيط همة الإستكشاف الداخلى .

ومن النتائج أيضا بناء البرتغاليين للمراكز العسكرية والتجارية على طول خطوط سيرهم ، ومنها كذلك إستكشاف

فرانسسكو دى الميدا للمنطقة المسماه ماشونا لانـــد Mashonaland– ماسونا لاند – الذى قال أن نهر الزمبيزى يعتبر أسهل طريق يؤدى للداخل ، فهذا النهر فى الواقع هو النهر الوحيد الصالح للملاحة فى أفريقيا الشرقية ؛ أى أنه صالح لمسافة ٣٠٠ ميــل . ففــى عــام ١٥٣١م ، تمكن البرتغاليون من تأسيس قواعد أمامية فى مستوطنة سنا Sena ، وفى عام ١٥٦٠ م ، أسسوا مستوطنة تت Tete . وفــى سنا كان البرتغاليون من أول الأوروبيين الذين أسسوا إتصالا مــع مملكة البانتو Bantu Kingdom التابعة للموانا موتابا Mwanamutaba ، ويعنى هذا الإسم اللقب الموروث الممنوح للشيخ الأعلى لمجموعــة القبائل التى أحتلت فيما بعد من جانب البريطانيين ، والتى عرفــت بروديسيا .

كان أنطونيو جيادو Antonio Gaiado مــن أول البرتغــاليين الذين وصلوا إلى بلاط الموانا موتابا ، فقد ذهب ليعيش فى بــلاط الموانا موتابا عام ١٥٥٠ م ، ولقــب بــالقيم علــى المصــروفات البرتغالية ، فكان له الحق فى ٢٠/١ من قيمة كل الأقمشة المرسلة إلى الداخل للمقايضة ، وكانت المدينة الرئيسة لمملكة الموانامو‌تابــا تقع على بعد حوالى ٣٠٠ ميل إلى الشمال مــن القلعــة الحجريــة المحصنة ، التى تسمى زمبابوى العظيمة ، The Great Zimbabwe . وبحسب ما ذكره الرحالة البرتغاليين ، فإن شعب الموانــا موتابــا عاش فترة من الزمن فى زيمبابوى العظيمة ، ثــم غادرهــا بعــد حوالى قرن من الزمن بسبب نقص الإمدادات بالملح ، وفى أواخر القرن ١٧ م تلاشت زيمبابوى العظيمة تدريجيا – بعد الكشف عــن أطلالها الحجرية – التى أثارت إهتمام وحيــرة المــؤرخين لفتــرة طويلة من الزمن، إعتقد هؤلاء المؤرخون الأوروبيون بأن بناء تلك المملكة كان من عمل العرب ، أو ربما كان من عمل الفينيقيــين ، فكانت الأحجار التى بنيت منها زيمبابوى العظيمة شبيهة بالأحجار التى بنيت منها مملكة أوفير الأسطورية أى مملكة ســبأ – الأرض التوراتية – التى كانت ترسل الهدايا النفيسة إلى الملك ســليمان – نبى الله – وأوضحت البحوث الحديثة بأن زيمبابوى العظيمة بنيــت

بواسطة شعوب الماشونا لاند التى كانت تتحدث بلغة البانتو منذ فترات طويلة ، تتراوح مابين ٨٠٠٠ إلى ١٤٠٠ ق.م وتعتبر زيمبابوى رمزا لمملكة ثرية ، كان ينقل منها الذهب والفضة والنحاس إلى سونولا Sonola ، وهناك يباع إلى تجار العرب ، وكان تشييدها من نفس نوعية التشييد السائد فى هذا الزمن .

وقد وجد فى مملكة البانتو من الخرائب ما يربو على ٣٠٠ خرابة ، وكانت هذه الخرائب قد بنيت من الأحجار المتشابهة ، كما وجد فيها بقايا مساكن للسكان السابقين ، وربما وجد معابد فى كل من روديسيا وموزمبيق . وفى عام ١٦٠٩ م ، نشر الكاهن الدومنيكانى – المدعو جاو دوس سانتوس Joao dos Santos تقريرا عن الرحلات التى تمت بصلة إلى ممالك البانتو ، فقد زار هذا الكاهن مملكة عرفت بمملكة الكويتيف The Quiteve Kingdom – والكويتيف هذا هو إبن الموانا موتابا ، الذى حكم تلك المناطق فى ذلك الوقت – ووصف جاو دوس سانتوس الشعائر التى كانت تمارس فى بلاط مملكة الكويتيف بالقول " لو حدث ورغب بعض الرعاة فى تقديم أية شكوى للملك ، كان عليهم أن ينبطحوا على الأرض ، ويزحفون حتى يصلوا إلى المكان الذى يجلس فيه هذا الملك . وعند خروج الملك إليهم ، كانوا يتحدثون دون أن ينظروا إليه ، وفى أثناء ذلك كانوا يضربون الأرض بأيديهم .

وعندما ينتهون من الحديث إلى هذا الملك كانوا يعودون زحفا مثلما فعلوا عند المقابلة ، وكان على البرتغاليين أن يمارسوا تلك الطقوس عند مقابلة هذا الملك ، وعلق دوس سانتوس باستياء على هذا الأسلوب المتبع فى بلاط مملكة الكويتيف بالقول " أن الكافرس والبرتغاليين كانوا يتسلون مع الملك بشرب نبيذ المايـاس أو بشرب شعيرهم المسمى بنبيذ البومب المتعب للمعدة . وبعبارة االمصدر :

"Both Cafres and Portuguese are entertainment by him with wine of Mayas ,or their wheat, called pombe against stomach".

وكان هؤلاء يشربون هذا ا لمشروب رغم أنه يتعب المعدة ويسأل المستكشفون البرتغاليون والكويتيف أسئلة يرجع تاريخها إلى

٢٥٠ سنة ماضية ، ولكن لم يجاب عنها فى ذلك الوقت ، فعلى سبيل المثال كانوا يسألون عن المكان الذى ينبع منه نهر الزمبيزى. وكتب دوس سانتوس يقول : " أن منبع هذا النهر كان يقع على مسافة بعيدة فى الداخل ، بحيث لم يعرفه أحد منهم – أى من البانتو– ولكن كان يقال أن هذا النهر يأتى من بحيرة تقع فى وسط القارة ، وتمد هذه البحيرة أنهارا أخرى كثيرة بالمياه ، وعلى قدر معرفتنا فلم يصل البرتغاليون إلى أى مصدر لهذا النهر ، ولكن من المعتقد أن التجار صعدوا معه إلى مسافة ٨٠٠ ميل من مصبه ، وكانوا قد أسسوا معارض تجارية فى أحد الأماكن فى الداخل ، ربما تكون هى روديسيا الآن .

ومن النتائج كذلك أنه فى عام ١٦٤٤ ، أجبر البرتغاليون الموانا موتابا أن يصبح موظفا لدى ملك البرتغال ، كما أجبروه على أن يوافق على بناء –كنيسة مسيحية – وأجبر كذلك على إستقبال كاهن برتغالى فى مملكته ليقيم الشعائر الدينية لسكان مملكته ، ومن النتائج أيضا أنه فى عام ١٧٠٠ م ، جلب البرتغاليون أسر المستوطنين الأوائل ليؤسسوا مستعمرات فى موزمبيق . ومن الجدير ذكره أنه فى نفس العام لم يكن يوجد من البرتغاليين فى موزمبيق إلا حوالى ٤٠٠ برتغالى ، كانوا يعيشون فى منطقة يبلغ طولها ١٥٠٠ ميل مع ساحل أفريقيا الشرقية ، ومع ذلك لم يتمكن البرتغاليون من الحصول على معدنى الذهب والفضة، اللذين كانا يأملان فى الحصول عليهما حتى عشية خروجهم من تلك المنطقة .

وكان من النتائج أيضا ممارسة البرتغاليين لتجارة الرقيق الإفريقية ، فكانوا من أول الأوروبيين ، الذين مارسوا تلك التجارة المشينة ، ومن بعدهم مارسها الأسبان ، والبريطانيون على نطاق واسع ، فكان الرق ينقل من غرب أفريقيا إلى العالم الجديد ، لبيعه للزراع الجدد هناك . وكان لهذه التجارة آثار إقتصادية واجتماعية سيئة على القارة الإفريقية .

ولنا أن نتساءل بالقول هل تجارة الرق الإفريقية كانت وليدة مجئ الأوربيين إلى أفريقيا ، أم كانت موجودة قبـل هـذا المجـئ الأوروبى ؟ الإجابة على ذلك تقول أن تجارة الرق الإفريقية كانت موجودة قبل مجئ الأوروبيين ، ولكنها كانت تجارة محلية ، وليست عالمية ؛ أى أن تجارة الرق كانت تمارس فى أفريقيا بشكل عادى . وكان الرق يعامل فى البلدان العربية معاملة حسنة بخلاف المعاملة السيئة التى كان يلقاها فى العالم الجديـد مـن قسـوة وعنصـرية واستعباد [١] . فمن المعروف أن زنجبار كانت أكبر سوق للرقيـق فى شرق أفريقيا ، فكانت القوافل العربية والسواحلية تتوغل بعيـدا نحو الداخل حتى تصل إلى البحيرات الإفريقية الشرقية بحثا عـن العبيد – العاج الأسود – ثم تعود هذه القوافل بعد ذلك إلى السـاحل الشرقى ومعها الرقيق المربوط والمقيد ، الذى يبـاع فـى سـوق زنجبار إلى التجار ، الذين كانوا يقومون بنقله إلى الجزيرة العربية، وإلى شمال أفريقيا وغيرها . وننوه هنا إلى أن الأوروبيين مارسوا تجارة الرق الإفريقية على نطاق واسع ،فكان دورهم فـى غـرب أفريقيا يختلف عن دورهم فى شرق القارة . ففـى الغـرب كـان الأوروبيون يأتون كنخاسة أى تجار للرقيق ، بينما فى الشرق ومنذ عام ١٨٠٠ م وما بعده أتى الأوروبيون كمحررين للعبيد ، لأنهـم فى ذلك الوقت لم يكونوا فى حاجة إلى خدمات هؤلاء العبيد ، الذين تم الإستغناء عنهم . وبذلك إنتهت هذه التجارة بـلا رجعـة وإلـى الأبد. وللاستزادة انظر: [٢] [٣]

هل كانت الكشوف الجغرافية البرتغالية تهدف إلى الاستعمار والاستغلال ونشر المسيحية ؟

هذا ما سوف نجيب عليه من خلال ما سنتناوله بشـئ مـن التفصيل ، فنتناول أولا الإشارة إلى أهدافهم الدينية . من الواضـح أن البرتغاليين لم يكن لهم هدفا دينيا ، بقدر ما كان لهم من أهـداف إقتصادية ، فلأهداف الدينية المرتبطة بالكشوف الجغرافية قامت بها

---

[١] Double day and Company Inc: Exploring Africa and Asia,the encyclopedia of discovery and exploration, Garden city, New York, 1975, pp. 67,182-188 .

[٢] The British seamen during the sixteenth century . look at it .

[٣] Frank Mcquilin, think black . the bruce, Publishing company, New York . 1970 .

جهات دينية بحتة ، ولم تقم بها الحكومات الأوروبيـة ، لأن تلـك الحكومات كانت قد أدارت بظهرها إلى الكنيسة منذ عصر النهضة الأوروبية ، إعتقادا من الأوروبيين بأن الكنيسة كانت معوقة لحركة النهضة الحديثة ، ومع ذلك حاول بعض رجال الحملات الكشـفية البرتغالية نشر المسيحية فى الهند عن طريق إستخدام القوة ، كـى يتخذ البرتغاليون من ذلك ذريعة أمام الرأى العام الأوروبى بـأنهم جاءوا إلى الهند من أجل نشر المسيحية ، ووصل بهم الأمـر إلـى إستخدام القوة ضد السكان الهنود لإجبارهم على اعتنـاق الديانـة المسيحية . وكان البرتغاليون يحاكمون الذين يرفضون الدخول فى تلك العقيدة الجديدة . ومن الجدير ذكره أن البرتغـاليين لـم يكـن هدفهم الحقيقى نشر المسيحية بقدر ما كان هدفا إقتصاديا محضـا ، فلو كان هدفهم دينيا لكان من الأجدى بهم تنصير سكان أفريقيا من السود وما أكثرهم ، الذين لا يزالون على العقيدة الوثنية . ونـدلل على ذلك بما ورد فى المصدر :

" In addition to discovering the trade roats for eastren goods the purposes of the expedition included the spreading of the Christian religion hitherto, condition on the voyage had been impossible for this[1].

ومن محاولات التنصير غير الجادة تلك التـى قامـت بهـا بعثات التنصير الفرنسيسكانية Franciscan Missions ، التى وصـلت إلى الهند ، واتخذت من جوا مركزا لعملها . هذا ما عرف بالجهـد غير الرسمى ، إضافة إلى ذلك فإنـه فـى عـام ١٥٤٠ م ، قـام البرتغاليون ، بتدمير المعابد الهندوسية فى الهند لإجبار السكان على الدخول فى النصرانية ، ولكن دون جدوى ، وكان هـذا الإجـراء يهدف إلى تغطية التواجد البرتغالى فى الهند ، بأن الهدف من هـذا التواجد البرتغالى هو هدفا دينيا ، وليس هدفا إقتصاديا . ونشير هنا إلى أن نشر المسيحية كان يقوم به أفراد وليست حكومـات ، ففـى منتصف القرن ١٩ م، قدم إلى جنوب أفريقيا الطبيـب البريطـانى ديفيد لفنجستون ، الذى كان فى طريقه إلى الصين للتنصير هناك ، ولكنه التقى فى جنوب أفريقيا بالمنصر البريطانى هنـرى موفـات

---

[1] Stlla Davies: Op. Cit. p. 88.

Henry Mofat ، الذى أقنعه بالمكوث معه فى جنوب القارة الإفريقية، كى يمارس نشاطه التبشيرى بين السكان فى هذه المنطقة ، وبعبارة المصدر:

" Livingstone purposes in going to Africa had been to spread the word of God among the African people "[1]

وفى جنوب أفريقيا لم يقم ديفيد لفنجستون البريطانى الجنسية بالتنصير ، بل قام بالإستكشاف . هذا دليل على أن الهدف الدينى كان هدفا ثانويا ، فقد تجول ديفيد لفنجستون فى جنوب القارة ، واكتشف هذا المغامر البريطانى نهر الزمبيزى ، ووقف على موارد تلك البلاد الزراعية والمعدنية ، ثم عاد بعد ذلك إلى بريطانيا . وهناك أخبر أعضاء الجمعية الجغرافية الملكية البريطانية ، بأن جنوب أفريقيا أصبح مفتوحا ، وعليكم أن تذهبوا إليها وتستغلوا مواردها .وندلل على ذلك بما ورد فى المصدر :

In an address at Combridge University he concluded ; I beg to direct your attention to Africa ... Which is now open . Do not Let it be Shut again ! I go back to Africa to try to make an open path for commerce and for Christianity " Livingstone returned to Africa as British consul at Quelimane , Commissioned to make the Zambezi a path for commerce into the interior and thus end the slave trade .

بعد هذا العرض يتضح لنا أن هدف هذه البعثات الكشفية وغيرها من البعثات الأوروبية الأخرى ، لم يكن هدفا دينيا ، كما ذكر ، فلم نشاهد على سبيل المثال أن رجال بعثة فاسكو دي جاما هذه وغيرها من البعثات الكشفية حملت على متنها أى أفراد من القسس للقيام بمهمة التنصير بين شعوب المناطق التى قامت البعثات البرتغالية بالوصول إليها وكشفها [٢] .

بعد أن انتهينا من الإشارة إلى الجانب الدينى نشير ثانية إلى أهداف البرتغال الإقتصادية ، فمن المعروف أن البرتغاليين قد

---

[1] Doubleday and Company Inc. Garden City. New York: Exploring Africa and Asia : Op.cit . pp. 223..

[٢] للإستزادة أنظر : جوزفين كام : المستكشفون فى أفريقيا ، ترجمة د . السيد يوسف نصر ، دار المعارف القاهرة ، ١٩٨٣ م .

رغبوا فى الوصول إلى مصادر تجارة جنوب شرق آسيا (الهند)، المتمثلة فى التوابل والحرير والقطن والأرز والمعادن الثمينة ، إذن من الواضح جدا أن هدف البرتغاليين كان هدفا إقتصاديا ، والدليل على ذلك أنهم قاموا بإنشاء بعض المراكز التجارية العسكرية The Military and Commericial Posts على طول السواحل التى مروا بها .

ومن الأدلة كذلك أن فاسكو دي جاما عندما وصل إلى مالندى - بلدة صغيرة تقع على ساحل شرق أفريقيا - عقد معاهدة مع سلطانها كان من أهم بنودها :

- مساعدة فاسكو دي جاما لسلطان مالندى فى حربه ضد سلطان ممبسة ، حيث قام فاسكو بضرب مدينة ممبسة بالقنابل بعد عودته من الهند ، وفى مقابل ذلك قدم سلطان مالندى كل التسهيلات لبعثة فاسكو دي جاما، وفى مالندى أيضا أقام فاسكو عمودا من الرخام على الشاطئ كتذكار لهذه المعاهدة ، وليكن فى المستقبل علامة مميزة لإنقاذ أى بعثة برتغالية ترسل إلى هذه المناطق . وندلل على ذلك بما ورد فى المصدر :

" Amarble pillar was erected on the shore to commemorate the treaty and to serve as land mark for future expedition .
This pillar still stands. It is the first permanent construction made by European on the East African coast[١] .

لم تقف أنشطة فاسكو عند هذا الحد ، بل إستمر فى عقد المعاهدات الإقتصادية ، فقد عقد معاهدة تجارة وسلام مع ملك كنانور ، ويتضح ذلك من هذا النص المقتبس من المصدر :

" In the course of a week or two and without trouble, treaty of trade.friendship and peace was signed the king of Cananor andVasco, acting as the ambassador of King portugal. The king of Cananor was anxious to break the monopoly of the Arabs and was not averse to out-writing the King of Calicut.Unlike that King he was neither indebted to the Arabs nor afraid of them" . [٢]

---

[١] Stella Davis:Op. cit. P.88.
[٢] Stella Davis : Ibid. p. 88.

ومن المبررات الدالة على أن بعثة فاسكو دي جاما لم تكن بعثة دينية حصوله على حق إمتياز يخول له إعداد أسطول صغير بلغ عدد سفنه ١٩ سفينة خاصة بعد نجاحه فى بعثته الكشفية إلى الهند ، وقد شحنت سفن هذا الأسطول جميعها بالسلع البرتغالية الثمينة . بعد ذلك توجه فاسكو بهذا الأسطول إلى الهند من أجل التبادل التجارى فى السلع الشرقية ، وقد حقق فاسكو دي جاما أرباحا طائلة مع أنه بدأ حياته مجرد قبطان سفينة عادية .

وفى الختام يمكن القول بأن الهدف من الكشوف الجغرافية البرتغالية ، لم يكن هدفا دينيا ، بقدر ما كان هدفا إقتصاديا محضا ، يتمثل فى إستغلال موارد الشعوب الإفريقية والأسيوية ، المتمثلة فى الحاصلات الزراعية ، والحيوانية والسمكية والمعدنية لصالح الشعب البرتغالى ، فقط دون إستفادة شعوب هذه البلاد من تلك الثروات ، بل وصل الأمر بالبرتغاليين إلى الإتجار فى أبناء أفريقيا ، واعتبارهم ثروة تباع وتشترى ، وساعدهم فى ذلك ما إمتلكوه من قوة عسكرية وبحرية وخبرة علمية مكنتهم من استغلال كل موارد البلاد المكتشفة . وكان من العوامل المشجعة لهم أيضا تخلف البلدان الإفريقية والأسيوية ، بحيث لم يكن لدى حكام هذه الدول من وسائل القوة ، ما يمكنهم من الدفاع عن بلادهم ، بل كان كل جل إهتمام هؤلاء الحكام الأفارقة والعرب على حد سواء اللهو والعمل على أن يحيوا حياة مرفهة على حساب شعوبهم المقهورة المستعبدة. .

الخاتمة الأولى

بعد هذا العرض يتضح لنا أن البلدان العربية والإسلامية تمتلك ثروات طائلة لو أستغلت هذه الثروات إستغلالا صحيحا لعاد ذلك بالنفع على بلادهم وشعوبهم على حد سواء . فيمكن للبلدان العربية أن تستخدم ثروات بلادها في إنشاء مراكز البحوث العلمية المتقدمة ، وفي تطوير المستشفيات والمدارس والجامعات ، وفي إنشاء صناعات عسكرية متطورة مسايرة للتكنولوجيا الحديثة ، فضلا عن إنشاء مفاعلات نووية على غرار ما تنشئه إسرائيل ، وما أنشأته من قبل ، وأصبحت بذلك الدولة النووية الوحيدة في الشرق الأوسط ، التي تهدد جميع الدول العربية والإسلامية على حد سواء .

ولكي تحمي الدول العربية والإسلامية نفسها من أي خطر خارجي محتمل فعليها أن تتحد فيما بينها ، بحيث يتضمن هذا الإتحاد العربي الإسلامي كل مناحي الحياة الإقتصادية والعسكرية والسياسية والثقافية والبرلمانية والأمنية . خاصة وأن مقومات هذا الإتحاد متاحة ، فهذه المقومات تتمثل في وحدة الجغرافيا والتاريخ والعقيدة واللغة والعادات والتقاليد . ولو تم هذا الإتحاد فسيكون على غرار الإتحاد الأوروبي . وسيؤدي هذا بالتالي إلى نهضة الشعوب العربية وتقدمها وتطورها ، مسايرة لما يحدث في العالم المعاصر الحر من حولنا.

ومن الجدير ذكره أن البرتغال لم تقم بهذا العمل حبا فى الكشف الجغرافى أو حبا فى كشف طرق جديدة بقدر ما كان الهدف الحقيقى وراء هذا العمل هو إكتشاف الموارد الإقتصادية المتنوعة فى البلدان التى تم كشفها ، سواء أكانت هذه الموارد زراعية

كالمطاط والكاكاو والغلات الزراعية المختلفة أم كانت معدنية كالذهب والفضة وغيرها من معادن ذات أهمية ، مثل النحاس والحديد والألومنيوم . وكانت البرتغال وغيرها من دول أوربا في حاجة إلى تلك الموارد المختلفة ، لأن هذه الدول الأوربية أصبحت متقدمة علميا ويمكنها إستغلال هذه الموارد المختلفة لصالح أبنائها ، وكانت هذه الدول تحصل على هذه الموارد دون مقابل .

فضلا عن ذلك ، فإن البرتغال إستغلت أبناء تلك الشعوب إستغلالاً سيئاً فاستعملتهم كعبيد وخدم وزراع وألحقتهم وغيرهم من أبناء دول أوربا فى الخدمة العسكرية للعمل فى جيوشها، وقد خرج هؤلاء الأفراد من هذه الخدمة دون الحصول على أى تعويضات أو معاشات. ولم يقتصر إستغلال البرتغال لأبناء مستعمراتها في أفريقيا وغيرها فى الأعمال المختلفة ، بل تاجرت البرتغال فيهم ، واستخدمتهم كسلعة تباع وتشترى، وظهر ذلك جليا فى عصر ما يعرف بتجارة الرق الإفريقية، ويمكن القول بأن دولة البرتغال رغم صغرها وقلة سكانها إستعمرت الهند وأجزاء من قارة أفريقيا، واستغلت موارد تلك البلاد وأبنائها أسوأ إستغلال ، بل أبشع إستغلال.

الفصل الثالث

الكشوف الجغرافية الأسبانية في مطلع التاريخ الحديث
بين الإستعمار والإستغلال

الفصل الثالث

الكشوف الجغرافية الأسبانية فى مطلع التاريخ الحديث

بين الإستعمار والإستغلال

بعد أن انتهينا من دراسة الكشوف الجغرافية البرتغالية بشئ من التفصيل ، وتوضيح أهدافها ، وما وصلت إليه من نتائج،نتناول أيضا بالدراسة والتحليل دور أسبانيا بشئ من التفصيل . فمن المعروف أن هدف كل من البرتغال وأسبانيا هو الوصول إلى شرق آسيا ، للحصول على التوابل Spices ، والسلع المختلفة الأخرى ، كالمعادن والأرز ، والقطن والحرير وغيرها فإذا كانت هاتان الدولتان قد اتفقتا فى الهدف ، لكنهما إختلفتا فى وسيلة الوصول إلى تحقيقه،فنلاحظ أن البرتغال إتخذت طريقها إلى شرق آسيا من حول أفريقيا ، حتى وصلت فى النهاية إلى الهند ، بينما نجد أن الأسبان إتخذوا طريقهم إلى شرق آسيا عن طريق الغرب ، أى عبر المحيط الأطلنطى .

فإذا كان فاسكو دي جاما هو الشخص المغامر الذى قام على رأس بعثة برتغالية كشفية ، تمكن أثناءها من الوصول إلى الهند نلاحظ أن كريستوفر كولمبس ، هو المغامر الأسبانى الجنسية الإيطالى المولد (من جنوه) الذى قام على رأس بعثة كشفية من أسبانيا ، حتى وصل إلى ما يعرف فى ذلك الوقت بالعالم الجديد ، الذى إكتشفه بطريق الصدفة .

أما عن تاريخ ميلاد كريستوفر كولمبس ، فيبدو أنه ولد فى عام ١٤٥١ م ،هذا التاريخ هو الأكثر إحتمالا لميلاد هذا الرجل ،

فقد ولد كريستوفر فى مدينة جنوه الإيطاليـــة [١] ، وهـــى مدينـــة صناعية مزدهرة وجميلة ، وميناء يقع على الساحل الشمالى الغربى لإيطاليا، ويدعى جده جيوفانى Giovanni ، الذى كان يعمل نســاجا بحكم عمله فى التجارة ، والذى إستقر فى جنوه فى بدايـــة القـــرن الخامس عشر الميلادى ، وأنجب جيوفانى هذا ولدا أسماه دومينيكو Domenico ، الذى عمل فى مهنة النسيج أيضا ، وكـــان لـــدومينيكو أربعة أولاد ، كان كريستوفر كولمبس واحدا منهم [٢]

ولد كريستوفر كولمبس على مفترق طريق عصرين ، عصـــر القرون الوسطى ، وعصر النهضة الأوروبية ، فكان كولمبس يعكـــس صفات كلا العصرين ، وكان يملك الإيمـــان الـــدينى الراســـخ وقـــوة الإستنتاج والإتصال الوثيق بالمجهول ، وكان يتصف بحب الإستطلاع العلمى والحماسة للحياة ، وتحسس الجمال والإندفاع وراء ماهو جديد ، هذا الإندفاع الذى نقرنه بتقدم العلم والمعرفة ، وكان من أعظم رجـــال البحر فى كل الأزمان ، هكذا رأى كريستوفر كولمبس فى إسمه إشارة إلى أنه من المقدر له أن يحمل المسيحية عبر البحار إلـــى الـــذين لـــم يعرفوها من قبل [٣] . وفى الواقع فإن كولمبس لم يحمل رسالة المسيح فى رحلاته الكشفية إلى العالم الجديد ، ولكن كل ما حمله هـــو خطتـــه المتمثلة فى البحث عن المعادن الثمينة وبخاصة الذهب والفضة والتوابل وغير ذلك من السلع المختلفة .

أما عن شخصية كريستوفر كولمبس ، فقد أفادت خطاباتـــه ويومياته بأن شخصيته كانت منقسمة على نفسها ؛ أى أنها كانـــت شخصية إنعكاسية ، فكان من ملامحها إنه فى وقت واحـــد يكـــون متعجرفا ، وفى وقت آخر يكون متواضعا ، وفى أغلـــب الأحيـــان يكون متملقا ، وأحيانا يكون عنيدا وانتهازيا فى متابعة طموحاتـــه . فعندما كان كولمبس يبحث عن نصير له كان لا يخجل من إرتدائـــه

---

[١] Esmond Wright: The Medieval and Renaissance World : Ahistory of civilization from the dark Ages to the Renaissance. New York .1979. p. 307 .

[٢] Stella Davis: Op. cit . p. 104 .

[٣] صمونيل إليوت موريسون : كريستوفر كولمبس ، ترجمة فوزى قبلاوى ، بيروت ، عام ١٩٥٩ م ص ص ١٠-١١ .

لخرقة يتباهى بها مثل المغرور المرتدى للحرير والجواهر بعد نصره ، وكان كولمبس في سن العشرين قبطانا لسفينة تجارية صغيرة، وفي تلك الأثناء تجمع لديه مبلغا صغيرا من النقود، وفي نفس الفترة ، كان كولمبس رجل بحر وتاجر وقرصان ولص بحر، وفي بعض الأحيان الأخرى كان يجمع بين كل هذه الصفات . وفي فترة من الفترات أيضا حارب في خدمة الكونت الفرنسي رينيه دانجو Rene d' Anjou ، حيث قاد أربعا من السفن في اتجاه تونس ، وهناك دارت معركة بينه وبين التونسيين ، ولكنه خسر المعركة ، ومنى بهزيمة ساحقة لدرجة أن رجاله تمردوا عليه .

بعد الهزيمة التى منى بها كولمبس ، تمكن من رفع الروح المعنوية لجنوده فخاضوا المعركة ثانية ضد الأعداء ، وانتصروا هذه المرة ، وغنموا غنائم كثيرة . وبعد المعركة وأثناء الهدوء الطويل الذى كان ملمحا من ملامح طقس البحر المتوسط إنكب كولمبس على تعليم نفسه العلوم العربية ، التى حصل عليها من الأسرى العرب ، الذين أسرهم من شمال أفريقيا . ومن المعروف فى هذا الزمن ، أن العالم العربى كان متقدما فى علم الرياضيات ، وفى فن الملاحة وفى الطب ويعلق كولمبس على ذلك بقوله :
" لقد وجدت مساعدة الله العظيمة للغاية لى " وبعبارة المصدر :

" In his own words," I found God most Propitious,for I received from him the spirt of intelligence.In seamanship he made me abundant. of astronomy ,he gave me enough, as well as geometry and arithmetic and of sufficient ingenuity in my mind and hands to draw this world and on it cities,rivers,mountains and harbours all in its right place and so.on [١] " .

ويقول كولمبس " درست جميع الكتابات والتاريخ ، وتعرضت للأحداث والفلسفة ، وإلى فنون أخرى . ولم يكن كولمبس مبالغا فيما يقول ، لأنه جمع مكتبة شاملة إحتوت على ملاحظات ، توضح إنه كان يقارن الأفكار بعضها ببعض . واهتم كولمبس بتقرير ماركوبولو ، الذى كتبه الأخير عن بلاد الصين . وكان كولمبس قد دون تقرير ماركو بولو فى هوامش تقريره ،

---

[١] Stella Davis : Ibid . p.110 .

وذلك للإستفادة منه ، وإلى حد ما تعلم كولمبس التحدث والكتابة باللغة اللاتينية ، مع أن لغته كانت الأسبانية ، وكانت اللغة اللاتينية من اللغات التى بطل إستعمالها فى القرن ١٥ م،وتمكن كولمبس من التحدث بالإيطالية والأسبانية أيضا . وقد ذكر كريستوفر كولمبس بأنه نزل إلى البحر عام ١٤٦١ م عندما كان فى سن عشر سنوات، ويقال أن والده سمح له بالإبحار مع أحد جيرانه إلى ميناء بورتو فينو لتحميل السمك المجفف إلى كورسيكا ، وأستمر كولمبس يمارس العمل فى البحر فى الفترة ما بين ١٥، ٢٣ ، ٢٥ من عمره. وفى عام ١٤٧٦ م إلتحق كولمبس بقافلة بحرية جنوية مسلحة لنقل شحنة ثمينة إلى شمال أوروبا ، وكان كولمبس يعمل وقتها على سفينة تدعى بتشالا [١] .

وكانت مشكلة كروية الأرض قد أشير إليها فى اليونانية القديمة ، ولكنها أغفلت فيما بعد ، ثم أحييت فى القرن ١٩ م . ففى عام ١٤٧٤ م ، عين ملك البرتغال لجنة للإستعلام والتحقق ، التى كان من ضمن أفرادها باولو توسكانيلى Paulo Toscanelli الرياضى المشهور ، وقدمت هذه اللجنة تقريرا جاء فيه " بكل تأكيد فإن العالم كروى فالذى يسافر من الشرق سيصل إلى الغرب ، والعكس بالعكس "Vice – Versa" .

بعد وصول كولمبس إلى لشبونة مكث مع أخيه مدة سنة ، أبحر بعدها كقبطان لسفينة تجارية إتجهت إلى أيسلندا ، وكتب كولمبس يقول " أبحرت فيما وراء جزيرة ثول Thule الواقعة على مسافة ١٠٠ فرسخ من أسبانيا ، وكان الإنجليز يذهبون بسلعهم من بريستول إلى تلك الجزيرة [١] . وكان من المفيد لكولمبس أن يحصل على معلومات عن التجارة الإنجليزية، وفى هذا الصدد فإن النقطة الرئيسية تكمن فى أن أيسلند كانت القاعدة المبكرة للرحلات إلى الجرين لاند Green land ، ونوفا سكوشيا – Nova Scotia .

[١] صمويل اليوت موريسون : مصدر سابق . ص ١٤ .
[١] Stella Davis : Op . cit . pp. 104-113 .

وكان كولمبس مهتما بالطرق الممكنة التى توصل إلى الغرب ، وقد لاحظ أن البحار كانت صالحة للملاحة حتى فيما وراء أيسلند ، وفى أثناء عودته من الأيسلند نودى عليه عند جالوى Galway فى أيرلند ، وهناك أخبر بتحطم سفينتين صينيتين، كانتا قد إنجرفتا واندفعتا إلى الساحل فى جلوى . ومن المحتمل أن هؤلاء الصينيين كانوا من سكان منطقة اللابس Lapps التى تضم غالبية الجزء الشمالى من إسكندنافيا الممتدة من ساحل النرويج ، وحتى البحر الأبيض ، وهم يشبهون إلى حد ما الصينيين ، وقوى سوء الفهم هذا إعتقاد كولمبس بأن الصين لم تكن على مسافة كبيرة عبر المحيط الأطلنطى ، فتجربة كولمبس السابقة فى الإبحار كانت أما فى البحر المتوسط أو على امتداد ساحل المحيط الأطلنطى الشرقى وحتى موانئ البرتغال [١] .

بعد ذلك ، وأثناء وجود كولمبس فى لشبونة ذهب إلى كنيسة ملحقة بدير للراهبات؛ هذا الدير أسس لإعالة وإيواء زيجات وبنات الرجال الذين كانوا يحاربون المراكشيين ، فبنات النبلاء والأسر ميسورة الحال كانوا يرسلون إلى هناك أى إلى مدرسة الدير .و هناك تقابل كولمبس بابنة غير شرعية لرئيس أساقفة لشبونة وتزوجها ، لتحقيق طموحاته ، فقد تمكن من خلال هذا الزواج من التقرب من الناس خاصة من أصحاب النفوذ ، كى يتمكن من الإتصال بالأرشيف الأكاديمى للأمير هنرى الملاح ، وبالفعل تمكن كولمبس من تحقيق هدفه ، وتمكن من تفحص الخرائط والرسوم البيانية التى حواها أرشيف هنرى الملاح ، وقد لجأ فى هذا الصدد إلى الرشوة كى يسمح له بقراءة تقرير توسكانيلى عن شكل العالم فى ذلك الوقت ، وبسرية تامة نسخ كولمبس خريطة توسكانيلى ، وكان يهدف من وراء ذلك إلى الوقوف على كل المعلومات التى تساعده على القيام برحلته الكشفية المرتقبة [٢] ولم يمض وقت طويل حتى أصبح لدى كريستوفر كولمبس وشقيقه بارثليميو مؤسسة خاصة

---

(١) Stella Davis : Ibid. .114 .
(٢) Stella Davis : Ibid . p. 114 .

ناشئة لتصميم الخرائط وطبعها ، مما جعلها ذلك (المؤسسة) على إتصال وثيق بكبار ربابنة البحار وأمثالهم من الشخصيات . فقد كانت الخرائط والرسوم آنذاك توضع إعتمادا على المعلومات ومسودات الرسوم التيعود بها البحارة من رحلاتهم [١] .

وفى تلك الأثناء أرسل كولمبس شروطه إلى ملك البرتغال وقد تمثلت هذه الواجبات والشروط فى قيامه بكشف الأراضى الواقعة فى إتجاه الغرب ؛ وكذا الجزر واليابسة Terra-Firma التى هى فى معظمها غنية بالذهب والفضة والأحجار الكريمة . وكانت خطة كولمبس تكمن فى التغلب على جزر الهند وعلى جزيرة سيبانجو Cipango ، وممالك الخان العظيم – اليابان – وتمثلت شروط كولمبس أيضا فى أن يعمل فارسا Knight ، وأن يكون له الحق فى إرتداء مهماز Spurs ذهبيا ، وأن تنشأ له وظيفة أدميرال كبير Grand Admiral يخوض غمار البحار المحيطية، وأن يكون حاكما لكل الجزر التى يقوم بكشفها ، ومن شروطه كذلك، أن يحصل على عشر الدخل المتحصل لملك البرتغال ، فضلا على حصوله على نصيبه من فوائد السلع التجارية المتحصلة لصالح ملك البرتغال أيضا .

بعد أن عرض كولمبس واجباته وشروطه على ملك البرتغال شكل هذا الملك لجنة Commission للنظر فى مقترحات كولمبس ، وفى تلك الأثناء ، كان كولمبس يتكتم على مشروعه ، ويتكتم أيضا على معرفته لتقرير ، وخريطة توسكانيلى ، لأنه فى ذلك الوقت كان يوجد هناك شك فى صحة كل من خريطة ، وتقرير توسكانيلى، مع أن كولمبس كان ملما بهما بكل دقة . عندئذ ، شكل ملك البرتغال لجنة من أساتذة جامعيين ، كانوا تحت إشراف أسقف، وذلك لدراسة تقرير كولمبس، وكتبت هذه اللجنة تقريرا قدمته لملك البرتغال جاء فيه " أن كريستوفر كولمبس رجل ثرثار ، ومفعم بالغرور ، ومملوء بالتخيلات ، وأضاف التقرير أنه لا توجد هناك

---

[١] صمويل اليوت موريسون : مصدر سابق ، ص ١٦ .

أرض ، ولا جزيرة تسمى سيبانجو – اليابان – ولكن يوجد هناك بحر واسع ، يتعذر إجتيازه ، بحيث لا يستطيع أى ملك أن يخاطر بسفنه كي تعبر هذا البحر . عندئذ رفض ملك البرتغال واجبات وشروط كريستوفركولمبس .

لهذا وجد كولمبس نفسه محاطا بالإزدراء والشك ، وزاد الطين بله موت زوجته ، لهذا قرر ترك البرتغال وأخذ معه إبنه ديجو Digo البالغ من العمر خمس سنوات ، وسافرا معا فى سرية تامة إلى أسبانيا [1] وفى أسبانيا كانت محاكم التفتيش قد حلت بعد أن كانت قد جردت اليهود من عقيدتهم اليهودية ، ومع ذلك كان يوجد شك فى أى شخص من أصل يهودى ، وكان كولمبس قد ذهب هو وإبنه إلى أسبانيا كرحالتين ، وهناك ذهبا إلى دير كى يسكنا فيه ، مثلما كان يحدث فى العصور الوسطى ، وكان لهم حظ فى هذا الدير ، الذى يقع على تل خارج مدينة بالوس Palos فى قشتالة Castille ، ويتبع هذا الدير النظام الفرنسسكانى ، ولم يكن كولمبس وإبنه مهتمين بمحاكم التفتيش ولا بمؤسسها السنت فرانسيس Saint Francis ، الذى كان يعلم الناس قواعد الرحمة والتسامح ، واستقبل راهب الدير كولمبس وإبنه الصغير ، وكان هذا الراهب مهتما بالنظريات الجديدة الخاصة بعلم الكون والرياضيات ، واستمع بفهم إلى أراء كولمبس حيث تعاطف مع خيبة أمله ، وتعهد الراهب المدعو – جوان بيريز Brother Juan Perez برعاية ديجو الصغير ، وأعطى كولمبس خطابا ليقدمه إلى دوق ميدينا سيدونا Medina Sidona ، الذى كان من أقوى النبلاء بل أغناهم فى أسبانيا .

تنقل كولمبس ما بين صاحب مقام رفيع وآخر ، وبين الدوقات والكردينالات ، ورؤساء الأساقفة ، وأساتذة الجامعات ، واستمع الجميع تباعا إلى مناشدته ، وكانوا جميعا متأثرين بهذه المناشدة ، لذا أعطوه عدة خطابات توصية ليقدمها لأى شخص

---

[1] Stella Davis: Op. 115-116 .

يهمه الأمر ، ومع ذلك لم يقدموا له الأموال اللازمة لعدم اقتناعهم بما فيه الكفاية بأرائه ، ولكن رغم ذلك لم ييأس كولمبس ، بل حاول الحصول على توصية يقدمها إلى كل من الملك فرديناند والملكة إيزابيلا . وفى ذات الوقت كتب إلى الملك هنرى السابع ملك إنجلترا ، ولكنه لم يحصل على هدفه ، لذا فقد الفرصة – التى كان سيحصل عليها من الكفيل الإنجليزى An English Sponsored– الخاصة بكشف أمريكا ، ونظرا لذلك إضطر كريستوفر كولمبس لعدم وجود ممولين له بالأموال إلى بيع رسوماته البيانية وخرائطه، ومن المحتمل أن يكون البعض من تلك الرسومات والخرائط قد سرقها من مجموعة الأمير هنرى ، ومن المرجح أيضا أن يكون البعض منها قد عمل أثناء رحلاته ، وفى نفس الوقت كان قد حصل على بعض الأموال الخاصة بممتلكات زوجته المتوفية .

وصلت حالة كولمبس النفسية إلى وضع سيئ للغاية خاصة عندما كان فى أسبانيا ، حيث وصف نفسه بأنه مخلوق مقهور ، يرتدى بالطو رث ، رغم أنه لا يزال عازما على تحمل الكثير من الذل والهوان والإهانة ، فكان يمضى ساعات طويلة مملة فى حجرات الإنتظار ، بل كان يدفع رشاوى كبيرة للخدم والسعاة كى يحصل منهم لنفسه على مقابلة . وفى نهاية الأمر نجح فى إثارة رئيس أساقفة توليدو Archbishop Toledo ، الذى لم تكن نظرياته لوصف الكون ذات أهمية ككثرة الذهب ، الذى كان بيد ماركو بولو والذى عبر عن وجوده بوفرة فى كل من اليابان والصين . وعلى الرغم من ذلك ، دبر رئيس أساقفة توليدو لكولمبس مقابلة مع ملك وملكة أسبانيا وكان هذا اللقاء لقاءاً تاريخيا على جانب كبير من الأهمية .

قابل كريستوفر كولمبس الملكين بكياسة فريدة ، وبلغة رائعة مثل شخص ملهم ، وحكى لهما تخيله ، وأوضح لهما نسخته من خريطة توسكانيلى كى يرغبهم فى المعرفة بشكل أكثر . وكانت نسخة الخريطة التى توضح العالم ككوكب والمملوكة لملك البرتغال ، هى

التى كانت العامل المهم فى إنجاح المقابلة ، أى أن ملكى أسبانيا كان لديهما فكرة عن أهمية مشروع كشفى ، مثل الذى تقدم به كولمبس . وكان من المعروف فى ذلك الوقت فى أسبانيا أن البرتغاليين كانوا ولا يزالون يقومون بكشف طريق يوصل إلى الشرق عن طريق الإبحار حول أفريقيا ، ومن هنا وجدت فرصة تقدم للجار الأسبانى المنافس للبرتغال ، كى يكون فى الطليعة . عندئذ واجه ملكا أسبانيا قرارا صعبا ، وقالا إنه فى حال نجاح هذا المشروع فإنه سيكلفهما الأموال والرجال والسفن .
وبعبارة المصدر :

" King Ferdinand and Queen Isabella of Spain faced a difficult decision. A sea Captain from Genoa, Italy had come to them with a daring plan,if it succeeded, it would bring great riches to Spain . If it faild it would waste money , men and ships.[1]

بعد مقابلة ملكى أسبانيا لكولمبس واقتناعهما بما عرضه عليهما من آراء عين الملكان لجنة للإستعلام ، وفى أثناء قيام هذه اللجنة بعملها الإستقصائى مكث كولمبس طوال أربع سنوات فى أسبانيا ، حصل خلالها على مبالغ صغيرة من الخزانة الأسبانية لم تكن تفى بكل متطلباته ، مما إضطره ذلك إلى رهن مكتبته النفيسة. وفى ظل ظروف قاسية كهذه أصبح كولمبس إنسانا رثا يرتدى زيا مهلهلا ، وفى تلك الفترة التى كان كولمبس يمكث فيها فى أسبانيا إرتبط بعلاقة حب مع إحدى السيدات وتدعى بيتريس إنركويز Beatrice Enrequez ، ويبدو أن هذه السيدة كانت عشيقته ، لأنه لم يعلن الزواج منها ، وقد ولدت له مولودا ، عامله كولمبس بالمساواة مع إبنه الشرعى المدعو ديجو ، وبعد نجاحه فى تحقيق مطالبه من ملكى أسبانيا ، والموافقة على قيامه برحلته الكشفية التاريخية ، دفع إلى هذه السيدة مبلغا من المال وترك لها معاشا يساعدها على مواجهة الحياة ، وأوصاها برعاية ابنه الشرعى ديجو ، أثناء قيامه برحلته الكشفية عبر الأطلنطى . وفى عام ١٤٩٠م إلتقى كولمبس فى بالوس برئيس دير يدعى جوان بريز Juan Perez الذى وثق فيه كولمبس خلال كل سنوات الملل ، وفى تلك الأثناء ، أرسل الأخ

---

(١) George Shattel: Decision in United States history.lexington. 1975. p. 8 .

جوان بريز خطابا إلى الملكة إيزابيلا، مع راهب من رهبان الدير الذى يترأسه ، وعاد هذا الراهب من عند الملكة ومعه ٢٠ الف مارافيد Maraveds (عملة أسبانية) لإعطائها لكلومبس . وبعد ذلك استدعت الملكة كولمبس لمقابلتها فى البلاط الملكى الأسبانى ، وأخبرته بموافقتها وكذا الملك على القيام برحلته التاريخية . وقد أنفق كولمبس مبلغ الـ ٢٠ الف مارافيد فى شراء معدات للرحلة ، تمثلت فى ملابس وبغال [١]

وفى نفس تلك الفترة أيدت إيزابيلا بشدة مقترحات كولمبس قبل أن تنفض اللجنة وتتلاشى – هذه اللجنة التى أشرنا إليها آنفا – والتى لايزال أعضاؤها غير قادرين على الوصول إلى إستنتاج حول خطة كولمبس ، وتعنى موافقة الملكة على قيام كولمبس برحلته الكشفية مدى إهتمامها بهذا العمل التاريخى المهم ، والنافع لأسبانيا [٢] وتقرر أن يكون لرحلة كولمبس عبر الأطلنطى كفيل Sponsor يتولى تجهيز وإعداد هذه البعثة الكشفية إلى الجهات المجهولة ، وكان الكفيل فيما يبدو هو دولة أسبانيا . وكان لكولمبس مطالب تتمثل فى مكافآت يحصل عليها بعد الإنتهاء من رحلته الكشفية ، وكانت هذه المطالب متطابقة مع تلك التى اتخذها الملك جون ملك البرتغال مع فاسكو دي جاما منذ سنوات، وتمثلت مطالب كولمبس فى منحه لقب الفروسية – هى رتبة شرفية إنجليزية–علاوة على حصوله على هبات ذهبية تبلغ قيمتها ١٠% من قيمة ما يتم الحصول عليه من العالم الجديد ، واشترط عدم إلغاء أى شيئ ، ولكن ملكا أسبانيا رفضا هذه المطالب ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل قام الملكان بطرده من البلاد ، فغادر كولمبس جرانادا Granada وهو فى خيبة أمل عميقة وإذلال . لكن رغم ذلك لم ييأس، وأخبر بأنه عازم على الذهاب إلى إنجلترا ليناشد الملك هنرى السابع مساعدته على تنفيذ مشروعه الكشفى ، ولكنه خاب أمله أيضا رغم الحاجه الشديد . وفى أثناء ذلك ساد البلاط الملكى الأسبانى

---

(١) Stella Davis: Op. cit. p 118.
(٢) Stella. Ibid. pp.116 . 117.

أفكارا جديدة ، واقتناع بمشروع كولمبس، فقد جمعت الملكة إيزابيلا ثروة كبيرة من أجل إنفاقها على إنجاح هذا المشروع الكشفى ، فكانت الحكومة الأسبانية قد إستولت على ممتلكات اليهود فى أسبانيا عقابا لهم على إستمرار تمسكهم بعقيدتهم اليهودية. وفى تلك الأثناء، نصح كاهن الإعتراف الخاص بالملكة إيزابيلا – يهودى متحول إلى المسيحية – بأن تقوم بإنفاق النقود المتحصلة من ممتلكات اليهود فى نشر المسيحية فى الشرق الأقصى ، بعد وصول كولمبس إلى هذه الجهات ، وتعهدت بتحملها تكلفة تجهيزات الرحلة ، لأنها فيما يبدو عرفت القيمة الإقتصادية التى ستعود على أسبانيا من جراء هذا العمل . بعد ذلك أرسلت رسولا لإحضار كولومبس إلى جرانادا .

وكان هذا الرسول قد وجد كولمبس واقفا على كبرى فى منطقة بينوس Pinos المجاورة للدير ، الذى كان كولمبس قد عاد منه لتوه ، وهو مغموم ، ورغم ذلك كان معه خطط جديدة خاصة بمشروعه الكشفى ، ففى البداية كان كولمبس مترددا لأنه كان يخشى عدم إنجاح هذا المشروع ، وثانيا كان رافضا العودة إلى البلاط الأسبانى مرة ثانية ، ولكن بعد ذلك كتب كولمبس يقول :

" تحدث الله إلى فعدت إلى أسبانيا " وبنص المصدر :

" The lord God spoke to me and I returned to Spain

وكان عمرى آنذاك ٤٠ سنة ، ولمدة ١٥ سنة من هذه السنوات الأربعين تابعت هدفى بقوة " (١)

بعثات كريستوفر كولمبس:

بعد الجهد الذى قام به كريستوفر كولمبس ، تمكن من تحقيق هدفه ، فقام على أثر ذلك بإعداد عدد من السفن هى على النحو التالى : السفينة لابنتا La pinta وهى السفينة المزخرفة ، والسفينة لانينا La Nina أى الفتاة ، والثالثة وهى السفينة مارى جالنت Mary

---

Stella Davis: Ibid. pp. 119-120.

galante ، أى السفينة مـــريم العـــذراء المباركـــة Frivolous Mary ، وتعرف أيضا بسانتا ماريا .

وبعبارة المصدر :

" Three Ships armed caverels, were provided , la pinta (the painted one) , La Nina (the girl) , Marigalante (Frivolous Mary) , this Last was recherché the santa maria Holy Mary "[١]

وكانت السفينة سانتا ماريا هى السفينة التى رفع عليها العلم الأسبانى ، والتى قادها كولمبس ، وكان طول هذه السفينة من أعلى ٦٦ قدما ، وشحنت بـــ٢٢٣ طنا ، من المعدات والمؤن ، وكانـــت السفينتان الأخريتان أصغر قليلا من هذه السفينة ، وســلحت هــذه السفن الثلاث بمدافع من عيار ٤ بوصة ،التى كانت تطلق قــذائف من الجرانيت ، وكانت هذه القــذائف الجرانيتيــة تســتخدم لحفــظ التوازن على متن تلك السفن ، وحشدت هذه السفن فى ميناء بالوس Palos، وكانت أطقم السفن من الرجــال المحليــين ، الــذين كــان معظمهم من الضباط والذين كانوا ينتسبون إلى عــائلات بحريـــة ، مثل عائلة : بنزون ، وعائلة نينو ، وعائلة آل كوينتيرو . وقد تقلد مارتن ألونسو بنزون قيادة السفينة بنتا ، التى كان يدعى صـــاحبها بنتو ،وكان برفقة مارتن ألونسو شقيقه فرانسيسكو، برتبة معـــاون أول، وقاد السفينة نينا شقيق مارتن ألونسو والمدعو فينسنت بـــانيز بنزون،وكان يملك تلك السفينة جون نينو ، وقاد السفينة سانتا ماريا كريستوفر كولمبس نفسه وعاونـــه صـــاحبها المـــدعو جـــون دى لاكوزا.وكان مارتن ألونسو بنزون راهبا وبحارا فى آن واحـــد [٢]. وكان ذا خبرة كبيرة فى مجال الإبحار . وكان على متن كل سفينة مرشد وضابط وطبيب ، وكانت البقية تضم بعض الإختصاصـــيين من أمثال لويس دى توريز اليهودى المتنصـــر ، وورود ريجـــو دى إسكوبيدو ، وكان سكرتيرا للإسطول، بحيث كان يسجل كـــل مـــا يكتشف ، وورود ريجو سانشيز ، وكانت مهمتـــه المحافظـــة علـــى حصة التاج من الذهب ، إضافة إلى بدرو جوتيريز، الـــذى كـــان يشغل وظيفة خادم فى قصر الملك الأسبانى سابقاً، وكـــذلك ديجـــو

---

(١) Ibid . p.120 .

(٢) Ibid . p.121 .

هارانا عم عشـــيقة كـــولمبس، وكـــان يشـــغل وظيفـــة مارشـــال للأسطول.[1]

بعثة كولمبس الأولى:

بعد أن اتخذت كل الإستعدادات بدأت بعثة كولمبس الأولـــى مهمتها فى ٣ أغسطس عام ١٤٩٢ م. وكانت هذه البعثة مكونة من ثلاث سفن وتسعين من الرجال . وفى ٩ سبتمبر من نفـــس العـــام وصل كولمبس إلىَ جزر الكناريا ومن بعدها واصل مسيره غربا ، وفى ٧ من شهر أكتوبر من نفس العام وصل كولمبس إلـــى خـــط طول ٦٨° [2]غربا. وفى تلك الأثناء بدأ البحارة يتـــذمرون بســـبب طول المسافة ، وبسبب السرعة التى ســـاروا بهـــا ، فالعاصـــفة الغربية القوية لم تخف عنهم طوال المسافة بـــين وطـــنهم ، وبـــين الجزر الخالية من السكان . وكان كولمبس قد زيف جهـــاز قيـــاس سرعة السفن ليخفى عن طـــاقم الســـفن المســـافة الفعليـــة التـــى سيقطعونها، وكان كريستوفر يسجل الحقائق بشكل إنفـــرادى فـــى مفكرته . وفى تلك الأثناء إنزعج الطاقم من سكون الريح ، فربمـــا إعتقد أفراد البعثة ، بأن الريح لم تتغير أبدا فى وسط المحيط بحيث لم يكن فى مقدورهم العودة ، خاصة وأن فن الملاحة كـــان فـــى مراحله الأولى ، وفى نفس الوقت لم يكن هناك شئ معروف عـــن الإختلاف المغناطيسى للأرض ، وبدا أن النجم القطبى هو المرشد الثابت للبحارة ، وفى الفجر المبكر من صباح أحـــد أيـــام شـــهر أكتوبر، إنحرفت سفينتين من سفن البعثة إلى كهف رملى صـــغير يقع فى مجموعة جزر البهاما ، واحتشد الجميع فى فرح فى جوانب السفن، وفوق أسطحها العلوية ، وهم فى حالة إندهاش وراحـــة[3] . وتاخمت السفن لصخور الكهف شديدة الإنحدار ، كما شاهد أفـــراد البعثة أشجار غير مألوفة نمت على حافة الماء ، وطارت من فوقها

---

[1] صمويل اليوت موريسون : مصدر سابق ، ص ص ٤٢ – ٤٤ .

[2] Norman A. Graebner and other : op. cit. p . 12 .

[3] Baker . B. J. N.L : Ahistory of geographical discovery and exploration, New York . 1962. p. 79 .

الببغاوات وطيور الطنان فى كل اتجاه ، وعلـــى الشـــاطئ وقفــت مجموعة من الوطنيين الهمج العراة يثرثرون ، ويومئــون لأفــراد البعثة ، واعتقد كولمبس ورجاله بأن هذه الجزيرة لم تكن بعيدة عن ساحل آسيا ، كما كانوا يعتقدون، بل كانت عبارة عن أرخبيل أسماه كولمبس أرخبيل جزر الهند الغربية .

وكان كولمبس قد وصل إلى البحر الهندى ، كما كان يعتقد ، بعد ٣٣ يوما من رحيله من قادش ، واكتشف الكثير مــن الجــزر المكتظة بالسكان واستولى على تلك الجزر دون أدنى مقاومة .[١] وقد تحقق النجاح فى إيجاد أرض عبر الأطلنطى تحت إســم ملــك أسبانيا ، مما جعل كولمبس يتولى القيام بوظيفة الأدميرال ، فذهب إلى الشاطئ بكل تشريف ، وهو يحمل العلم الملكى الأسبانى ، ومن بعده أتى فيسنت بنزون Vicent Pinzon ، قبطــان الســفينة نينــا وبصحبته كاهن السفن والموثق العام ، الذى أخذ دقائق فى وصــف المناسبة .

وبعد ذلك ، أتى طاقم سفينة كولمبس ، وبرفقتــه الحــارس المسلح . وفى تلك اللحظة طلب الأدميرال من الجميع أن يشــاهدوا الكيفية التى سيتم بها الإستيلاء على الجزيرة باســم ملــك وملكــة أسبانيا ، ولاحظ أفراد الأطقم الأسبانيين أن سكان الجــزر كــانوا فضوليين وودودين [٢] ، بل لم يكونوا خــائفين وتزاحمــوا حــول الأسبان فوزع عليهم كولمبس الأجراس النحاسية والخرز الزجاجى، وفى المقابل تسلم الأسبانيون منهم الفاكهة والببغاوات ، وكان سكان هذه الجزر فضوليين لرؤية السيوف المعلقة فى الأغمدة الموضوعة على السيقان الشمالية للحراس ، فالصلب الذى صنعت منــه هــذه السيوف، لم يكن معروفا بالنسبة لسكان الجزر ، فكانوا يشــاورون ويمئون للإستعلام عن هذه السيوف .

---

[١] Emily Davie and others: Profile of America .U.S.A . 1954 . P. 29 .
[٢] Baker B: op . cit . p. 82 .

فبحقد وخبث تناول أحد الجنود الأسبان سيفه من غمده ، وأشار به فى اتجاه أحد سكان الجزر ، فمسكه هذا الهندى ، وعلى الفور تركه وانصرف ، ويده تدمى لأنها جرحت جرحا بليغا ، فانسحب سكان الجزر من موقع التجمع ، وهم فى حالة من الرعب. وقد سكنت جزر البهاما بالشعب الذى عاش إلى حد بعيد على الحاصلات الزراعية ، وعلى الصيد ، وكان سكان جزر البهاما فقراء وذا ثقافة بسيطة [١] وكان كولمبس قد توقع حضارة متقدمة فى هذه البلاد ، ولكنه لم يجد أثر لهذه الحضارة ، مع أن ماركوبولو، وصف ثروة هذه الجزر بأنها عبارة عن قصور كبيرة مسقوفة بالذهب ومملوءة بالسلع التجارية . وفى تلك الجزر تجول كولمبس من جزيرة إلى أخرى بحثا عن الأرض التى سيحقق فيها أحلامه. وكان من المهم أن يجد شيئا ذات قيمة يعود به إلى أسبانيا، لأن هذا هو هدفه ومصداقا لتأكيده السابق وليؤثر به فى كل من ملك وملكة أسبانيا، وكان من الصعب على كولمبس أن يؤسس إتصالا مع سكان الجزر ، لأن هؤلاء السكان كانوا حذرين . لهذا كانت القوة ضرورية لإرغامهم على أن يكونوا قريبين من الأسبان؛ إما عن طريق الكلمات القليلة العامة المتبادلة بين الطرفين ، وإما عن طريق الإيماءات [٢] . وفى تلك الأثناء علم كولمبس بوجود أرض واسعة واقعة فيما وراء غروب الشمس ، ومن الممكن وجود الذهب فى هذه الأراضى التى كانت تمثل قارة أمريكا أو ما يسمى بالعالم الجديد .

كان كولمبس قد عثر على معدنى الذهب والنحاس فى الجزر الواقعة فى مصبات الأنهار ، ولكن بكميات قليلة ، وكان سكان الجزر قد عرفوا صهر النحاس واستعملوه كحلى . ولم تكن المعادن موجودة بكميات كبيرة أو بوفرة لكنها وجدت بشكل يبرر إرسال مثل هذه البعثة ، كأعتقاد كولمبس ، وأثر جمال الجزر فى كولمبس بحيث وجد أوقات فقد فيها كل شئ إلا إحساسه الشعرى

---

[1] Stella Davis: Op. cit. pp. 122-123 .
[2] Ibid: p. 123.

Poetic Feeling وبعد ذلك ، غادر كولمبس تلك الجزر ، ودخل البحر الدافئ ، ثم إنجرف بعد ذلك هابطا مع نهر يوجد علـى شـواطئه أشجار شبه إستوائية ونباتات ، وشاهد الطيور الملونة الغريبة تحلق في الجو ، عندئذ بدا له أنه في جنة الفردوس وبعبارة المصدر :

" He was watching the flight of strange and colourful birds . it seemed to him that he was in paradisez[١].

ورغم ذلك لم يكن لدى كولمبس نظرة عاطفية نحو السـكان الذين قطنوا هذه الجزيرة ، وبدو له بأنهم جهلاء وعديمي المنفعـة، وذلك بسبب ممارستهم لأبسط الأعمال الريفية ، لأنه لم يكن لـديهم الرغبة في العمل ، ويمكن أن نقتبس من يوميات كولمبس ما نصـه " كانت أسلحة الناس هنا بسيطة ، وسأعود بسبعة منهم إلى أسبانيا، فعلى ملكهم أن يقرر إما أن نحصل عليهم جميعـا ونرسـلهم إلـى قشتالة أو نهيئهم للعمل هنا " وفي النهاية سيكون في إمكان خمسين حارسا مسلحا مراقبة السكان الوطنيين ، ودونت بيانات أخرى جاء فيها : " أنه بالأمس قدم زورق Canoe بالقرب من السفينة التي كان على متنها كولمبس ، وكان على متن هذا الزورق ٦ مـن شـباب الوطنيين ، صعد خمسة منهم على ظهر السفينة فاعتقلهم كولمبس ، لإرسالهم إلى أسبانيا ، وبعد ذلك إستولى كولمبس على سـبع مـن النساء كان البعض منهن بـالغين،والـبعض الآخـر مـنهن مـن الفتيات[٢]. وأعتقد كولمبس بأن تلك الجزر التي وصل إليها كانـت هي نفس الجزر الواقعة في جنوب شرق آسيا[٣]

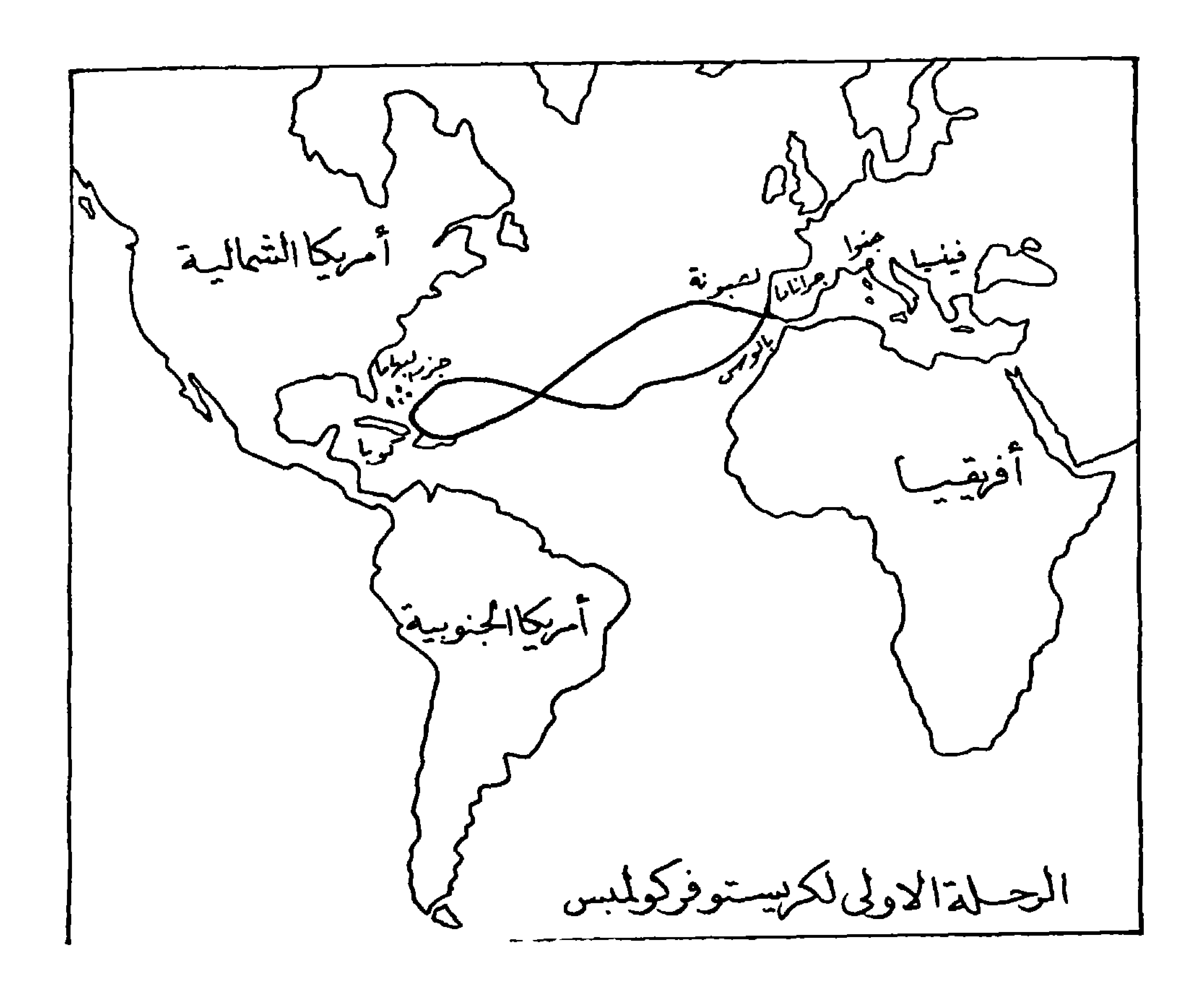
بعد إنقضاء ثلاثة شهور تقريبا في الأرخبيل الواقع في البحر الكاريبي : أبحر كولمبس عائدا إلى أسبانيا ، وترك من خلفه فـي هذه الجهات الجديدة حصونا صغيرة محصنة ، كان كـولمبس قـد شيدها منذ وصوله إلى تلك الجهات ، وفي طريق العودة إرتطمـت سفينة القيادة المعروفة بـ The santa Maria بشاطئ رملـي عنـدما كانت على مسافة قصيرة من الميناء ، فانتقل كولمبس وطاقمه إلى

---

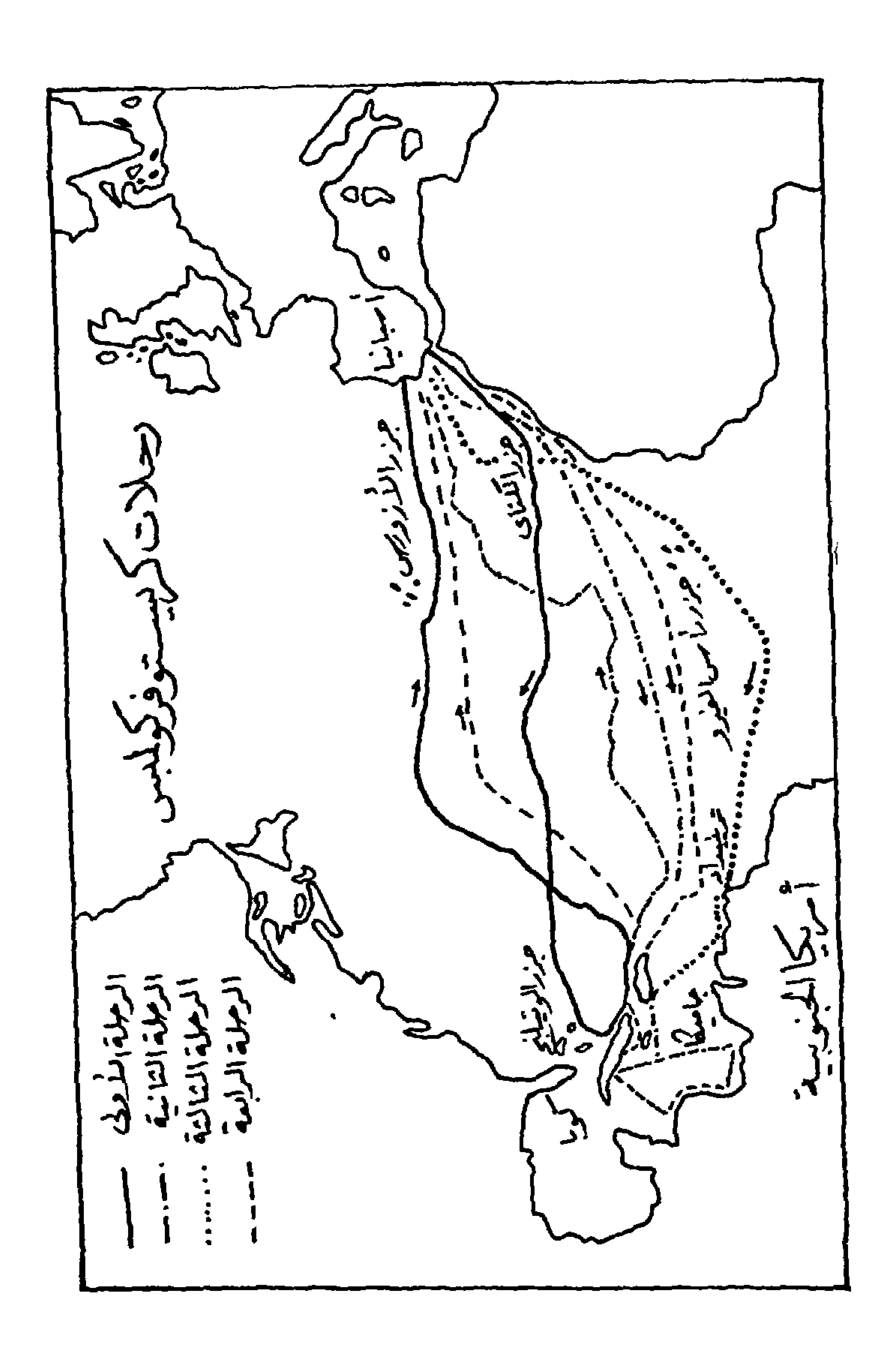
[١] Stella Davis. Ibid . p. 124 .
[٢] Stella Davis. Ibid .p. 125 .
[٣] Wallace W. At wood and others : the growth of nations. U. S. A. 1944. p. 27.

السفينة نينا Nina، وكانت السفينتان نينا وبنتا ، قد إنفصلتا فى وسط المحيط أثناء عاصفة مما إضطر كولمبس إلى الإبحار قليلا نحو الشمال خارج مساره ، أى أنه أبحر مع تيار الخليج الكاريبى . وفى ١٥ مارس عام ١٤٩٣م ، وصلت أولا السفينة نينا بمفردها إلى قادش فى أسبانيا، وكان كولمبس قد جلب معه عددا من سكان الجزر، وكمية من الذهب ، وعددا آخرا من الببغاوات – التى حصل عليها من إحدى الجزر – والتى أخذها البحارة إلى نسائهم ،وفى ذلك الوقت كان الببغاء الهدية المألوفة والمعتادة المجلوبة من الأراضى الأجنبية ، وبذلك يكون كولمبس قد عاد من رحلته الأولى التى كانت من أهم معالم إنتصاره ، بل كانت نقطة الذروة فى حياته، وبعد عدة أيام من السفر ألقت السفينة نينا بمراسيها فى ميناء بالوس . وهناك أرسلت كل الهدايا إلى أصحاب السمو الملكى ؛ الملك فرديناند والملكة إيزابيلا ملكا أسبانيا . واستغرقت رحلة العودة هذه ٢٢ يوما. وتعد هذه الرحلة أعظم رحلة على مر العصور ، لما لها من نتائج إيجابية فى المستقبل على الشعوب والحكومات الأوربية ، وكان كولمبس قد تعرض لأخطار متتالية أثناء الرحلة التى كان من نتائجها معرفة الأوربيين بأخبار أرض جديدة غريبة ، تلك الأرض التى سميت فيما بعد بأمريكا ، التى تقع على الجانب الآخر من بحر الظلمات ؛ أى تقع على الشاطئ الغربى للمحيط الأطلسى .

قدمت الحكومة الأسبانية كل التشريفات Honours والألقاب Titles التى سبق وأن وعد بها كولمبس ، كما قدمت له أسبانيا مهاميز ذهبية The golden spurs . ومن الواضح أن بعثة كولمبس الأولى لم تحقق أهدافها ، التى كان ينبغى تحقيقها ، وتتمثل هذه الأهداف فى الوصول إلى شرق أسيا ، وجلب المعادن الثمينة والتوابل ، لكن أى شئ من هذا لم يجلب باستثناء جلب بعض الأفراد من الهنود الحمرمن النساء والرجال، وبعض الببغاوات والبعض من النباتات...إلخ لذا قررت أسبانيا إرسال بعثة كشفية أخرى .



الرحلة الاولى لكريستوفر كولمبس



رحلات كريستوفر كولمبس

بعثة كولمبس الثانية:

بدأت رحلة كولمبس الثانية فى ٢٥ سبتمبر عام ١٤٩٣م من قادش فىأسبانيا وكانت تضم هذه البعثة ١٧ سفينة ؛ المعروف منها ٤سفن فقط هى : السفينة سانت ماريا ، والسفينة كولينا ، والسفينة لاجالينا ، والسفينة نينا ، وضمت هذه البعثة إلى جانب كولمبس ، الدكتور ديجو تشانكا جراح الأسطول ، وميشال دى كونيو ، وملكيور مالدونادو وهو دبلوماسىأسبانى [١] وكان الهدف من إرسال البعثة الثانية إكمال عمل كولمبس الأول ، الذى بدأه فى السنةالسابقة . قاد كولمبس بعثته الثانية متجها نحو الشرق من هاييتى ، وهناك أسس مستعمرة نافيداد Navidad ، وانتهز كولمبس هذه الفرصة وتقدم أكثر نحو الجنوب . وفى ٣ من شهر نوفمبر من نفس العام شاهد كولمبس أرضا أطلق عليها الدومينيكان Dominica ، وهو الإسم الذى لا يزال باقيا حتى اليوم ، واكتشف كولمبس أثناء هذه الرحلة عددا من الجزر الصغيرة . ومن الدومينيكان ، مر بجزر المارى جالانت Marie Galant ، وبجزر لى وورد Lee Ward ومر أيضا بأرض المنتسرات Montsrat والنافيز Navis وبسنت كروز Saint Cruz . وبعد ذلك وصل كولمبس إلى كل من بيورتوريكو Puerto Rico وجاميكا Jamaica وكوبا Cuba ، وسانتو دومنجو Santo Domingo ، ومن بعدها وصل إلى مسافة بعيدة فى إتجاه مستوطنة هاييتى التى وجدها مهجورة . ومن المعروف أنه إكتشف كوبا وسانتودومنجو فى رحلته الأولى ، وقد نتج عن حملة كولمبس الأولى والثانية أن أسبانيا إمتلكت جزر كثيرة سميت فى ذلك الوقت بجزر الهند الغربية . وفى حملته الثالثة والرابعة وصل كولمبس إلى الساحل الشمالى لأمريكا الجنوبية ، وكان كولمبس قد إكتشف معظم الساحل الشرقى لأمريكا الوسطى Central America . ووصل بعد ذلك إلى أمريكا الجنوبية ، فى نفس السنة التى وصل فيها كابرال Cabral إلى ساحل البرازيل [٢] .

---

[١] صمويل اليوت موريسون : مصدر سابق ، ص ص ١٠٦-١٠٧.

[٢] Eugence. Baker: The building of our nation . New York. 1946. pp.123-124.

بعد ذلك أبحر كولمبس على طول الساحل الجنوبى لكوبـــا ، ثم وصل إلى جاميكا Jamaica ، واكتشف الســـاحل الشـــمالى لتلـــك الجزيرة ، ومن بعدها عاد كولمبس ليكمل بحثه للشاطئ الجنـــوبى لكوبا ، ثم وصل إلى إستنتاج مفاده أنه لا يوجد هناك جزيرة ، ولا يوجد جزء من الأرض الرئيسة لأسيا . وفـــى ١٠ مـــارس عـــام ١٤٩٥ م عاد كولمبس إلى أسبانيا ومعه كمية من الـــذهب وأنـــواع من الطيور وعينات من الفاكهة والنباتات مثل الذرة واليام [١] . بعد عودة كولمبس من بعثته الثانية رأى أنها لم تحقـــق الهـــدف الـــذى أرسلت من أجله ، وهو الوصول إلى شرق آسيا ، والحصول مـــن هناك على التوابل والمعادن الثمينة وغيرها، ووضع هذه المنطقـــة تحت السيطرة الأسبانية .

البعثة الثالثة لكولمبس :

فى ٣٠ من شهر مايو سنة ١٤٩٨ ، أبحر كـــولمبس علـــى رأس بعثة كشفية أخرى عبر الأطلنطى ليصل إلى المنـــاطق التـــى وصلها فى رحلاته السابقة وتكونت هذه البعثة من خمس سفن هـــى نينا ، وإنديا ، ولاناو ، ولافكوينوس ، والســـفينة كوريـــو ، وهـــى الأخيرة ، وكان على رأس ٣سفن من هـــذه الســـفن ألونســـو دى كرفجال [٢]، فمر كولمبس أثناء هذه الرحلة الثالثة بجـــزر الكيـــب فيرد Cape verd وغيرها من الجزر . وفى ١ من شـــهر أغســـطس وصل كولمبس إلى جزيرة ترينيداد بعد رحلة اســـتمرت ٦٢ يومـــا من مغادرته لأسبانيا ، واكتشف كولمبس لآلـــئ الجزيـــرة والمـــاء العذب الواصل إليها من مياه نهر أورينوكو the Orinoco River الذى شاهده كولمبس من على مسافة بعيدة من المحيط . وشاهد كولمبس بعد مغادرته جزيرة ترينيداد ، اليابسة الخاصة بأمريكـــا الجنوبيـــة القريبة من باريا Paria [٣] ثم قفل راجعا إلـــى أســـبانيا ، فـــى ٣١

---

[١] Baker B. : A history of geographical discovery and expoloration op.cit , new York , 1967. pp 80-81.

[٢] صمويل اليوت موريسون : مصدر سابق ، ص ٨٤ .

[٣] Baker . B . : op.cit. p . 81.

أغسطس عام ١٤٩٨م [١] ولكن لا يزال الشك يراوده بأن حملته الثالثة لم تحقق أهدافها، فقد قرر القيام برحلة رابعة .

البعثة الرابعة لكريستوفر كولمبس:

بدأت بعثة كريستوفر كولمبس الرابعة مهمتها في ٣ أبريل عام ١٥٠٢ م وكان يقصد منها تحقيق ما فشلت في تحقيقه الرحلات السابقة ، وتكونت هذه البعثة من أربع سفن هي : السفينة لاكابيتانا ، وكانت تحت قيادة ديجو تريستان ، والسفينة الثانية هي السفينة ، لاجاليجا وكانت تحت قيادة بدرو دي تيريروس ، والسفينة سنتياجو بالوس ، وكانت تحت قيادة فرانسسكو بوراس ، والسفينة فيزكانيا ، وكانت تحت قيادة بارثليميو فيش. وكان كولمبس على رأس كل هذه السفن. [٢] ويقال بأن كريستوفر كولمبس هو الذي مول رحلته الرابعة على نفقته الخاصة ، وأطلق على هذه الرحلة إسم المشئومة ، لتعرضها للعواصف الهوجاء ، ولتمرد البحارة الواحد يلي الأخر ، إضافة إلى ذلك فإن البعثة إنحرفت عن طريقها، واتجهت تقريبا صوب المكسيك ، وقبل وصولها إلى المكسيك رست في كوبا ، حيث قابلها السكان هناك بالعداء ، واستغل كولمبس وجوده في كوبا فقام بتزويد البعثة بما يلزمها بكميات كبيرة من المياه العذبة ، فضلا عن قيامه بإصلاح الأشرعة الممزقة ، ففي تلك الأثناء تعرض كولمبس إلى مشاكل كثيرة ، فكما هو معروف كان كولمبس يشغل وظيفة نائب ملك أسبانيا في المناطق الجديدة ، ففي تلك الأثناء حامت الشبهات والإشاعات حول عدم قدرته على الحكم ، إضافة إلى شكاياته المتواصلة إلى ملك وملكة أسبانيا ، مما أدى إلى تعيين قاضي Magistrate للتحقيق في كل أعماله ، وقد زود هذا القاضي بتعليمات ، مفادها كتابة تقرير عن إدارة كولمبس ، كان هذا القاضي هو فرانسسكو دي بوباديلو Francisco de Bobadillo ، الذي لم يستطع كتابة تقرير سلبي ضد

---

(١) صمويل اليوت موريسون : مصدر سابق ، ص ١٧٠ .
(٢) صمويل اليوت موريسون : نفس المصدر ، ص ص ١٨٣-١٨٤ .

كولمبس ، لأن الأخير كان يسير الأمور بدرجة كافية كـأدميرال ، ومع ذلك لم يكن جيد بدرجة جيدة كنائب للملك .

ففى البداية كان كولمبس يعمل على حماية السكان الوطنيين. فبالطبع كان يكبح جماح جشع وعنف المستوطنين الأسبان ، لـذلك عجز هو عن إرسال ذهب كاف لأسبانيا مع أنه كان يرسـل سـفنا محملة بالهنود الحمر كعبيد وكعمالة رخيصة ، وكان هؤلاء العبيـد يصلون إلى أسبانيا وهم فى حالة يرثى لها ، فـالكثير مـنهم كـان يموت أو كاد أن يموت مثل النساء الحوامـل Pregnant أو اللاتـى يحملن أطفالهن على أذرعتهن ، وثبت أن جميعهن عـديمى النفـع للعمل الشاق . وعلاوة على ذلك ، ظل كولمبس يرسـل كشـوف حسابات مبالغ فيها عن المنصرف على المقاطعة الجديـدة . وقـد برهنت هذه المقاطعة على أنها مستنزف للموارد الأسبانية ، حتـى أن الكثير من رأس المال أنفق عليها وعلى الزراعة فيها . ونظـرا لهذه الظروف السائدة فى المستعمرة الأسبانية الجديدة دب الخلاف بين كل من كولمبس والقاضى فرانسسكو دى بوباديلو ، فكـولمبس كان دائما معارضا لوجهة نظر بوباديلو- الذى جاء من أسبانيا من طرف الملك للتحقيق فى كل أعمال كولمبس – حيث كان يتجاهـل أوامره،وكان كولمبس قد إرتكب خطأ مميتا عندما وضع ١٦ مـن المستوطنين الأسبان المتمردين فى بئـر (حفـرة)،وأقـام علـى حراستهم أحد الهنود.ويبدو أن كـولمبس فعـل ذلـك لأن هـؤلاء المستعمرين الأسبان قد قاموا بأعمال منافية للقانون ،لكن بوبـاديلو أنتهز الفرصة للإنتقام مـن كـولمبس وأخوانـه وإخوتـه ديجـو وبارتولوميو Bartolomeo،وقام علىأثر هذه الواقعة بوضـع القيـود الحديدية فى أيدى كولمبس وأشقاءه،بارتولوميو وديجو.ومـع ذلـك قابل كولمبس (الأدميرال) الإذلال بشموخ وشجاعة،رغم أنه كـان مقيد الأيدى والأرجل ، وأرسل معه شقيقه إلى أسبانيا للمحاكمـة ، وكان برفقتهم شهود معادين لهم،وكان برفقتهم أيضا تقرير مفصـل وطويل عن أعمال كولمبس الشريرة المزعومة . وقد عامل قبطان السفينة،كولمبس باحترام واهتمام كبيرين ، وأمر هذا القبطان بفـك

قيود كولمبس ، وإزالتها ، لكنه رفض ذلك ، ولم يسمح بذلك إلا للملك والملكة فقط ، وقال : " يجب أن تظل القيود فى أيدى من أجلهما ليريا كيف عومل كولمبس " وأخيرا رست السفينة التى تحمل كولمبس فى أسبانيا فى ٨ أو ٩ نوفمبر سنة ١٥٠٤ م . وفى تلك الأثناء [١] أرسل كولمبس خطابا على وجه السرعة ، وبصورة شخصية إلى ملكى أسبانيا وكان الهدف من إرسال هذا الخطاب هو تعريف ملكى أسبانيا بموقفه ، قبل وصول تقرير بوباديلو إليهما .

كان خطاب كولمبس عبارة عن تقرير طويل يوضح فيه خدماته للتاج ومعاناته والمضايقات التى تحملها ، والشكوى المرة من كل من بوباديلو والمستعمرين الأسبان ، وقد تأثر كل من الملك والملكة بهذا التقرير ، وأمر بفك قيود كولمبس وأرسل الملكان نقودا وحامية صغيرة لتحضر كولمبس وأخوته إلى البلاط ، وكان هذا مشهد كبير عاطفى عندما إلتقى الجميع . وعندما وصل كولمبس إلى الملكين ركع وبكى ، ورفع يديه المقيدتين بالحديد إلى أعلى ، وتحدث أمام الملكين عن أخطائه ، وعن إذلاله من جانب هؤلاء الذين تسببوا فى سقوطه ، وأقر كل من فرديناند وإيزابيلا بنجاح كريستوفر كولمبس واعترفا له بالجميل ، وعاملاه بلين وكرم . وكان بوباديلو قد ذكر فى تقريره أن كولمبس كان غير ملائم لموقع[٢] السلطة ، ورغم الإبقاء على كل المميزات التى حصل عليها إلا أن ملكى أسبانيا جرداه من رتبته كنائب ملك ، ورفض الملك إرسال كولمبس على رأس بعثة أخرى تذهب إلى مسافات أبعد .

وفى النهاية تسلم كولمبس قرارا يقضى بمحاكمته ، وبعد ذلك أصبحت حالته النفسية سيئة،ونتيجة لذلك،أرسل كولمبس عددا من الإلتماسات ، التماس يلى التماس إلى ملكى أسبانيا ، كما أنه

---

[١] نفس المصدر . ص ٢١٣ .

[٢] Stella Davis: Op. cit. pp 129-132 .

بحث عن مقابلة تلى مقابلة ، وأخيرا تمكن من الحصول على البعض منها ، حتى أن صبر الملك والملكة قد نفد ، وبهذا أصبح كولمبس شخصا مزعجا متسكعا أى أنه كان مزعجا للبلاط ومضايقا لأى شخص من الذين يستطيع إستمالتهم للإستماع إليه .

بعد ذلك عاش كولمبس فى عزلة تامة لعدة سنوات أى أنه كان يعيش فى حجرة صغيرة فى نزل صغير (منزل) فى فالادوليد Valladolid ، وعلى حوائط هذه الحجرة ، علق كولمبس السلاسل التى وصل بها إلى أسبانيا ، وفى أرضية هذه الغرفة عمل كولمبس ثقب لكى يستطيع أن يشاهد البغال الرفقاء المستقرين أسفل منه . فمن الواضح أن كولمبس إصطحب معه أثناء رحلاته بعض البغال لإستخدامها فى الأماكن المستكشفة . وبعد ثلاث سنوات من عودته من الرحلة الرابعة وبعد أن عاش فى هذه الغرفة الصغيرة فترة من الوقت ، مات كولمبس عام ١٥٠٦ م ، وهو لايزال يعتقد بأنه وصل إلى جزر الهند الشرقية (١) .

ورغم كل ما قيل عن كولمبس ، ورغم موقف المعارضين لمشروعه من أمثال فيجنود H.Vignaud الذى شكك فى هدفه ، وفى خريطة توسكانيلى ، والذى إعتبر هذا المشروع الكشفى ضربا من الخيال ، حيث قال إن خريطة توسكانيلى، مبنية على أساس من الحجج غير الصحيحة ، إلا أن كولمبس كان من أعظم المغامرين الأبطال الذين نجحوا فى عبور المحيط الأطلسى ، والوصول إلى ما يعرف بالعالم الجديد ، الذى إكتشفه مصادفة . فقد تمكن كولمبس من عبور المحيط الأطلسى ، وربط بين ساحله الشرقى وشاطئه الغربى . وعلى أثر هذه الرحلات الناجحة ، التى قام بها كريستوفر كولمبس، بدأت أفواج المهاجرين الأوربيين فى الوصول إلى هذا العالم الجديد . ومن المعروف أن هؤلاء المهاجرين كانوا من السياسيين المعارضين للأنظمة الأوربية فى ذلك الوقت ، إضافة إلى هجرة جماعات من اللصوص وقطاع الطرق ، فضلا عن

Ibid. pp 133.134. 176.

هجرة المعارضين للكنيسة الغربية " إذن يمكن القول بأن الدولة التى تعرف فى وقتنا المعاصر بالولايات المتحدة دولة ليس لها تاريخ . فقد تكونت تلك الدولة من مشاكسي المجتمع الأوربى ، لذلك نلاحظ أن غالبية الشعب الأمريكى يفتقد إلى الأصالة ، لهذا نلاحظ أن هذه الدولة إرتكبت فى تاريخنا المعاصر من الأعمال ما تقشعر منه الأبدان ، فقد قامت هذه الدولة بأعمال إجرامية ضد البشرية نذكر منها على سبيل المثال ضرب مدينتى نجازكى " وهيروشيما اليابانيتين بالسلاح النووى ، مما خلف آثارا سيئة على حياة الشعب اليابانى ، ولم يقف إجرام هذه الدولة البربرية عند هذا الحد ، بل أنها قامت بغزو الشعب الفيتنامى ، فدمرت بذلك مدنه وقراه ، وخربت مزروعاته ، ومع ذلك فإن الشعب الفيتنامى صمد، وتمكن من هزيمتها ومرمغ أنفها فى الوحل .

ورغم ذلك واصلت حكومة أمريكا أعمالهاغير المشروعة فى كل مكان ، فهى تعوث فسادا فى الفلبين والصومال وأفغانستان والعراق ، فتقوم هذه الحكومة بقتل العراقيين وتدمير منازلهم ومزروعاتهم وترويع السكان ، تحت شعار الحرية والديمقراطية اى حرية وأى ديمقراطية هذه ! ؟ فهذه الدولة التى يحكمها رئيس متخبط يتشدق بالقول بأنه يحكم دولة من دول العالم الحر . كيف تكون دولة من دول العالم الحر ، وهى ترتكب من الأعمال المخالفة للقانون الدولى ما لم ترتكبه دولة غيرها من دول العالم عبر عصور التاريخ المختلفة ، فهى دولة ترفع شعار حقوق الإنسان ، ونشر الحرية والديمقراطية بين شعوب دول العالم – باستثناء العالم الأوربى – ولكن فى الواقع فإن هذا الشعار ، شعار مزيف مضلل لا أساس له من الصحة ، فهذه الدولة تريد الهيمنة بصفة خاصة على شعوب العالم العربى والإسلامى ، واستغلال ثروات تلك الأقطار ، وبالفعل بدأت بشبه الجزيرة العربينة ، فقد نجحت بالأساليب المضللة فى إقناع حكام هذه الدويلات بفتح بلادهم أمام قوتها العسكرية ، وتحويل تلك الدويلات إلى قواعد عسكرية لا يمكن التخلص منها آجلا أم عاجلا ، ومن المحزن حقا أن حكام تلك

الدويلات إعتقدوا فيما يقوله حاكم هذه الدولة ، فربما يرجع ذلك إلى أن هؤلاء الحكام يريـون حماية خارجية ، تضمن لهم الإسـتمرار فى الحكم والبقاء فيه. وتم ذلك بالفعل تحت شعار واهـى مزيـف وكاذب ألا وهو شعار محاربة الإرهاب .

بعد هذا العرض ، وبعد أن ألقينا الضوء على جهود الأسبان الكشفية لجزر الكاريبى ننتقل إلى الحديث عن الكشـف الأسـبانى لخليج المكسيك وفلوريدا ، أى أن الكشوف الأسبانية لم تتوقف فـى إتجاه الغرب بعد موت كريستوفر كولمبس عام ١٥٠٦ م .

كشف أمريكا الوسطى والجنوبية :

لقد فشلت الرحلة الرابعة لكولمبس فى حل مشـكلة إيجـاد طريق مائى يؤدى إلى الشرق عبر الأراضى الجديـدة المكتشـفة حديثا ، ولكن على الرغم من ذلك فإن هذه الرحلة حددت المنطقـة التى من الممكن إيجاد طريق يمر مـن خلالهـا ، وكـان الهـدف الرئيسى للكشف الأسبانى هـو الفـتح ، لهـذا واصـل الأسـبان إستكشافاتهم فى خليج المكسيك ، ففى غضون فترة قصيرة للغايـة من العمل حلوا خلالها مشكلة خط ساحل المكسيك. وكان من هؤلاء الذين قاموا بكشف خليج المكسيك جوان دى لاكوسا Juan de Lacosa الذى ذكر أنه فى الإمكان الحياة فى جزيرة كوبـا فـى السـنوات الثمانية التالية ، وفى عام ١٥١٣ م ، إكتشـف بـونس دى ليـون Ponce de leon فلوريدا [١] وكان لا يدرك أنهـا تمثـل جـزءا مـن الأرض الرئيسة ، ومن هذا المنطلق نشير إلى جهود أسبانيا الكشفية فى منطقة جنوب أمريكا الشمالية ، ففى عام ١٥١٣ م أيضا نجـح فاسكو نانيز دى بلباو Vasco Nanez de Balboa فى عبور برزخ بنما، ورأى من خليج سان ميجويل المحـيط الهـادى ، وعـن طريـق الإشاعات ، أغرت الثروة الموجودة فى هذه المناطق الأسبان ، لذا أرسلوا عددا آخرا من البعثات الكشفية لكشف الشريط الضيق مـن

Baker B op. cit. p. 85.

الأرض ، الذى يربط بين المكسيك وأمريكا الجنوبية ، وواجه الأسبان مصاعب كبيرة أشار إليها بلباو . وفى خطاب إلى الملك الأسبانى ، رفض بلباو تولى حكم الأراضى التى تم كشفها (أمريكا الوسطى) لأن هذه الأرض تؤرق الرجل الذى يحكمها ، فكان من الصعب على الإنسان السفر من خلال هذا القطر الملئ بالأنهار العديدة والمستنقعات والجبال، وقد أدى ذلك إلى موت أعداد كبيرة من أفراد البعثة ، الذين تحملوا أعمالا شاقة للغاية ، ففى كل يوم كان الأسبان يتعرضون للموت بألف طريقة .

وفى عام ١٥١٤ م ، وصل بيدرارياس Pedrarias إلى أمريكا الوسطى ، فوجد الأسبان مستقرين فى دارين Darine ، ومن هناك كانوا يجلبون الذهب ، الذي يستولون عليه من المناطق المجاورة لدارين ، وبهذا الأسلوب دمر الأسبان هذا القطر ، وبعد كشف دارين تمكن الأسبان من كشف الأرض الواقعة نحو الغرب مباشرة، فوصل واحد منهم يدعى جسبار دى مورالس Gaspar de Morales إلى جزر اللآلئ ، ومن بعده تتبع أسبانى آخر الساحل الشمالى ، فوصل هذا الأسبانى إلى بورتوبيلو الحديثة The Modern Portobello . وكان بلباو قد نقل السفن من أكلا Acla ، عبر برزخ بنما Isthums ، وأبحر بها فى خليج سان ميجويل The Gulf of San Miguel ، وفى تلك الأثناء تآمر بلباو ضد بيدراياس الذى عرف بالمؤامرة فأعدم بلباو .

وفى عام ١٥١٧م ، كان المغامرون الذين خرجوا من كوبا قد إكتشفوا أجزاء من ساحل يوكاتان Yucatan وكتبوا تقريرا جاء فيه " أنهم وجدوا أقطارا مكتظة بالسكان ، وكانت منازلها من المبانى ، وفى هذه الأقطار كان السكان يرتدون ملابس قطنية ، وكانوا يمتلكون الذهب وحقول الذرة " . وفى عام ١٥١٨ م ، إكتشفت إحدى البعثات الأسبانية ساحل أمريكا الشمالية أى لمسافة ١٠٠ فرسخ بدءا من بنما وحتى رأس بلانكو Cape Blanco ، ثم عادت هذه البعثة بطريق البر إلى نقطة البداية ، وبعد ثلاث سنوات

تتبعت هذه البعثة الساحل حتى وصلت إلى كل من ليون وجرانـــادا lean and Granada ، وخليج فونسيكا Fonseca . وبعد مدة أرسلت بعثة أخرى مستقلة إستولت على نيكـاراجوا ، واســتقرت فيهــا ومــن نيكاراجوا ، إتصل الأسبان بفلاحيهم الذين قدموا من الشمال أى من مكسيكو . وبعد فترة أرسل عدد من البعثات الأخرى من كل مـن بنما وهندوراس إلى ساحل المحيط الهادى ، وبالتــدريج وبمــرور الوقت ، وبمواصلة عملية الفــتح ، أصــبحت الملامــح الرئيســية لأمريكا الوسطى معروفة .

وفى عام ١٥١٩ م تتبع بنيدا Pineda الشاطئ مــن فلوريــدا حتى وصل إلى حدود المكسيك ، وبعد ذلك أرسلت البعثات الكشفية الأولى للبحث عن طريق مفتوح يمر عبر هذا الجزء من الأرض ، وفى تلك الأثناء ، وجه الأسبان إنتباههم إلـــى الســـاحل الشــرقى لفلوريدا ، فمن خلال جهودهم لإيجاد طريق يمر عبــر الأطلنطــى تفحصوا القطر الواقع على مسافة بعيدة مــن خلــيج تشيســابيك - Chesapeak bay الذى وصل إليه الأسبان عام ١٥٢٦م . وفى عــام ١٥١٩م أيضا ، أرسلت بعثة كشفية منظمة تنظيما جيداً ، وبــأوامر محددة ، وكانت هــذه البعثــة تحــت قيــادة هيرنانــدو كــورتيز Hernando Cortez ، ليكتشف أرض أمريكا الوسطى ، وقد أكدت هذه البعثة الإنطباعات الأولى والآمال الجامحــة للمغــامرين ، لأنهــم إعتقدوا أنهم وصلوا إلى الأراضى التى تحتوى على ثروات كبيرة، مثل البلاد التى يقال عنها بأن سليمان Soloman ، حصل منها على معدن الذهب الذى إستخدمه فى بناء معبده [١]، ومن بعد كورتيز قام فيراكروز كورتس Veracruz Cortez على رأس بعثة كشفية أخــرى مكثت فترة قصيرة فى مناطق ساحلية غير صحية ،واقعة بــالقرب من المناطق المكتشفة حديثا ، ثم بدأ مسيره إلى الداخل فــى إتجــاه مدينة مكسيكو Mexico City ، وفى أثناء تلك الرحلــة أقــدم أحــد قباطنته على إرسال مجموعة من الأفراد الذين صعدوا إلــى قمــة جبل بركــانى مغطــى بــالثلج The Snows Clad Volcano ويســمى

Baker. B - Ibid . p. 85 .

بوبوكيت بيتل popocate petl ، وتمكن هذا القبطان – من فوق قمـــة هذا الجبل – من رؤية البحيرة الكبيرة التى أنشئت عندها العاصمة الجديدة مكسيكو سيتى ، واختار كورتس الطريق الذى سيسـلكه ، والذى سيمكنه من الإقتراب من المدينة من ناحية الجنـوب. وفـى أوائل نوفمبر من عام ١٥١٩ ، حقق كورتس هدفه الكشفى .

فى عام ١٥١٩ أيضا ، أكمل بيدرارياس بنفسه الرحلة إلــى بنما ، وأسس هناك مدينة ، وفى نفس الوقت ، تفحــص كــل مــن جونزالو دى باداجوس Gonzalo de Badagos ، وإينوسو Eınoso وهما من الأسبان – القطر الواقع فى الجنوب من بنمــا – وقبــل ذلــك بسنوات قليلة ، كان الميناء الجديد قد أسس ، وأصــبح فــى ذلــك الوقت نقطة إنطلاق لعدد من البعثات الأسبانية الجديدة .

وفى أغسطس من عام ١٥٢١ م ، فتح كورتس الأراضــى الواقعة على كل جوانب مدينة مكسيكو سيتى ، وكان هــذا الفــتح نتيجة لسقوط تلك المدينة نفسها ،ولم يكن الدافع هــو رغبتــه فــى إحراز معرفة ، ولكن كان الدافع هو الحصول علــى ثــروة ، لأن معرفة الأسبان بالجغرافيا فى ذلك الوقت كانت كبيرة جدا ، وفــى هذا الصدد سجل المؤرخ برنال دياز Bernal Diaz ما نصه : كــان كورتس على الدوام مغرورا فى أفكاره ، وكان له طموح فى القيادة والحكم ، وكان يرغب فى أن يكون نسخة من الإسكندر المقــدونى Alexander of macdon ، وكان قد أرسل بعثات فى جميع الإتجاهات، وأسس مدنا كبيرة ، مثل أوزاكا Oaxaca ، وزاكاتولا Zacatula فــى ولايــة جيــوريرو Guerrero ، وكوليمــا Colima ، وفيراكــروز Veracruz، وبــانكو Panuco ، وكــواتزا كــولكس Coatza Coalcos ، وبيورتو مكسيكو الحديثة ، وبعد ذلك أرسل كورتس جيوشه فيمــا وراء حدود ولاية مكسيكو الحديثة [١] . بعد كل هذا أرسل كورتس الفارادو Alvarado إلى جواتيمالا Guatemala، التــي فتحهــا بشــكل جزئــي، كمــا أرسـل كــورتس أيضــا كريســتوبال دي أوليــد

[١] Baker .B . : Ibid . p . 86 .

Cristobal de Olid إلى كوبا ، وأمره أن يتخذ طريقه من هناك إلـــى هندوراس Ho duras ، وحاول أوليد تأسيس مدينة عند ميناء جيـــد ، وان ينشر السلام بين مواطني الإقليم ، وأن يبحـــث عـــن الـــذهب والفضة ، وأن يقوم بجمع المعلومات المفيدة عن هذا الإقليم [١] .

وعند الوصول إلى تلك المناطق حاول أن يكتشف مضـــيقا وأن يتعرف على الموانئ الموجودة في الساحل الجنوبي من كوبا ، وكان كريستوبال أوليد قد وصل إلـــى الشـــاطئ الجنـــوبي لخلـــيج هندوراس . ومن هناك أرسل أوليد بدوره وعلى التوالي مجموعات لكي تكتشف القطر الداخلي ، وهناك أيضـــا دبـــر مـــؤامرة ضـــد فيراكروزكورتس ، تمثلت هذه المؤامرة في إرســـال أوليـــد بعثـــة لإغتيال كورتس ، ولكنها فشلت ، وبعد فشلها طلب أفرادها محاكمة أوليد . وفي هذا الوقت كان كورتس قلقا على مصير بعثة الفارادو ، لهذا بحث بصفة شخصية إتخاذ موقف حيال هذه البعثة .

وبحلول عام ١٥٢٢ م ، وصل الفاتحون الأسبان إلى الساحل الباسفيكي ، وأسسوا هناك ميناء زاكاتولا . وفي الإتجاه المقابل من هذا القطر ، كانت جيوشهم تتجول على طول مسافة بعيدة من نهر بانوكو Panuco River . وفي نفس الوقت تقدموا في إتجـــاه الشـــمال ببطء حتى وصلوا إلى المقاطعات الحديثة في الولايات المتحدة من كاليفورنيا الواقعة على الشاطئ الشرقي للمحـــيط الهـــادي وحتـــى تكساس الواقعة على خليج المكسيك . وفي نفس الوقت كان نونـــو دي جوزمان Nono de Guzman قد إتخذ خطوة على جانب كبير من الأهمية ، تمثلت في تقدمه من المكسيك وفتحـــه لأقـــاليم جاليســـكو Jalisco وسينالاو Sinaloa . وكان هذا التقدم الأسباني كبيرا وهامـــا ، بحيث أنه كان يمثل حادثة ملفتة للنظر مع أنه لم يكن متتابعا .

وفي أكتوبر من عام ١٥٢٤ م ، إنطلق كورتس من مدينـــة مكسيكو سيتي عبر إقليم تاباسكو Tabasco ، ووصـــل إلـــى خلـــيج

---

[1] Baker. B. : Ibid. P. 86.

هُندوراس ، وأوضحت خطابات أحد القادة المعلومات الخاصة بهذه البعثة ، ففي كل مكان كانت البعثة تواجه مصاعب جمة ، لهذا لم تتحقق أية نتائج تذكر رغم وصولها إلى خليج المكسيك وعلى الرغم من ذلك أنجزت بعثات كورتس الكشفية قدرا كبيرا من العمل وكان كورتس هذا قد أسس مدينة تعرف في ذلك الوقت بإسمه "بيورتوكورتس " التي كانت البعثات الكشفية تنطلق منها . وبعد فترة أبحر كورتس إلى تروجيلو، التى أصبحت نقطة البداية للبعثات الكشفية ، والتى أشبعت رغبة فيراكروز كورتس فى الكشف عن القطر الواقع فيما وراء تروجيلو . وكان تابعه ساندوفال Sandoval يقوم بالكشف فى وادى تشاميليكون Chamelecon، وكان ساندوفال هذا قد التقى مع جماعة من الأسبان فى تشاميليكون ، الذين إتخذوا طريقهم عبر نيكاراجوا للكشف والإستطلاع . وفى غضون ثلاث سنوات كان الأسبان يحملون أسلحتهم ويسيرون عبر أمريكا الوسطى ، أى من مكسيكو إلى بنما، بعد ذلك عاد كورتس عن طريق البحر إلى مكسيكو ، وفى نفس الوقت كان جزء من قواته يتقهقر إلى الوراء ، بحيث أنه سار مسافة طويلة صعبة عبر السلفادور، وجواتيمالا الحديثتين ، وكان من الضرورى فى ذلك الوقت ، خاصة بعد عودة كورتس إلى مكسيكو سيتى ، أن تتقدم الكشوف الأسبانية فى شمال المكسيك . وهناك وكما حدث فى الجنوب ، فإن سقوط مدينة مكسيكو سيتى سيؤدى بدوره إلى إرسال عدد من البعثات الكشفية من العاصمة فى أسبانيا إلى تلك الجهات المجهولة ، وفى تلك الفترة أيضا واصل الأسبان الكشف عن ساحل المكسيك ، ففى عام ١٥٢٧ م وصل الأسبان إلى بنما ، وفى عام ١٥٢٨ م ، قام كابيز دى فاكا Cabez de Vaca على رأس بعثة كشفية إلى فلوريدا ، وفى عام ١٥٢٨م كذلك قام بافيو دى نارفيز Pafio de Narveaz على رأس بعثة كشفية إلى فلوريدا بناء على التكليف المخول إليه بفتح واستعمار القطر الواقع فيما بين المكسيك الشرقية وفلوريدا . وقد رست هذه البعثة على الساحل الغربى من فلوريدا الواقعة على مقربة من خليج تامبا Tamba bay ، وعلى الفور سارت البعثة فى خط متوازى مع الساحل حتى وصلت إلى خليج

الأبالاشى Appalachee bay ، وفى هذا الوقت، فقد أفراد البعثة الإتصال مع السفن الأخرى ، ووجدوا أنفسهم منساقين إلى قطر مجهول ، وهناك بنوا خمس مراكب ، ثم بدأوا الرحلة من جديد ، مع أن كل واحد منهم كان قد فقد الإتصال بالآخر ، بسبب الأدغال والأحراش، وبسبب عدم معرفتهم لجغرافية تلك المناطق الجديدة .

وفى عام ١٥٢٨ أيضا تجمع حوالى ٨٠ أسبانيا على الجزيرة المشئومة the Island misfortune ، الواقعة بعيدا عن ساحل تكساس ، وفى أثناء فصل الشتاء تناقص عدد هؤلاء الأسبان إلى حوالى ١٥ أسبانيا فقط ، بسبب ما تعرضوا له من مخاطر وأمراض ، فقد ذهب أحد هؤلاء الأحياء ويدعى – كابيز دى فاكا – إلى الأرض الرئيسة ، وقضى هناك خمس سنوات مقيما مع الوطنيين . وفى النهاية عاد وبصحبته أحد الرفقاء واتخذا طريقهما نحو الجنوب ، وعبرا نهرى برازوس Brazos ، وكلورادو Colorado، ثم وصلا إلى خليج سنت أنتونيو Saint Antonio Bay.

وفى أخر الأمر أى فى أبريل من عام ١٥٣٦ م ، هرب الشخصان إلى المكسيك ، ثم وصلا إلى سنت ميجويل Saint Miguel الواقعة على مسافة ١٠٠ فرسخ من كمبوستيلا Combostella ، ومن بعدها وصلا إلى مدينة المكسيك، ومنها عادا إلى أوربا . وفى ١٠ من أغسطس عام ١٥٣٧ م رسيا فى لشبونة ، وفى هذا الصدد قالا:" نحن عبرنا من بحر إلى بحر ، وجمعنا معلومات بجهد جهيد، وكانت المسافة بين كل بحر عند الجزء الأكثر إتساعا ٢٠٠٠ الفى فرسخ ، وعلمنا أنه يوجد على ساحل البحر الجنوبى لآلئ وثروات كبيرة فالأقطار الأفضل والأكثر إتساعا توجد هنا " . وكما شرح من قبل ، فإن هذه البعثة الملفتة للنظر كان لديها قدرة كبيرة على الإحتمال أكثر من بعثة كورونادو ، وعندما وصل كابيز دى فاكا إلى أسبانيا ، كان يأمل فى أن يتلقى مكافآت كبيرة ، مقابل الأخبار التى أتى بها ، لكنه وجد أن منصبى حاكم كوبا وفلوريدا ، قد منحا إلى هيرناندو دى سوتو Hernando de Soto ، الجندى الذى خدم بتفوق فى أمريكا الوسطى ، وفى بيرو . لهذا رفض كابيز دى فاكا

أن يفشى كل ما عرفه من أسرار عن الأرض التى شاهدها،وكل ما قاله لأصدقائه عن هذا القطر هو أنه أغنى قطر فى العالم .

وفى عام ١٥٣٩ م . قام فرانسسكو ماركوس دى نيزا Francisco Marcos de Niza برحلة صوب الشمال فى الولايات الحديثة أى فيما بن أريزونا Arizona ومكسيكو الجديدة ، وكان قد رأى من على مسافة ، إحدى مدن سيبولا السبع Seven Cities Cibolla فبواسطة تقاريره المثيرة أكد القصة المبكرة لكابيز دى فاكا Capez de Vaka التى تشير إلى هذه المدن ، وفى عام ١٥٣٩ أيضا، أبحر دى سوتو إلى كوبا ومنها إلى فلوريدا .

وفى عام ١٥٣٩ ، كذلك وصل فرانسسكو دى ألوا Francisco de ulloa إلى خليج كاليفورنيا ، وبعد ذلك واصل مسيره على طول ساحل شبه جزيرة كاليفورنيا ، ثم دار بعد ذلك حول رأس سان لوكار ، واكتشف مسافة قصيرة من الشاطئ الغربى لكاليفورنيا أى فيما وراء جزيرة سيدروس Cedros Island .

وفى عام ١٥٤٠ م ، أرسلت بعثة كشفية تحت قيادة فرانسسكو فاسكيز دى كورونادو Francisco Vasquez de Coronado إلى منطقة مدن سيبولا السبع.وكانت بعثة فاسكيز هذا على جانب من الأهمية،بل كانت بالغة الأثر من وجهة النظر الجغرافية،بسبب إندماجها مع بعثة دى سوتو لتعطى بعداً أكبر عن الداخل الشاسع للقارة الشمالية،التى ظلت مجهولة حتى ذلك التاريخ ، وكونت بعثة دى كورنادو الأساس لفن رسم الخرائط لتلك المنطقة [١]واكتشف أن لدى قبائل البيوبلو Pueblo– المعروفة والمقيمة فى الجنوب الغربى للولايات المتحدة – ثروة كبيرة تعج بها الوديان،ومنطقة الجراند كانون the Grand Canon أى الممر الضيق لنهر الكلورادو، والألسنةالرملية الممتدة فى مجرى هذا النهر، وتمثلت هذه الثروة فى قطعان ثور المسك ، الذى يعتمد عليه الصيادون من الهنود

---

[١] Baker. B. Ibid. p.88.

الحمر إعتمادا يكاد يكون كليا ، وقبل الوصول إلى سيبولا الواقعة على ساحل المحيط الهادى ، أرسلت بعثة مكونة من الرجال الأكفاء جدا فى إتجاه الشمال والغرب بحثا عن ساحل هذا المحيط ، ووصل أفراد هذه البعثة إلى نهر عند نقطة تقع على بعد ١٥ فرسخا من مصبه ، ووجد أفراد البعثة نقشا على جزع شجرة يقول وصل الأركون إلى هذا المكان . يبدو أن هذا الإسم كان لمستكشف أسبانى سابق كان قد وصل إلى نهر الكلورادو The Colorado River وسار فيه صاعدا مسافة أميال قليلة .

يشير هذا النقش إلى أن بعثة أسبانية متكاملة ، أبحرت من سان بلاس San Blas ، ووصلت إلى خليج كاليفورنيا ، ثم عادت بعد ذلك من هناك ، لأنها لم تستطع التقدم أكثر من ذلك . وكتب الأركون تقريرا جاء فيه " إن كاليفورنيا السفلى شبه جزيرة " وسارت البعثة بعد ذلك برا حول رأس الخليج ، ثم تتبعت الساحل صوب الجنوب لمسافة قصيرة فى داخل كاليفورنيا السفلى . وهناك إنفصلت من هذه البعثة بعثة أخرى ، لتزور النهر الموجود فى هذه المنطقة . وقد كتبت البعثة تقريرا يشير إلى وجود قطر مهجور يقع فيما وراء هذا النهر [١] .

بعد أن قضت هذه البعثة عشرين يوما فى الإستكشاف وصل أفرادها إلى شواطئ النهر ، الذى يبدو أن طوله كان أكثر من ٣ أو ٤ فرسخ (١٠ أميال تقريبا) ، وتتدفق مياهه بين شاطئيه المفتوحين ، وكانت تضاريس هذا القطر مرتفعة وواسعة ويتميز بالبرودة ، ومملوءا بأشجار الصنوبر القصيرة الملتوية ، ويمتد هذا القطر فى إتجاه الشمال . وفى ذلك الوقت حل الفصل الدافئ ورغم ذلك لم يستطع أى فرد المعيشة هناك بسبب شدة البرودة ، وكان هذا هو الوصف للمشهد الأول للجراند كانون ، الواقع فى منطقة نهر الكلورادو the Grand Canon of Colorado ، وفى هذه المنطقة بدأ الأسبان يبحثون عن الثروة فى إتجاه الجنوب عبر نهرى

---

(١) Baker B : op. cit. p.89 .

الريوجراند والبيكوس the Rio Grand and pecos R، وبعد عشرة أيـــام من البحث عبر أفراد البعثـــة نهـــر البيكـــوس ، ووصـــلوا إلـــى مستوطنات مسكونة بالسكان الذين يعيشون حياة بدوية، وعلى مدى يومين من البحث والتجوال رأى أفراد البعثة الأبقـــار التـــى كـــان يمتلكها هؤلاء الناس ، الذين كانوا يعيشون فى خيام مصنوعة مـــن جلود الأبقار المدبوغة ، ودائمـــا كـــان هـــؤلاء الســـكان يتبعـــون الحيوانات (الأبقار) لقتلها عندما يكونون فى حاجة إلى الطعام .

وتقريبا إجتاز الأسبان القارة من جورجيا إلى كاليفورنيـــا . ومن الجدير ذكره أن دى سوتو قام بأول كشف على نطاق واســـع لجنوب الولايات المتحدة ، وزودتنا إستكشـــافاته بظـــروف الحيـــاة البدائية والأساليب الخاصة بالهنود الحمر الجنوبيين . وكـــان مـــن نتائج كشوفات دى سوتو كشفه لنهر المسيسبى .

ومن المستحيل التعقيب فى تفصيل عن الطريق الذى اتخـــذه دى سوتو ، ولكن يمكن أن نبين ملامح هذا الطريق مـــن التقـــارير المختلفة التى حفظت عن الرحلة ، فقد جاء فـــى إحـــدى التقـــارير الخاصة برحلة دى سوتو فى خليج تامبا أنه فى الإمكـــان وجـــود الذهب والفضة بوفرة فى أى قطر يوجد فى هذه المنطقة ، وكـــان الناس فى تلك الأصقاع أغنياء ، حيث كانوا يذهبون إلى الحـــرب . وهم مرتدين خوذات مصنوعة من الذهب ؛ أى أنها ربمـــا تكـــون شارات للتمييز بين الجنود والضباط، وكان الأسبان قد وصلوا إلى رأس خليج أبالاشى Appalachee bay ، حيث ســـاروا عبـــر ولايـــة جورجيا الحديثة ، فهناك إنتشرت الإشاعات عن الأرض الغنيـــة ، الواقعة فى إتجاه شروق الشمس ، مما دفعهم ذلك إلى الإتجاه نحـــو المحيط الأطلسى ، فقاموا برحلة إستغرقت يومين . وفى تلك الأثناء إنتشرت إشاعات عن وجود الذهب فى اتجـــاه الشـــمال ، فأرســـل الأسبان جيشهم إلى الداخل فوصل هذا الجيش إلى كل مـــن جبـــال الأبالاشـــين The Appalachian Mountains ، ونهـــر الألابامـــا Alabama River ، ثم تتبعوا الطريق حتى وصلوا إلى قطـــر مـــانيلا

Manilla ، الواقع بالقرب من مصب نهر الألاباما ، وبعدئذ إضطروا إلى الذهاب للبحث عن قطر يقطنون فيه فى فصل الشتاء، ثم يواصلون بعد ذلك إستكشافاتهم .

وبعد فترة إتجه الأسبان إلى الشمال الغربى ، ثم عبروا نهر المسيسبى ، الذى من المحتمل أن يكون هذا النهر واقعا بالقرب من ممفيس الحديثة the Modern Memphis ، ثم ساروا بعد ذلك مسافة قصيرة مع الشاطئ الغربى لنهر المسيسبى ، على أمل كشف طريق يوصل إلى الشمال ، ليذهبوا إلى جنوب البحر (المحيطالأطلسى) ثم عادت المجموعة بعد فشلها فى الذهاب صوب الجنوب . وبعد ذلك اتخذ أفراد البعثة طريقهم نحو الغرب ، حتى وصلوا إلى هضبة أوزارك Ozark – هى عبارة عن قطر من التلال غير المستوية – وفى نهاية الأمر إضطرت البعثة إلى العودة إلى نهر المسيسبى . وبعد إجراء إستكشاف فى أماكن أخرى صوب الغرب أى عند أحد خطوط العرض ، لم يتحقق للأسبان أى نجاح.

وأخيرا صمم دى سوتو على الذهاب نحو الجنوب إلىالبحر (المحيط الأطلسى) لكنه ضل طريقه فوصل إلى مكان آخر ، ورغم ذلك لم يجد أى طريق يجتاز من خلاله المستنقعات الكبيرة ، التى تمتد من الريوجراند (المسيسبى) وما وراءه . وفى تلك الأثناء مرض دى سوتوومات ، وبموته إنتقلت القيادة إلى لويس دى موسكوسو Luis de Moscoso ، الذى سار فى إتجاه الغرب أملا فى الوصول إلى المكسيك ، فمر من خلال أراضى القبائل الهندية . لهذا واجهت بعثة موسكوسو مجاعة أجبرتها على العودة إلى المدينة التى كانت ملائمة لبناء السفن والتى بواسطتها يمكن مغادرة هذا القطر .

ومن هناك هرب الأسبان بعد أن شاهدوا مصب نهر المسيسبى،ومكثوا على مقربة من الساحل أى من ساحل (المحيط الأطلسى) لكنهم واصلوا المسير بعد ذلك،فوصلوا إلى نهر بانوكو.

وهناك أستقبلوا إستقبالا طيبا من جانب المسيحيين المستقرين فى تلـك الأصقاع . وهكذا إنتهت شهرة دى سوتو بالفشل، وكان المقاوم الرئيسى لنجاحه يكمن فى كثرة الطرق التى سلكها ، وفى التقرير الذى كتبه عن بعثته فيبدو أنه أشار إلى كل العقبات التى واجهته بدقة وأمانة .

بعد ذلك وصل موسكوسو إلى أرض الكويفيرا التى عـادت منها البعثة والتى كانت تحت قيادة كورونادو ، الذى فشـل مثلمـا فشل دى سوتو فى تحقيق هدفه ، مع أن بعثة دى سوتو هذه كانـت قد أضافت الكثير إلى المعرفة الجغرافية عن العالم . وفـى عـام ١٦٠٧م، نشر تقرير عن بعثة دى سوتو ، كان هـذا التقريـر قـد ترجم إلى الإنجليزية ، بمعرفة ريتشارد هاكليوت Richard Hakluyt .

وبوصول الأسبان إلـى تلـك المنـاطق خاصـة منطقتـى الكلورادو ومكسيكو الشرقية ، يكون الأسبان قد عادوا إلـى نقطـة البداية . وفى تلك الأثناء تقدم كورونادو على رأس بعثـة كشـفية صغيرة إلى كويفيرا Quivira ، ومن هناك كتب تقريرا عن منطقـة الكويفيرا هذه جاء فيه :

" أنها منطقة ثرية يقترب فيها نهرى أركنسـاس Arkansas ، وكانساس Kansas كل منهما بالآخر ، ومـرة ثانيـة خابـت آمـال الأسبان ، فلم يجدوا ذهبا ولا فضة فى هذه المنطقة ، ولا أى شـئ آخر عند هؤلاء الناس . وفى صيف عام ١٥٤٢ م كتب كورونادو تقريرا عن هذه المستوطنة عند عودته إلى أسبانيا ، وأشار فيه إلى أن بعثته قوبلت باهتمام أقل عما كانت تستحق ، مـع أن نتائجهـا كانت على جانب كبير من الأهمية[١] .

وفى عام ١٥٤٣ م ، كشفت بعثة جوان رودريجويز كابريلو Juan Rodrigues Cabrillo ، الساحل الغربى من أمريكا الوسطى بدءاً من رأس مندوكينو Cape Mendocino ، وحتى خـط العـرض ٤٤° شمالا [٢] . وفى نفس هذا القرن ألـ١٦المـيلادى كـرر الأسـبان

---

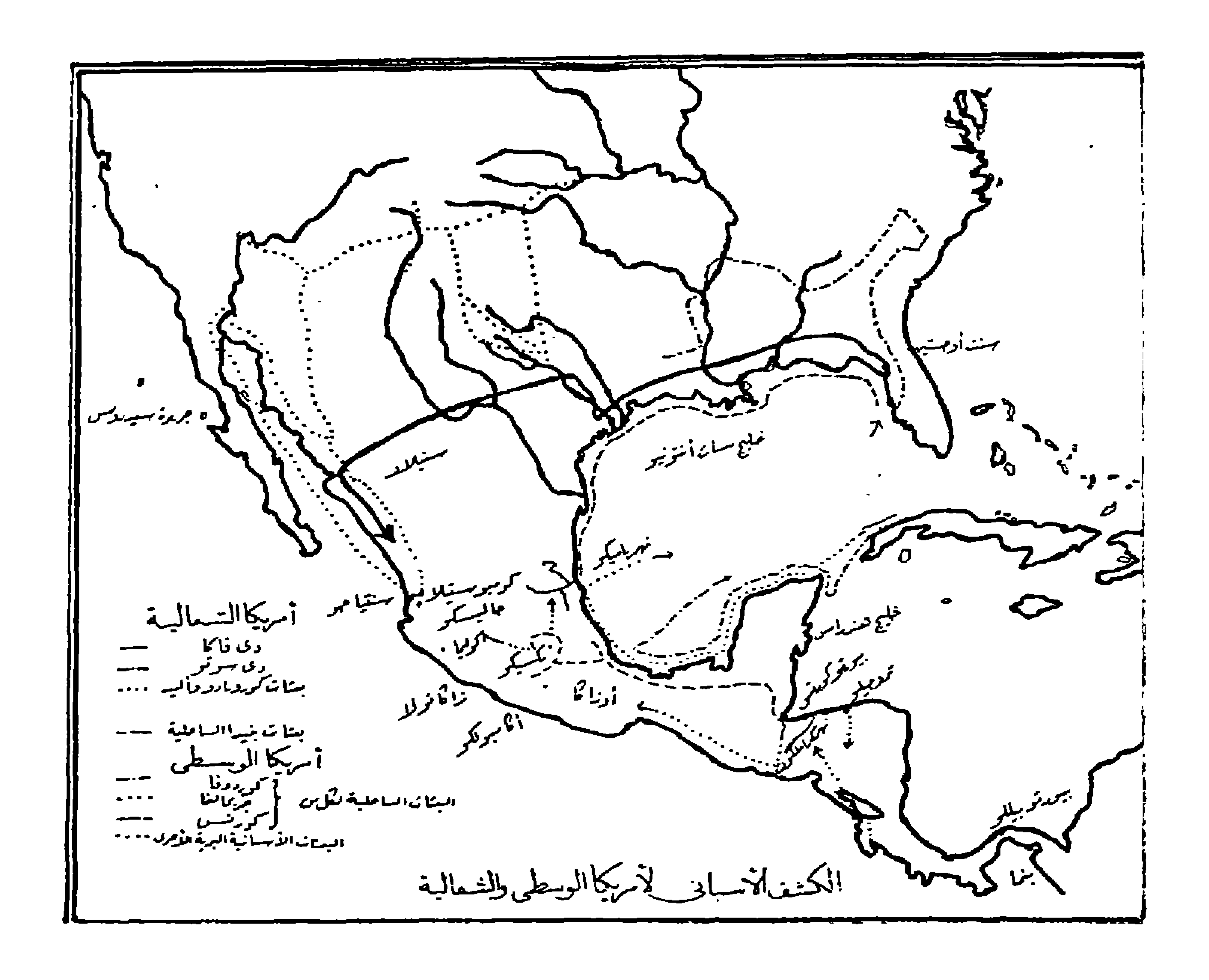
[١] Baker, B. : Ibid, pp. 90-93 .
[٢] Baker, B.: Ibid . pp. 89-90 .

جهودهم الكشفية فاكتشفوا فلوريدا ، رغم الكوارث التـــى إكتنفــت جهودهم المبكرة . وفى عام ١٥٥٨ م جهز الأسبان بعثة لتـــتفحص خط الساحل خاصة معاينة المستوطنة ، التى كـــان الأســـبان قـــد أنشأوها على الساحل الشرقى لأمريكـــا الشـــمالية ، ولكـــن هـــذه المستوطنة كانت قد انهارت وتلاشت قبل وصول تلك البعثة . وفى عام ١٥٦٠ م ، جذبت هذه المنطقة الفرنسيين الذين مكنوا لأنفســـهم فيها ، فكانوا مصدر إزعـــاج مســـتمر للأســـبان لأن الفرنســـيين احتلوا موقعا إستراتيجيا هاما ، تمثل هذا الموقع فى الساحل الشرقى لأمريكا الشمالية ، فكان من الممكن بالنسبة لهم أى للفرنسيين القيام بهجمات على المستعمرات الأسبانية وأيضا الإنقضاض على السفن التى تحمل معدنى الذهب والفضة ، وكان من نتيجة هذا العمل مـــن جانب الفرنسيين ، أن دعم الأسبان وسائل دفاعاتهم من أجل حماية أنفسهم فى تلك المناطق المكتشفة حديثا .

وفى عام ١٥٦٥ م أرسل الأسبان بعثة على جانب كبير من الأهمية ، كانت تحت قيادة منديز Mendez لمحاربـــة الفرنســـيين ، وقامت هذه البعثة بعمل إستطلاع على الساحل بدءاً من فلوريـــدا ، وحتى القطر الواقع فى أقصى الشمال، وهناك أسس منديز مدينـــة سنت أوجستين Saint Augustine . ورغم المشاق والصعوبات التـــى واجهت الأسبان إلا أنهم كان لديهم القدرة علـــى الـــدخول فـــى اى مكان، مع أنهم كانوا يتمتعون بسوء التصرف خاصة فـــى نهايـــة القرن ألـــ١٦ م ، مما جعلهم يفقدون الكثير من ممتلكـــاتهم . فمـــن المعروف أن كل من دى سوتو وكورونادو ، قد أضـــافا لأســـبانيا أراضي جديدة فى شمال أمريكا الشمالية ، لكن هذه الأراضى كانت غير مجدية ، لهذا وجهت أسبانيا جهودها نحو أمريكـــا الجنوبيـــة بسبب الثروة الموجودة فى مملكة الإنكا .

ويمكن القول بأن الأسبان نجحوا فى إستكشافاتهم لكل مـــن جنوب أمريكا الشمالية والوسطى ، خاصة أنه فى ذلك الوقـــت لـــم يكن يوجد منافس على جانب من الأهمية ، ولهذا كان فى إمكـــانهم

التوغل فى أى مكان من هذا العالم المستكشف حديثا دون أية معارضة تذكر من أى جانب . وهذا ما مكنهم من الحصول على ثروات كبيرة خاصة من معدنى الذهب والفضة، فكان جل إهتمامهم يكمن فى البحث عن المواقع التى يمكن أن يوجد بها الذهب . ونشير إلى أنه لم يكن للأسبان أى نشاط دينى يذكر فى كل المناطق التى فتحوها ، يدل ذلك على أن هدفهم كان هدفا إقتصاديا بحتا إضافة إلى فرض الهيمنة على كل المناطق التى نجحوا فى كشفها قبل غيرهم من دول أوربا . وبهذا يكون الأسبان قد حققوا هدفهم الكشفى فى منطقة خليج المكسيك، وشرق أمريكا الشمالية، ويكونوا بذلك قد ساهموا فى فتح هذه المناطق للدول الأوربية مثل بريطانيا وفرنسا وهولندا وإيطاليا .



الكشف الأسبانى لأمريكا الوسطى والشمالية

كشف الأسبان لأمريكا الجنوبية:

بعد أن انتهت أسبانيا من إرتيادها لكل من البحر الكاريبى وخليج المكسيك والساحل الشرقى لأمريكا ، فكرت وبشكل جدى فى كشف أمريكا الجنوبية للبحث عن معدنى الذهب والفضة ، وفرض سيطرتها على هذه المناطق الجديدة ، والقضاء على سكانها من الوطنيين الأصليين ، واستغلال أسبانيا لكل موارد هذه البلاد . وهذا ما سوف نعرض له بشئ من التفصيل .

فى تلك الأثناء ، كان هناك صراع بين البرتغال وأسبانيا بسبب نشاطهما الكشفى ، ومن أجل وقف هذا التنافس والصراع بين الدولتين الجارتين عقدت معاهدة توريسيلاس The treaty of Tordesillas بين الجارتين ، ونصت بنود هذه المعاهدة على منح البرتغاليين أجزاء من أمريكا الجنوبية ، خاصة التى تقع إلى شرق خط طول ٤٧ ° جنوبا تقريبا . ومن الجدير ذكره أن تقرير كابوت قد حث البرتغاليين بعد الإطلاع على النشاط والهمة فى مجال الكشف الجغرافى،وكان من نتيجة ذلك تأسيس سنت فنسنت Saint Vincente الواقعة على مقربة من موقع مدينة سانتس الحديثة The Modern Sants للإشراف على خط التقسيم بين الدولتين . وحاول الأسبان التمكين لأنفسهم فى الإقامة على الساحل الشمالى لأمريكا الجنوبية . وفى عام ١٥١٠ م قام كل من أوجيدا Ojida ونيكويسا Nicuesa على رأس بعثة كشفية وصلت إلى خليج دارين، وفى منطقة دارين إشتبك أفراد هذه البعثة مع الوطنيين فى هذا القطر ، ورغم ذلك تمكنت البعثة من الكشف عن مناطق متفرقة من هذا الإقليم الواقع على طول الشاطئ الشرقى للمحيط الهادى . وبالتدريج تمكن الأسبان من التغلب على كل الصعاب الأولية التى واجهتهم ، وعاشوا هناك فى مستوطنات صغيرة تقع على طول الساحل الشرقى لأمريكا الجنوبية .

لم يقف جهد الأسبان عند هذا الحد بل نجدهم يرسلون بعثة كشفية إلى شرق أمريكا الجنوبية عام ١٥١٥ م تحت قيادة جوان دياز دى سوليس Juan Dias de Solis ، الذى تمكن من كشف أحد فروع نهر البليت The Estuary of The plate River .

وفى عام ١٥١٩ م قام كل من مورالس Morals وأنداجيا Andagya على رأس بعثة كشفية ، أكتشف أثناءها أرض بيرو Biru الواقعة فى الجنوب الغربى من دارين . ومن المعروف أن بيرو قد أكتشفت من قبل بواسطة بارتولومى رويز Bartolome Ruiz و وضابطه الهمام المدعو فرانسيسكو بيزارو Francisco Pizaro .

وفى عام ١٥٢٠ م أسس الأسبان مستوطنة كيومانا Cumana . وفى عام ١٥٢٤ م أبحر فرانسيسكو بزارو ، ليكتشف بيرو ، واستمرت بعثته تتجول فى تلك المناطق إلى ما يزيد على ثلاث سنوات ، وقد نجحت هذه البعثة فى الوصول إلى نهر سنت جوان Saint Guan ، ومع ذلك لم تتمكن بعثة بيزارو هذه من كشف أراضى جديدة باستثناء بيرو ، لأن كل الأراضى التى سارت فيها هذه البعثة كانت مستنقعية ومغمورة بالمياه ، ولا يسكنها أحد ، ولكن على الرغم من ذلك واصل بيزارو تجواله فى منطقة نهر سنت جوان على متن سفينة صغيرة عبر بها خط الإستواء . وفى تلك الأثناء شاهد مناطق غنية بالذهب والفضة ، وكانت تلك المناطق مسكونة بأناس أكثر ذكاء وأكثر تحضرا من الناس الذين قابلهم بيزارو من قبل .

عادت بعثة بيزارو من منطقة البيرو ، وهى تحمل معها عينات Samples من كل من معدنى الذهب والفضة، إضافة إلى عدد من سكان تلك المناطق . ومع ذلك كان بيزارو يطمح فى المسير إلى مسافة أبعد حتى يصل إلى توماكو Tomaco ، ولكنه عاد إلى بنما ، ومنها إلى أسبانيا ، حيث رحب بجهده وكشفه الحديث كما رحب بفتح هذا القطر .

لم يكتف بيزارو بكل ما قام به فى مجال الكشف بل نجده فى عام ١٥٣١ م يبدأ مشروعه الكشفى الجديد ، وكـــان توقعـــه الأول الوصول إلى جزيرة بيونا Puna ، لكنه وصل إلـــى منطقـــة تمبيـــز Tumbez. ومن هناك قام بأعماله الكشفية ،كما أنه أسس مســـتوطنة فى وادى بيورا The Pura Valley ، ومن بيورا وصل بيـــزارو إلـــى إقليم كاجاماركا Cajamarca (مملكة الثروات) . ومن بعدها وصل إلى حدود المناطق القاحلة ، وهناك وجد كل القرى التى تقـــع فـــى أودية نهر ، حيث تتوفر المياه اللازمة للرى . إضافة إلى وجـــود ثروة معدنية ، أكثر مما كان متوقعا ، كما علم بيزارو بوجود أقاليم غنية تقع فى الجنوب ، مما دفعه ذلك إلى إرسال بعثات كشفية فـــى منطقة كوزكو، وما حولها . وهناك وجد بيزارو مدينة كبيرة غنيـــة بالثروات المعدنية ، وقد عادت البعثات التى أرسلها بيزارو بكميات كبيرة من الغنائم ، التى حصلوا عليها من هذه المدينة ، وكانت هذه الغنائم تمثل دليلاً على نجاح بعثات بيزارو الكشفية . وبنهاية عـــام ١٥٣٣م، سار بيزارو بنفسه إلى كوزكو الواقعـــة علـــى الشـــاطئ الشرقى للمحيط الهادى وجعل نفسه حاكمـــا عليهـــا . وفـــى عـــام ١٥٣٥م أسس بيزارو مدينة ليما التى وصـــفها ســـيزا دى ليـــون Ciza de Lean فى حينه بأنها المدينة الأعظم فى كل مملكة بيرو، بل هى الأكثر أهمية بعد كوزكو Cuzco . ومنذ ذلك الحين ، أصـــبحت بيرو نقطة البداية لعدد من المغـــامرات الجديـــدة ، التـــى دفعـــت بالأسبان بعيدا إلى داخلية أمريكا الجنوبية .

وكان الأسبان قد أسسوا مستوطنة سانتا مارتـــا Santa Marta عام ١٥٢٢ م وبعد بضعة سنين أسسوا مســـتوطنة كـــورو Coro . وفى عام ١٥٣٢ م أسس الأسبان مستوطنة كارتا جنا Carta gena ، التى أصبحت نقطة إنطلاق لعدد من البعثات الكشفية داخل الأرض التى عرفت فيما بعد جرانادا الجديدة New Granada . وفى عام عام ١٥٣٠ ، أرسلت أسبانيا بعثة كشفية أخرى إلى أمريكـــا الجنوبيـــة كانت تحت قيادة الفنجر Alfinger ، وذلك للبحث عن مدينة الـــذهب الخرافية The fabuious golden city ، التى أعتقد بأنها تقع فى إتجـــاه

الجنوب . ومن الجنوب ذهبت بعثة الفنجر هذا إلى وادى مجدالينا، ومن بعده توغلت البعثة فى الجبال الواقعة فى إتجاه الشرق ، وقد واجهت هذه البعثة الكثير من المصاعب خاصة بعد موت قائدها . وفى عام ١٥٣٢ م ، وصلت البعثات الأسبانية الكشفية إلى الوديان الكبيرة لنهرى الماجدالينا Magdalina ، والكوكا Coca ، ووصلت أيضا إلى هضبة بوجوتا Bogota . وفى عام ١٥٣٣ م ، أرسل الأسبان بعثة كشفية أخرى تحت قيادة بنالكازار Benalcazar كانت قد خرجت من بيرو ، ووصلت إلى كويتو Quito ، ومن هناك قام بنالكازار بالفتح المنظم للإكوادور Ecuador . وكانت إكتشافات بنالكازار تنصب حول البحث عن مدينة الذهب الدورادو El- Dorado[١] .

لم تتوقف بعثات الأسبان الكشفية إلى أمريكا الجنوبية ، ففى عام ١٥٣٣ م ، قام ألونسو دى هيرارا Alonso de Herrara على رأس بعثة كشفية ، صعدت فى نهر أورينكو Orinco ثم دخلت بعد ذلك إلى نهر الميتو The Meto River ولكن لم يكمل ألونسو دى هرارا مهمته لأن الهنود الحمر قاموا بقتله . وفى عام ١٥٣٤ م قام المغامر الأسبانى هيرديا Herdia على رأس بعثة كشفية إلى كارتاجنا ومنها إلى نهرسينو Sinu ليكتشفه . ولم تقف جهود أسبانيا الكشفية عند هذا الحد بل واصلت إرسال بعثاتها الكشفية إلى أمريكا الجنوبية لما لهذه القارة من أهمية عند الأسبان ، ففى عام ١٥٣٥ م قام بدرو مندوزا Pedro Mendoza على رأس بعثة كشفية وصلت إلى مصب نهر البليت ، وعلى الفور بدأ بدرو دى مندوزا العمل فى تأسيس مدينة بيونوس إيرس Buenos Aires . وكانت هذه المدينة على عداء مستمر مع الهنود الحمر ، مما أدى إلى تلاشيها من الوجود . وفى عام ١٥٣٥ م أيضا قام المستكشف الموجرو Almogroعلى رأس بعثة كشفية عبر خلالها بوليفيا الحديثة ، ووصل بعدها إلى شيلى Chile ، ومن هناك إتخذ طريقه عبر قطر يغلب عليه تضاريس صعبة للغاية ، حيث توجد الجبال المرتفعة ، التى لم

The C lo:d Reference. Oxford. 1986.. P. 263 .

تكن شديدة الإنحدار فقط بل شديدة الوعورة أيضـــا، وذات أخاديــد مغطاة بالثلج . وقد قضت هذه التضاريس على حياة عشــرة آلاف شخص من الهنود الحمر ، ١٥٠ شخص من الأسبان ، أثناء مرور هؤلاء الأفراد من هذا القطر . وفى النهاية وصل الأحياء من أفراد بعثة الموجرو إلى سهول شيلى ، وهناك لم تجد البعثة قطر به أيــة ثروات معدنية ، وقد سار الموجرو مسافات بعيدة فى داخــل هــذا القطر بحيث وصل إلى خط العرض ٣٧° جنوبــا ، ولكنــه عــاد مسرعا إلى بيرو بسبب الحرب التى إندلعت فيها ، لهذا لم يــتمكن من إنجاز أى عمل كشفى على جانب من الأهمية . وفــى عــام ١٥٣٦ م قام جوان دى أيولاس Juan de Ayolas علــى رأس بعثــة كشفية سارت صاعدة فى نهــر بارانــا Parana، وأســس أفرادهــا مستوطنة بالقرب من مدينة سانتا الحديثــة ، واســتمر جــوان دى أيولاس فى مسيره ، حتى وصل إلى موقع أسونكيون Asuncion .

وفى عام ١٥٣٦ م ، قاد كويســادا Quesada بعثــة كشــفية أخرى إنطلق بها من سانتا كارتا Santa Carta ، لكشــف جرينــادا ، ووادى كوكا ، وكان كويسادا قد قسم أفراد بعثته إلى قسمين قســم يسير بالبر والآخر يسير فى نهر مجدالينا ، وقد واجه القسم الأخير للبعثة الكوارث ، ولكنه فى النهاية تمكن من التغلب عليها ، وحقق أهدافه الكشفية فى تلك المناطق التى سار فيهــا . وتمكنــت بعثــة كويسادا من ربط نهر مجدالينا بكوكا . وكان كويسادا هذا قد مرض خلال قطر مهجور تغلب عليه تضاريس وعرة ، ولكنه إضطر إلى استخدام طريق أوبون . وفى أوبون إكتشف كويسادا دلائــل علــى وجود جماعة متحضرة من السكان الذين كــانوا يقطنــون هضــبة بوجوتا ، التى أسماها هو " وادى القصــور The Valley of palaces . ومن بعدها أخضع كويسادا أقاليم تشيباتشاس Chibachas .

وفى عام ١٥٣٦ م ، أيضا إنطلقت بعثة كشفية أخرى إلــى أمريكا الجنوبية كانت تحت قيادة جورج إسبيرس George of Spires، وكانت هذه البعثة تتجنب الجبال أثناء سيرها ، وبعــد فتــرة مــن

المسير توغلت فى داخل الغابات والمستنقعات والوديان العليا لكل من نهرى أورينوكو Orinoco R ، والأمازون Amazon R . وبهذا يكون الأسبان قد وصلوا إلى نهر كاكويتو Caqueto . وفى عام ١٥٣٧ م كان جوان دى إيولاس قد قاد بعثة كشفية خرجت من أسونكيون ، ومن بعدها وصلت إلى براجواى Paraguay ، ومن المحتمل أن تكون هذه البعثة قد وصلت إلى تخوم بيرو ، ولكنه إضطر إلى العودة إلى براجواى ، وفيها أغتيل بواسطة الهنود الحمر بسبب تخلى نائبه عنه المدعو دومنجو دى إيرالاDomingo de Irala . وبعد إغتيال جوان دى أيولاس حل محله فى مواصلة الكشف كابيز دى فاكا Cabez de Vaca الذى قاد بعثة كشفية وصلت إلى جزيرة سانتا كاثرينا Santa Catherina ، واعتقد كابيز دى فاكا بأنه لكى ينقذ الأسبان بالسرعة الممكنة ، كان عليه أن يقيم فى مدينة أسونكيون إلى جانب إقامته فى ميناء بيونس إيرس ، وهناك اكتشف طريق يمر عبر تيرا فيرما Terra firma .

وفى عام ١٥٣٨ م ، عاد جورج أسبيرس إلى كورو ، وهناك قامت بعثته بالكشف عن المملكة الغنية ، وفى نفس العام قام كويسادا على رأس بعثة كشفية أسس أثناءها مدينة سانتا فى بوجوتا. ومن المعروف أن منطقة كورو كانت المركز الثانى لانطلاق بعثة كويسادا ، وقد ساعد الكشف الذى حققه كويسادا تجار شركة فلسر أوجسبرج Felser Augsburg فى أعمالهم . وفى عام ١٥٣٨ م أيضا قام المغامر الأسبانى فدريمان Fedreman على رأس بعثة كشفية إكتشف أثناءها نهرى كسنير Casnare وميتا Meta، ثم وصلت بعد ذلك إلى بوجوتا Bogota ، وفى نفس العام كذلك إلتقى ثلاثة رجال من أصحاب الخبرات السابقة فى كل تاريخ الكشف الجغرافى فى بوجوتا ، وكان من هؤلاء الثلاثة كويسادا الذى وصل إلى بوجوتا من سانتا ماريا عن طريق وادى مجدالينا ، ومنهم أيضا فدريمان الذى قدم من الأراضى المنخفضة ، والذى وصل عن طريق شرق الأنديز ، ومنها إلى بوجوتا ، ومن هؤلاء الثلاثة أيضا بنالكازار الذى وصل بوجوتا عن طريق بيرو وكويتو والبوبيان

Bopayan ، وبعد أن التقى الثلاثة رجال فى بوجوتا عام ١٥٣٨ م ، قاموا على رأس بعثة كشفية مشتركة سارت فى نهر مجدالينا ، ثم وصلوا بعد ذلك إلى كارتاجانا Cartagana ، ومن بعد تلك البعثة أرسلت بعثة أخرى نجحت فى تأسيس مركز كالى Cali .

وفى عام ١٥٣٨ م أيضا عبر فاديللو سان سبستيان دى أورابو Vadillo San Sabestian de Ourabo جبال الأبيب The Abibe Mountains ، ووصل إلى وادى كوكا Cauca Valley ، ورغم تناقضه إلا أنه واصل مسيره حتى وصل إلى كالى، ومن بعدها واصل سيره عبر كل من بوبيان وكويتو، ومنها وصل إلى ساحل بيرو عند بايتا Payta ؛ أى عند مخرج وادى بويرا The Puira Valley. وهكذا ساهم كل من بنالكازار وفاديللو فى جعل المستوطنة الأسبانية الأولى فى بيرو مرتبطة بالإستكشافات المبكرة، التى تمت فى خليج دارين ، كما جعلاها مرتبطة أيضا بمدينة كارتاجانا . وفى عام ١٥٣٩ م ، وصلت بعثة فاديللو من الساحل الغربى إلى ميناء كالى ، وهناك إكتشف أحد أفرادها المدعو ، إنداجويا بيونا فنتورا " Andagoya Buena Ventura " وفى نفس السنة إنطلقت بعثة بنالكازار عبر جبال غابية ثلجية ، أدت إلى فقد بنالكازار خيوله فى وادى كوكا . كان هذا بمثابة مشهد للنشاط الأسبانى الكشفى فى الشمال الشرقى لأمريكا الجنوبية ، وهناك انتشرت إشاعات عن الدورادو ، ونتج عن ذلك فحص شامل لتلك المنطقة التى يعتقد بأنها تضم منطقة الدورادو . ولم تتوقف عمليات الكشف عند الدورادو ، بل نجد أن ديجو دى أورداز Diego de Ordaz قد صعد فى نهر أورينوكو، ووصل إلى شلال الورس The Cataract of Alures . ورغم ذلك فلم يكن فى استطاعة ديجو دى أورداز مواصلة المسير أكثر من ذلك ، بسبب العوائق الطبيعية ، وبسبب وجود الشلال، إضافة إلى معارضة الهنود الحمر له . وفى عام ١٥٣٩ م أيضا قام جونزالو (أخو بيزارو) على رأس بعثة كشفية خرجت من كوزكو ، ومنها إلى كويتو عبر أرض كل من بويرا Puira وجوياكويل Guayaquil وبعد ستة أسابيع من بدء الرحلة

إكتشف جونزالو أرض القرفة Cinnamon ،وبعد أن أنهت بعثة جونزالو مهمتها عادت عن طريق كورديليرا الثلجي Cordillera Snowy ، حيث كان الثلج يسقط بكميات كبيرة في هذه المناطق . ويتميز قطر القرفة بالبرودة الشديدة ، ففي هذه المنطقة كان الهنود الحمر يتجمدون ويموتون من شدة البرد .

وبحلول عام ١٥٤٠ م ، كان الأسبان قد أتموا فتح بيرو ، وكان فالديفيا قد كشف شيلي ووادى كوكويمبو Coquimpo ، وإقليم كيويو Cuyo الموجود في الأرجنتين ، ولم يكمل فالديفيا خططه الكشفية ، لأن الهنود الحمر قاموا بقتله . وكان فالديفيا قد قدم جهودا طيبة في تلك المناطق ، فقد حاول نشر الرخاء في كل أرجاء أمريكا الجنوبية ، التي كان يسكنها الهنود الحمر المعادين للأسبان ، الذين ازداد عدائهم عندما تحرك الأسبان نحو الجنوب داخل الجبال الثلجية . ولم تقف الجهود الأسبانية عند هذا الحد بل نلاحظ أنه في عام ١٥٤١ م ، أعدت بعثة كشفية أسبانية بمعرفة فيليب فون هوتن Philip Von Huten ، التي بدأت مهمتها من كورو عبر البحر ، واستمرت في سيرها حتى وصلت إلى بوربوراتا Burburata – ميناء يقع على الساحل الشمالي لأمريكا الجنوبية – التي فيها سمع أفراد البعثة عن وجود بعثة كشفية أخرى ، كانت قد جاءت هابطة مع هذا النهر ، حتى وصلت إلى الأرض المنخفضة في بوجوتا . وفي النهاية وصل فون هوتن إلى نهر الجوفير Guavaire River ، وبعد ذلك تقدمت البعثة صوب المدينة المسماة ماكاتوا Macatoa- المدينة التي لا يوجد بها ثروة كبيرة – وفي هذه المدينة سمع فون هوتن عن وجود قبيلة هندية غنية تعرف باسم أوماجواس التي كانت تستوطن منطقة تقع على مسافة بعيدة نحو الجنوب . وهناك حدث صدام بين فيليب فون هوتن وقبيلة الأوماجواس التي تمكنت من هزيمة هوتن ، الذى عاد إلى كورو بعد أن كتب تقريرا عن أوماجواس ، أشار فيه إلى المناطق التي كشفها، والتي لم يستطع أى أوربي الوصول إليها بعد ٢٠٠ عام . وقوبلت تقارير فون هوتن بالتصديق من جانب المسئولين في

أسبانيا لذلك أعد عدد من البعثات الكشفية التى كان من أهمها بعثة بدرو دى أوراسوا Pedro de Ursua ، التى نجحت فيما أوكل إليها من مهام .ورغم ذلك فإن هذه البعثة لم تصل إلى المناطق المجهولة .

وفى عام ١٥٤١ م أيضا كان كابيز دى فاكا يقوم على رأس بعثة كشفية عبرت الجبال الوعرة ، وشق أفراد البعثة لأنفسهم طريقا خلال تلك الغابات ليتمكنوا من المرور هم ودوابهم . وشاهدت البعثة أن هذه الأماكن المكتشفة حديثا لم تكن مسكونة بالناس ، بل كانت خالية ، وبعد المسير ١٩ يوما تقريبا قاربت التموينات الخاصة بالبعثة على النفاد ، وشاهد أفراد تلك البعثة السكان الأوائل الذين يقطنون تلك المنطقة النائية ، وفى بداية ديسمبر من نفس العام ، وصلت بعثة كابيز دى فاكا إلى الإكواسو Iquassu وهو أحد الروافد الكبيرة لنهر البارانا Parana . بعد ذلك تتبع أفراد بعثة كابيز المسير فى هذا الفرع الرئيسى حتى وصلوا إلى نهر البارانا نفسه . ولم تكن خيبة الأمل بالنسبة لبعثة كابيز تكمن فى إيجاد السفن التى أعدوها فى إسونكيون ، بل كانت الخيبة تكمن فى إستيلاء الحاكم الأسبانى على هذا النهر ، تحت إسم صاحب الجلالة His Majesty ، وقد سارت بعثة كابيز دى فاكا فى هذا النهر بنجاح حتى وصلت إلى المستوطنة الأسبانية فى ١١ مارس عام ١٥٤٢ م . وبعد شهرين من المسير وصل كابيز دى فاكا إلى أسونكيون ،وكان فى حالة مرض شديد ، ومن هناك إنطلق كابيز ليعمل على إعادة تأسيس الإستراتيجية والقوة لأسبانيا ، فأرسل مجموعة لتعيد بناء ميناء بيونس إيرس ، كى يصبح مكانا أكثر ملائمة لمستعمرة جديدة تكون أكثر أمنا ورخاء لجميع الأسبان فى الإقليم ، واشترط أن يكون الميناء ملائما أيضا لهؤلاء الذين سيأتون إلى هذا المكان فى المستقبل ، وكانت بعثة كابيز دى فاكا قد حاولت إقامة علاقة مودة مع الهنود ، ولكن عندما باءت جهودها بالفشل أرسل إليهم الحملات التأديبية ، التى جعلتهم يقيمون علاقات مودة بينهم وبين الأسبان .

بعد ذلك ذهب كابيز إلى براجواى ، وبحسب تقرير دى منجو دى إيرالا ، فإن كابيز دى فاكا ، قد سلك أفضل طريق يؤدى إلى الداخل ، ويصل إلى أرض الإكسارايز المستنقعى The marsh Country of xarayes . وقد كتب الرحالة الأسبان عن هؤلاء السكان بأنهم مزارعون يزرعون مساحات صغيرة من الأرض بسبب عدم صلاحيتها للزراعة ، فغالبية الأرض كانت مغمورة برمال مجدبة . لهذا كان هؤلاء السكان فقراء يعيشون أساسا على الصيد فى البحيرات القريبة من قراهم . وفى هذا الوقت ،كان القيام بعمل إستكشاف أمرا صعبا بالنسبة لكابيز بسبب قلة التموينات التى كادت أن تنفد ، وبسبب عدم دقة المعلومات ، إضافة إلى عداء الهنود الحمر ، لكل هذه الأسباب تخلى كابيز عن مهمة الكشف . وطبقا لذلك إنسحب إلى ميناء لوس ريس Los Reyes . وعلى الرغم من ذلك لم يستكن كابيز دى فاكا لكل هذه الصعاب ، بل قرر مواصلة البحث والإستكشاف ، فقام على رأس بعثة كشفية أخرى ليصل بها إلى ما وراء المناطق التى وصل إليها فى السابق ، فسارت بعثته عبر قطر كثيف الأشجار والأدغال ، التى كان من المستحيل التقدم من خلالها دون شق طريق ، وإن لم يفعل ذلك كان عليه الإنتظار حتى تجف المياه . وفى النهاية أجبر المرض والناموس كابيز على العودة إلى أسونكيون ، فضلا عن تمرد ضباطه الذين ألقوا القبض عليه وأرسلوه إلى أسبانيا عام ١٥٤٥ م.

وفى عام ١٥٣٩م ، قاد بيزارو Pezaro بعثة كشفية وصلت إلى قطر مهجور يسقط فيه المطر بغزارة ، وباستمرار بحيث لم يتوقف نزوله حتى ولو ليوم واحد ، لهذا ترك بيزارو غالبية أفراد بعثته فى وادى نابو Napo ثم واصل مسيره بعد ذلك مع عدد قليل من أفراد خاصة من الأفراد الأكثر جدية . وكان يهدف من وراء ذلك إلى إيجاد طريق آخر يسير فيه إلى الأمام ، لأن هذا القطر كان مليئا بالغابات ، فكان على أفراد البعثة – فى أجزاء كثيرة من هذا الطريق – القيام بفتح ممرات باستخدامهم للفئوس التى كانت بصحبتهم ، ورغم ذلك كان تقدمهم بطيئا وصعبا ، وقد أشارت

تقارير جميع البعثات التى مرت من هذا القطر ، بأن أرضه كانـت غابية ومملوءة بالبحيرات Lagoons والمستنقعات Swamps ، التى لم تستطع البعثات الكشفية المسير من خلالها،لهـذا إضـطر بيـزارو للتوقف ليبنى سفينة ، وعند الإنتهاء من بنائها ، واصل أفراد البعثة رحلتهم فالبعض منهم كان على متن هذه السفينة والـبعض الآخـر كان يسير على الشاطئ ، وبعد شهرين من السفر سمعوا عن أرض مسكونة بأناس ، وبها مؤن غذائية كثيرة ، وغنية بالذهب ، الـذى كانت أسبانيا فى مسيس الحاجة إليه . لهذا أرسل بيزارو فرانسسكو دى أورالانا Francisco de Orallana إلى الأمام فـى إحـدى السـفن لشحنها بالمواد الغذائية من هذا القطر ، ثم يعود بعد ذلك صـاعدا مع النهر ليخفف عن أفراد البعثة معاناتهم ، بما يحمله مـن مـواد غذائية .

وقد وصل أورالانا إلى هذا القطـر فـى غضـون ثلاثـة أيام،وعند وصوله إليه لم يجد أورالانا أية تموينات غذائيـة ، لـذا رجع هابطا مع نهر الأمزون حتى وصل إلى المحيط الأطلسـى ، ويبدو أنه وجد نفسه فى مكان كان من المستحيل عليه العودة إلـى نقطة البداية ، ومقابلة بيزارو . من الواضح أن بيزارو لـم يغفـل تتبع أخبار أورالانا ، فقد أرسل بعثتين للبحث عنه ، كان هو علـى رأس إحداها ، ولكن تلك البعثتين لم تحققا أية نجـاح يـذكر فـى العثور عليه،وكان بيزارو قد وصل فى بحثه إلى ملتقى نهر النابو ، وهناك عثر على أحد الأشخاص الذين كـانوا برفقـة أورالانـا ، واستمرت بعثة بيزارو فى البحث عن أورالانا لمسافة ١٠٠ فرسخ أخرى ، وبعد ذلك إتضح لأفراد بعثة بيزارو أنه مـن المسـتحيل مواصلة الملاحة صاعدين فى نهر الأمزون ، ربما يرجع ذلك إلى كثرة العوائق المائية .

وفى النهاية دخل بيزارو إلى غابة ، وفتح خلالهـا طريقـا بواسطة الفئوس والمناجل Axes and Bills حتى يتمكن وبعثتـه مـن مواصلة المسير ، وفى تلك الأثناء مات الكثير مـن أفـراد بعثـة

بيزارو أثناء تلك الرحلة ، وكل من تبقى من أفراد بعثته على قيد الحياة كان عاريا وحافى القدمين ، ورث المظهر ونحيل الجسم ، وكان من النادر ما يعرف أحدهم الآخر . وفى بداية عام ١٥٤٢ م دخل أفراد بعثة بيزارو كويتو quito ، ومع ذلك لم يفكر أفراد البعثة والبعثات الأسبانية السابقة – التى وصلت إلى هذا القطر المتجمد الواقع إلى الشرق من جبال الأنديز – فى الأنهار الكبيرة فى العالم الجديد . وفى النهاية إستنتج بيزارو أن المناطق الغنية بالمعادن فى هذه الأصقاع ، كانت محدودة للغاية ، لهذا باءت كل جهوده الكشفية بالفشل .

وفى عام ١٥٤٨ م قام دومنجو مارتنيز دى إيرالا Domingo Martnez de Irala على رأس بعثة كشفية أخرى ضمت الأسبان الذين كانوا يرغبون فى الذهاب إلى داخل براجواى ، وذلك للبحث عن الذهب والفضة واتخذت هذه البعثة طريقا عبر أعالى نهر الماديرا Madeira River ، ووصلت إلى مكان يوجد به أسبان ، واعترف هؤلاء الرجال لأفراد البعثة بأنهم من رعايا برانزورس Peranzures الذى كان قد اكتشف من قبل هذا الجزء من بيرو . وكان إيرالا هذا قد تلقى رسائل من ليما Lima ، كما أنه أرسل أربعة رجال إلى بيرو ، عن طريق بوتوسى Potosi ، وكوزوكو Cuzoco وأخيرا وصلوا إلى ليما ، وبهذا يكون إيرالا قد أسس طريقا يسير شرق بيرو ، ومع أن هذا الطريق لم يستعمل على وجه السرعة كطريق دائم للمواصلات ، إلا أن كشفه كان على جانب كبير من الأهمية .

وفى عام ١٥٥٢ م أسس فالديفيا مدينة عرفت باسمه " مدينة فالديفيا Valdivia City " فى شيلى ، وبذلك كان النفوذ الأسبانى قد إمتد إلى خط عرض ٤٠ ° جنوبا . وكانت البعثات الكشفية الأسبانية قد وصلت إلى مضيق ماجلان ، ورغم ذلك كان المغامر فالديفيا يطمح فى كشف خط ساحل المحيط الأطلسى الجنوبى . وكتب أحد قادة فالديفيا ويدعى الجنرال جوان بوتستا دى باستين

Lieutenant General Juan Bautista de Pastene . تقريراً جاء فيـــه " أن الخرائط الخاصة بهذه المنطقة غير دقيقة . " وفى أبريل من عـــام ١٥٥٢ م ، كتب فالديفيا تقريرا جاء فيه " أسست مدينـــة فيلاريكـــا Villarica فى شمال البحر الذى كان من الممكن إستكشافه ، وكـــان على فالديفيا الذهاب ليفتح ويكتشف حتى يصل إلى مصب مضـــيق ماجلان فى المحيط الهادى. وكان من المعتقد أن هذا المضيق يوجد عند خط عرض ٥٠ ْجنوبا أى عند موقع مدينة فالديفيا ، الذى كان من المتوقع أن يصلها فالديفيا،فى صيف عـــام ١٥٥٢ م . وهنـــاك إكتشف فالديفيا نهر تتدفق مياهه ويزيد عرضه عن ميل واحد ،ومن هذه المنطقة أرسل فالديفيا بعثة كشفية إتجهت إلى الشرق من مدينة فلاريكا ، لتكتشف القطر الواقع على الجانب الآخـــر مـــن جبـــال الأنديز Andes Mountains .

وفى هذه المنطقة وجد فالديفيا نهراً كبيراً ، من المحتمل أن يكون هذا النهر هـــو نهـــر النجـــرو Nigro River أو الكلـــورادو . وبالإضافة إلى ذلك فتح فالديفيا إقليم كايو Cayo . لم تتوقف الجهود الأسبانية الكشفية إلى داخل أمريكا الجنوبية بل نجد أنه فـــى عـــام ١٥٥٣ م ، أرسلت بعثتان كشفيتان لتعزيز الإتصال بين الســـواحل الشرقية والغربية لأمريكا الجنوبية ، فقد خرجت البعثة الأولى من بيرو، ونتج عنها تأسيس سنتياجو دل إســـترو Santiago del Estero ، وخرجت الثانية من شيلى chile ونتج عنها تأسيس مدينـــة منـــدوزا Mendoza عام ١٥٥٩ م . وفى الســـنة التاليـــة أســـس الأســـبان مستوطنة عرفت بسانتاكروز دى لاسيرا Santacruz de Lasierra وقد عززت هذه الإستكشافات الإتصـــال بـــين روافـــد نهـــر البليـــت the Plate Estuary River وبيرو ، فبواسطة هذا الطريق مرت تجـــارة وادى بارانا – براجواى Parana- Paraguay إلى أوروبا . وفى عـــام ١٥٦٠ م خرج أورسوا Ursua على رأس بعثة كشفية مـــن ليمـــا ، وصلت إلى الهولاجا Huallaga - هى واحدة من المناطق الواقعـــة فى أعالى نهر الأمزون – للبحث عن قطر يوجد به معدنى الفضـــة والذهب ، ولكن فى نهاية شهر سبتمبر سارت تلك البعثة فى قطـــر

مسطح بحيث أنها لم تشاهد أى جبل أو أيـة تضـاريس ، وكـان الهدف من هذه البعثة تحديد موقع القطر الثرى ، ولكن كل جهـود أورسوا باءت بالفشل ، لأن هذا القطر لم يكن معروفـا . وبنهايـة عام ١٥٦٠ م أصبح بعض أفراد بعثة أورسوا غير راضـين عـن عملهم ، لأنهم ساروا مسافة طويلة بلغـت ٧٠ فرسـخا ، دون أن يعثروا على أية أقاليم غنية ، فأدى هذا الإستياء إلى تمـرد جنـود البعثة .

فى يناير عام ١٥٦١ م ، أغتيل أورسوا وعهد بقيادة البعثـة إلى فرناندو دى جوزمان Fernando de Guzman ، وبعد أن بدأت هذه البعثة مهمتها فقدت عددا من أفرادها ، وقد تمكنت مـن إكتشـاف قريتين خاويتين ، وفى تلك الأثناء ، كان أفراد هذه البعثة منقسمون فى ولائهم لكل من أورسوا وجوزمان ، وأدى هذا الإنقسـام إلـى إنتشار المؤامرات والصراعات فيما بين أفراد البعثة ، فمنهم مـن كان يفضل قيادة أورسوا ، ومنهم من كان يفضل قيـادة جوزمـان لتلك البعثة ، وقد أدت هذه الصراعات والمؤامرات إلى الإطاحـة بفرناندو دى جوزمان وحل محله فى قيادة هذه البعثة الكشفية القائد إجوير Iguire وقد اتخذت هذه البعثة طريقها عبر الأمزون صـاعدة عبر نهر الريونجرو ، ثم وصلت بعد ذلك إلى نهـر الأورينوكـو Orinoco ومن بعده وصلت إلى المحيط الأطلنطى ، وقـد واجهـت هذه البعثة مصاعب كثيرة تحت قيادة أجوير ، لأنه زج بنفسه فـى مشاكل وفتن بين أفراد البعثة فضلا عن إستخدامه للقسوة مع سكان فنزويلا حيث دفعهم ذلك إلى قتله والتخلص منه .

لم يقف جهد أسبانيا فى مجال الكشوف الجغرافية فى العـالم الجديد عند هذا الحد ، بل نجدها ترسل بعثة كشفية عـام ١٥٦٩ م تحت قيادة بدرو ملافير دى سيلفا Pedro Malaver de Silva وكانـت هذه البعثة قد خرجت من بوربوراتا Burburata متجهة إلى السـهول الداخلية فى فنزويلا ، لكنه فشل فى إنجاز أهداف بعثته ، ولكن بعد مضى خمس سنوات على رحلة بدرو ملافير دى سيلفا الأولى، قام

على رأس بعثة ثانية ، وصل بها إلى ساحل المحيط الأطلسى ، ورسى بسفنه بين دلتا نهرى أورينوكو والأمزون ، هناك مات جميع أفراد بعثته باستثناء جوان مارتن دى البوجار Juan Martin de Albujar ، الذى ظل على قيد الحياة بين الهنود الحمر مدة عشر سنوات وأخيرا إتخذ طريقه إلى مارجاريتا Margarita ، حيث حمل معه القصص العجيبة عن المملكة الغنية (الدورادو) the Wealth Kingdom of Eldorado .

بعد ذلك واصل الأسبان جهودهم الكشفية فى العالم الجديد ، ففى عام ١٥٧٧ م ، قام مندوزا على رأس بعثة كشفية ، إكتشف خلالها أرخبيل تشيلوى the Archipelago of Chiloe ، وقد عانى هذا الأرخبيل من كثرة المشاكل التى إنتابته بسبب قلة عدد القوات الأسبانية الموجودة فيه . ويبدو أن الأسبان كانوا يفضلون إقليم بوليفيا لأنه كان يوجد به مناجم للفضة خاصة فى منطقة بوتوسى ، وكان الأسبان قد إحتلوا شيلى عن طريق الحروب المتقطعة التى خاضوها ، وبعد ذلك إستقر الناس فى بوتوسى ، وفى وقت قصير للغاية ، حلت بوتوسى محل كوزكو كأغنى مدينة فى أمريكا الجنوبية ، بينما كانت بيرو تنتشر فيها الحروب الأهلية ، بسبب عبث الجنود غير القانونيين،وبسبب إنعدام الأمن وانتشار الفوضى . وفى نفس تلك الفترة قام نائب ملك أسبانيا المدعو مركويز سانيت بدرو أورسوا The Marquis of Canete Pedro de Ursua على رأس بعثة كشفية ، وصلت إلى وادى الأمزون ، وفى أغلب الظن فإن نائب الملك كان قد تأثر بالإشاعات التى إنتشرت فى كل من ليما ، وأقاليم بيرو. وقد تمثلت هذه الإشاعات فى وجود المعادن المختلفة فى تلك الأصقاع ، وكان وراء تلك الإشاعات الهنود الحمر فى البرازيل ، فقد أخبر هؤلاء الهنود الأسبان بأنهم شاهدوا أشخاصا مطليون بالذهب على ساحل البرازيل ، وقد جذبت هذه الإشاعات إنتباه الأسبان لمدة ٣٠ سنة (١) .

---

(١) Baker. B. : OP . cit , pp. 94, 98, 100-104 .

لم تقف جهود أسبانيا الكشفية عند هذا الحد ، بل نجد أنه في الفترة الواقعة فيما بين ١٥٨٢- ١٥٨٣ م ، قام المستكشف أنتونيو دى بريو Antonio de Berreo برحلة ملفتة للنظر بدأت مهمتها من جراندا New Granada مارا بكل من أنهر الكاسانير والميتا والأورينوكو ، ووصل إلى ترينيداد Trinidad وأصبح أنتونيو دى بريو حاكما لها ، وأضيفت تقاريره الخاصة إلى تقارير جوان مارتن Juan Martin الذى قاد بعثة كشفية إلى أمريكا الجنوبية عام ١٥٩٥، وذلك لاستكشاف ما تبقى من مناطق مجهولة في تلك القارة.



كشف أمريكا الجنوبية

الفصل الرابع

رحلة ماجلان التاريخية حول العالم

الفصل الرابع

رحلة ماجلان التاريخية حول العالم فى ٢٠سبتمبر عام ١٥١٩م

من مظاهر عصر النهضة إنبعاث حركة الكشوف الجغرافية فى أواخر القرن الخامس عشر الميلادى ، فيرجع الفضل فى قيام حركة الكشوف الجغرافية للإنجازات الملموسة لثلاثة رجال هم على النحو التالى :

كريستوفر كولمبس Chrestopher Columbus، وفاسكو دى جاما Vasco de Gama ، وفرديناند ماجلان Ferdinand Magellan، على الرغم من أن نتائج رحلات كل من كريستوفر كولمبس ، وفاسكو دي جاما كانت على جانب كبير من الأهمية ، إلا أن مجهودات ماجلان كانت أكثر أهمية ، فقد تمكن هذا المغامر من ربط العالم الجديد بالشرق الأقصى ، عن طريق الإبحار حول الكرة الأرضية، فتمكن ماجلان من كشف طريق بحرى يربط بين المحيطين الأطلنطى والهادى .

فمنذ السنة الأولى من القرن ١٦م ، أولى المستكشفون إهتماما كبيراً بالساحل الشرقى لأمريكا الجنوبية ، فبحلول عام ١٥١٩ ، كانت القارة الأمريكية الجنوبية قد تعرضت لموجات عديدة من الحملات الكشفية من قبل أسبانيا ، وهذا ما تعرضنا له فى الفصل السابق بشيئ من التفصيل ، ففى مطلع القرن ١٦ م ، وجد دليل موضوعى يخدم المعرفة الجغرافية ، تمثل هذا الدليل فى النموذج الخاص للكرة الأرضية التى رسمها إسكونر Schoner فى الفترة مابين عامى ١٥١٥ ، ١٥٢٠ م . وقد إهتم التجار والمستكشفون الأول بهذا النموذج ، الذى كان من الواجب على كل شخص فى ذلك الوقت أن يعرفه ، فعلى أثر ذلك قام الدكتور جويلمارد Guillemardبتفحص نموذج الكرة الأرضية التى رسمها إسكونر ، وتمكن جويلمارد بعد الدراسة المتأنية لنموذج الكرة الأرضية من معرفة قارة مجهولة توجد فى المحيط الشاسع الواقع

فى اتجاه الغرب ، وعرفت هذه القارة فيما بعد بأمريكا ، وفيما يلى سنتناول الدور الذى قام به ماجلان ونبذة عن حياته .

ولد ماجلان فى حوالى عام ١٤٨٠ م ، وكان قد خدم تحت سيادة البرتغاليين فى جزر الهند الشرقية، ومن المحتمل أنه شارك فى كشف جزر التوابل ، التى تم فتحها بعد إنهيار ملقا Malaca عام ١٥١١ م . ويقال أن ماجلان قضى بعض الوقت فى مراكش Moroco ، ثم ترك بعد ذلك خدمة ملك البرتغال مفضلا العمل فى خدمة تشارلس الخامس ملك أسبانيا ، كى يقوم بعمل إستكشافات جغرافية لحساب هذا الملك الأخير ، وتعهد ماجلان بأنه سوف لا يرتكب أى إثم أو أى عمل مشين فى منطقة نفوذ البرتغال . ورغم أن أقوال ماجلان كانت غامضة إلى حد ما ، لكنها كانت واضحة فى هذه النقطة ، فقد أصدر ملك أسبانيا مرسوما لماجلان يخول له القيام برحلة كشفية حول الأرض جاء فيه :

أولا : عليك يا ماجلان الذهاب لتكتشف جزءا من المحيط الواقع داخل حدودنا التى تنفرد أسبانيا بها ، وعليك أيضا يا ماجلان إستكشاف أى جزء من هذه الأرض الواقعة فى إتجاه الغرب .
ثانيا : عليك يا ماجلان كذلك عدم قيامك بأى إستكشاف فى داخل حدود ملك البرتغال الواضحة للعيان ، بحيث لا تتسبب ياماجلان فى ضرر البرتغال .
ثالثا : عليك يا ماجلان أن تقوم بعملياتك الكشفية داخل تخومنا .
رابعا : عليك ياماجلان ، وبقدر معرفتى لأى جهة فإنه يوجد توابل فى جزر المالوكو Maluco ، وأنت يا ماجلان ستذهب لتبحث عن أماكن هذه التوابل ، وتكمن رغبتى يا ماجلان فى وصولك إلى تلك الجزر المذكورة آنفا .

فى ٢٠ سبتمبر عام ١٥١٩ م ، أبحر ماجلان على رأس أسطول مكون من خمس سفن قديمة للغاية ، لكنها كانت قد رممت

بمعرفة داكوستا Dacosta البرتغالى . ويمكن الإشارة إلىخط السير الذى إتخذته البعثة ، فكان على رجال البعثة أن يتخذوا طريقا مستقيما بعد خروجهم من أسبانيا ، حتى يصلوا إلى رأس فريو Cape Frio ، حيث كانت البرازيل على يمين خط سير بعثة ماجلان، وواصلت البعثة سيرها حتى وصلت إلى خط مستقيم يصل إلى جزيرة مالوكو. وكانت خبرة ماجلان فى المسير فى المناطق الإستوائية مشابهة لخبرة فاسكو دي جاما ، فكانت السفن تسير هنا وهناك فى البحر تحت الطقس الجميل ، الذى ساعد البعثة على المسير . وأخيرا ، وفى ٢٩ نوفمبر من نفس العام ، وصلت سفن البعثة إلى رأس سنت أوجستين Saint Ougustine ، ومن هناك تتبعت سفن البعثة المسير بمحاذاة الساحل فى إتجاه الجنوب حتى وصلت إلى ميناء سنت جوليان Port Saint Julian ، عند خط عرض ٤٩,٢٠° جنوبا . وفى نهاية شهر مارس من عام ١٥٢٠ م، ظل أفراد البعثة هناك طوال شهرين كاملين دون أن يروا أى إنسان، وفى نهاية تلك الفترة تمكن أفراد بعثة ماجلان من رؤية بعض الباتا جونيانز Patagonians ، واعتبر أفراد البعثة رؤيتهم لهؤلاء الناس ، بمثابة المكافأة الكبيرة على هذا العمل العملاق، الذى خلق لدى بيجا فيتا إنطباعا كبيرا . وكان بيجافيتا Pegafetta قد كتب تقارير مطولة عن هذه الرحلة ، وبالجملة فأن أفراد البعثة قضوا خمسة شهور فى ميناء سانت جوليان Saint Julian .

وفى خلال هذه الفترة تآمر قادة الأربع سفن الأخرى ضد القبطان ماجلان ، بسبب طول الرحلة ، وبسبب الخوف من المستقبل والأمواج العاتية ، والشك فى تحقيق الهدف ، وقد فقدت إحدى هذه السفن الأربع المعروفة باسم Saint James عند ذهابها إلى الجنوب لكشف الساحل فى هذه المنطقة ، وتمكن طاقمها من العودة بها مرة ثانية ، وفى نهاية أغسطس من نفس العام تقدمت البعثة إلى الأمام فوصلت سفنها إلى منطقة فيرجنس Virgins ، وبذلك تكون البعثة قد حققت بعض إنجازاتها . وفى هذا الصدد يقول البحارة " نحن وجدنا المضيق الإعجوبة ، الذى **يبلغ طول ١١٠ فرسخ** أى ما

يعادل ٤٤٠ ميلا ، وتتدفق مياهه فى بحر آخر أوسع يعرف باسم المحيط الهادى Pasific Ocean . ولم يكن العبور من هذا الممر سهلا، فالرحلة من خلاله تستغرق ٣٨ يوما ، وقبل دخول البعثة إلى مياه المحيط الهادى تعطلت إحدى سفنها أثناء قيامها بالإستكشاف ، وبذلك تكون سفن البعثة قد نقصت سفينة واحدة .

وبعد ذلك تتبع ماجلان ساحل أمريكا الجنوبية فى إتجاه الشمال لمسافة قصيرة ، ثم سار بعد ذلك فى إتجاه الشمال الغربى ، متخذاً طريقه عبر المحيط الهادى مستغلا هبوب الرياح التجارية التى كانت تهب من خلفه وتدفعه للأمام، وتمثل هذه الرياح المزايا الواضحة ، لكنها دفعت بالقائد بعيدا عن الجزر الكثيرة المتناثرة فى المحيط الهادى . لهذا واجه رجال ماجلان صعوبات جسيمة ، وصفها بيجافيتا بوضوح بالقول " أنه فى يوم الأربعاء ٢٨ من شهر نوفمبر ١٥٢٠ م ، خرجوا من المضيق المذكور ، ومن بعده دخلت البعثة فى المحيط الهادي ، وظلت فى هذا المحيط ثلاثة شهور وعشرين يوما دون الحصول على مؤن أو مشروبات وكان أفراد البعثة أثناء هذه الفترة يتناولون فقط البسكويت القديم ، المملوء باليرقات والرائحة الكريهة ، وقد شرب أفراد البعثة مياه غير نقية ، أى صفراء اللون ، وذات رائحة كريهة أيضا وأكلوا أيضا جلود الثيران المبطن بها أحواض السفن من شدة الجوع ، مع أن هذه الجلود كانت صلبة بسبب حرارة الشمس والمطر والرياح ، لذا كان من الصعب عليهم تناول هذه الجلود ، لهذا كانوا يتركونها لمدة أربعة أو خمسة أيام فى المياه ، بعد ذلك يضعونها لمدة قصيرة على جمرات قليلة من النيران ، ثم يتناولونها بعد ذلك ، وبالإضافة إلى ذلك كله فإن رجال البعثة كانوا يأكلون نشارة الخشب والفئران، فكان ثمن الفأر الواحد يعادل نصف شلن ، ورغم ذلك لم يكن الحصول على الفئران أمرا هينا بسبب قلة عددها .

وإلى جانب هذه المساوئ التى ذكرناها يشير تقرير البعثة إلى مساوئ أخرى كثيرة كان منها تقيح اللثة العليا والسفلى

للبحارة، بحيث لم يتمكن البحارة من تناول أية أطعمة أو أكل شـىء آخر ، لهذا إنتاب الكثير منهم المرض ، فمات مـنهم ١٩ بحـارا ، ومرض ما بين ٢٥ إلى ٣٠ بحاراً بأمراض مختلفة ، ولـم يتبـق منهم على قيد الحياة إلا عدد قليل من الأصحاء . وظلت البعثة مدة ثلاثة شهور وعشرين يوما فى بحر مفتوح (المحيط الهادى) بعـد أن قطعت مسافة بلغت أربعة آلاف فرسخ بالتمام والكمال ، وسمى هذا المحيط بالمحيط الهادى نظرا لهدوء مياهه ، فلم تواجه البعثـة بأية عاصفة، ولم ير أفرادها أية أرض باستثناء جزيـرتين غيـر مسكونتين أو مهجورتين . وفى ٢٤ من شهر يناير عـام ١٥٢٠ م شاهد أفراد بعثة ماجلان أول يابسة عرفت بالبوكا بوكا Puka-Puka التى تقع فى أرخبيل البوموتو The Paumtu Archipelago الواقع عنـد خط عرض ١٤,٤٥ ° جنوبا . وفى بداية شهر مـارس مـن نفـس العام، وعند خط طول ١٣٨,٤٨ ° كان أفراد البعثة قد وصلوا إلـى لادرونس Ladrones ،وقبل أن ينتصف هذا الشهر من نفس العـام ، كانت بعثة ماجلان الكشفية قد أنجزت فى الواقـع أول إستكشـاف على جانب كبير من الأهمية ، ويتمثل هذا الكشف فى وصولها إلى جزيرة سمار Samar Island – وهى واحدة مـن مجموعـة جـزر الفلبين – ومكثت بعثة ماجلان وقتا قصيراً فى هذه الجزر من أجل إسترداد البحارة لصحتهم وتجديد نشاطهم . وفى ٧ من شهر أبريل من نفس العام ، وصل ماجلان إلى ميناء سيبو Sebu ، أهم وأعظـم ميناء فى مجموعة جزر الفلبين ، ولسوء الحظ فـإن مـاجلان قـد تورط يوم ٢٧ من شهر أبريل عام ١٥٢١ م ، فى صراع محلـى أدى إلى مقتله ، وقد وقع هذا الصراع بين سكان جزيـرة ماكتـان وسكان جزيرة أخرى مجاورة لها.

ورسم بيجافيتا شخصية ماجلان بقولـه " أن واحـدة مـن فضائله التى كانت راسخة فى عقله هى معاداته للحظ أى أن الحظ لا يحالفه ، فعند إبحاره فى عرض البحر كان يتحمل الجوع أكثـر من أى شخص آخر، كما أنه تفوق على أقرانه فى معرفة الخـرائط البحرية ، وفى معرفة ألفن الحقيقى للملاحة أكثر من أى شـخص

من أفراد بعثته . فبعبقريته وجرأته تمكن من الدوران حول الكــرة الأرضية ، دون أن يعطيه أى شخص المثال على ذلك " ويستطرد بيجافيتا فى قوله " إكتشف ماجلان الطريق الموصــل إلــى جـزر التوابل the spices Island ، ونجح فيما فشل فيه كولمبس ، وبــرهن على أن العالم كروى ، وأنه يمكن الإبحار حول العالم . فمــاجلان كان رجلاً عظيما بصفته بحاراً وجغرافيا ومكتشفا ، وربمــا كــان لديه إمكانية أكبر من كولمبس أو فاسكو دي جامــا ، فهــو أعظــم الملاحين قديما وحديثا " أجبــر مــوت مــاجلان وخيانــة حــاكم سيبوالأسبان على مغادرة جزر الفلبين ، فمن بعدها أبحرت بعثتــه إلى بورناو Borneo ، التى كتب عنها بيجا فيتا تقريرا جيداً جاء فيه " إن منازل مدينة بورناو قد بنيت فى الميــاه المالحــة ، باســتثناء منازل ملك المدينة وبعض الأمراء . وكانت هذه المدينــة تحتــوى على ٢٥ ألف أسرة بنيت منازلها جميعا من الخشب علــى أكــوام كبيرة من التراب ، وذلك لرفع البنايات إلى أعلى أى بعيــدا عــن المياه، وعندما يرتفع المد أى مد البحر ، يذهب النساء فى قــوارب عبر المدينة ليبتعن المؤن الغذائية والضروريات الأخرى.

ومن بورناو إتخذ الأسبان طريقا قادهم إلى الشمال الشرقى ، فوصلوا إلى مندناوMindanao . وهناك تلقى الأسبان تعليمات عــن كيفية الوصول إلى جزر المولوكاس Molucas . بعــد ذلــك أبحــر رجال البعثة فى الطريق الجنوبى الشرقى مارين بعدد من الجزر ، فكانوا قد مروا بجزر المولوكاس ، التى تحدث عنها بيجافيتا بالقول " نحن نشكر الله فقد رفهنا عن أنفسناوأطلقنا نيران مدافعنا فى كــل أنحاء جزر المولوكاس ، ولم تدهشنا مدافعنا بقدر ما كنا مبتهجين " وكنا قد قضينا ٢٧ شهرا إلا يومين فى البحث والتجول المستمرين بين عدد كبير من الجزر ، للوصول إلى المولوكاس . وتقع جــزر المولوكاس فى البحار التى لا يمكن الإبحار فيها بسبب الجو المظلم المضبب ، وبسبب ضحالة المياه . ولم تهتم البعثة بالمناطق التــى إنتشر فيها النفوذ البرتغالى .

ومن الجدير ذكره ، الإشارة إلى أن البرتغاليين كانوا كالفينيقيين فى حجب إستكشافاتهم المهمة عن غيرهم ، بل كانوا يجعلونها فى حالة من الغموض التام . وقد نجح الأسبان فى إنجاز أهدافهم الكشفية ، بل تمكنوا من قضاء بعض الوقت الممتع فى هذه الجزر. وشاهد البحارة منتجات تلك الجزر المتمثلة فى القرنفل Cloves والزنجبيل Ginger ولب الساجو Sagu والأرز rice ، وجوز الهند coco nuts وموز الجنة Plantains ، واللوز Almonds ، الذى كان أكثر ما حصل عليه أفراد البعثة ، بالإضافة إلى الرومان المر والحلو Sweet and bitter Promegranates وقصب السكر Sugar cane، وزيت الكوكا Oil of coca ، والسمسم Sesame ، والبطيخ Melons ، والخيار Cucumbers ، واليقطين Pumpkins ، والأناناس Comilicia – نوع من الفاكهة الطازجة وهى فى حجم البطيخ – والخوخ Peach ، والجوافة Guave . وقد وجدت البعثة خضروات Vegitables ، كما وجدت الأطعمة Eatable .

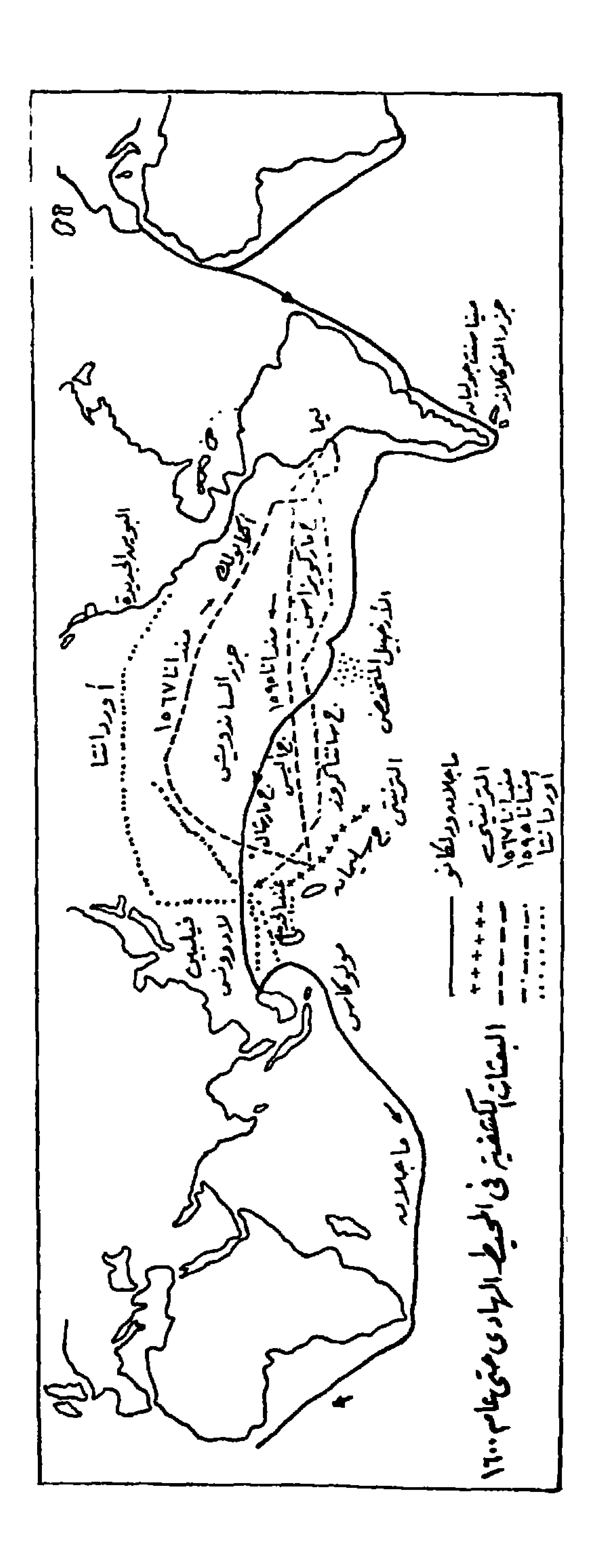
وشاهد أفراد البعثة أيضا فى تلك الجزر الكثير من الحيوانات مثل الماعز Goats ، ومن الطيور الديوك البرية Fowis ، ومن الحشرات النحل Bees ، فالنحلة أكبر من النملة ،وكان النحل يبنى بيوته فى جذوع الأشجار Trunks of trees ، وشاهدت البعثة كذلك الببغاوات البيضاء والحمراء White and Red Parrots ؛ أى أن البعثة وجدت الببغاوات من جميع الأنواع والأشكال المطلوبة عند الأسبانيين ، ليس لجمالها ولكنها تتحدث كثيرا وبوضوح . وفى تلك الأثناء ، كانت السفن الأسبانية رديئة ، وفى حاجة إلى إصلاح . ففى ٢١ من شهر ديسمبر عام ١٥٢١ م ، أبحرت السفينة فيكتوريا إلى أسبانيا ، وتركت من خلفها السفينة الثالوث المقدس Trinity مع طاقمها ، وعدد من الرجال الذين لم يرغبوا فى المخاطرة بالسفر فى السفينة فيكتوريا . وقد شحن البحارة السفينة الثالوث المقدس بالقرنفل بعد إصلاحها ، ثم ذهبوا بها إلى تيمور Timor ، ومنها إتخذت السفينة الثالوث طريقها نحو الجنوب الغربى لخوف البحارة الأسبان من وقوعهم فريسة سهلة فى أيدى البرتغاليين ، ومن

الجدير ذكره أن البرتغاليين كانوا قد سبقوا الأسبان فى الوصول إلى شرق آسيا .

بعد ذلك أبحرت السفينة الثالوث فى المحيط الهندى ، وتجنبت الدخول إلى موزمبيق ، لكنها مرت بجزر الفيرد . ومن الواضح أن سفن بعثة ماجلان كانت فى حالة من الإرتباك والفوضى ، ففى جزر الفيرد أعتقل ١٣ من أفراد هذه البعثة خاصة من الذين حاولوا الذهاب إلى شواطئ تلك الجزر ، وقد تناقص أفراد بعثة ماجلان منذ مغادرتهم لجزر المولوكاس من ٦٠ فردا إلى ١٨ فردا فقط ، هؤلاء الثمانية عشر بحارا هم الذين وصلوا إلى أسبانيا فى يوم ٦سبتمبر عام ١٥٢٢ م . ومن الواضح أن ثلاث سفن من سفن البعثة قد دمرت لعدم ملائمتها للسير أو للملاحة مسافة طويلة ، ولم يعد منها إلى أسبانيا إلا السفينة الثالوث والسفينة فيكتوريا .

قاد القبطان سبستيان دلكانو Sebastian Delecano السفينة فيكتوريا ووصل إلى أسبانيا بكل فخر واعتزاز ، وهناك كوفئ على رحلته التى طاف أثناءها حول العالم . وقد مدح الكاتب رامسيو Ramusio القبطان سبستيان دلكانو بقوله " فى الواقع أن الورثير worthier – بحارة أسبانيا – الذين كان لهم شهرة لاحدود لها ، وأكثر من شهرة الأرجونوتسArgonauts – البحارة اليونانيين – وهم المغامرون الجادون فى البحث عن أى شيئ . ورغم كفاءة المغامرين اليونانيين إلا أن سفنهم the Old Argos السفن اليونانية القديمة كانت أقل كفاءة من السفن الأسبانية حديثة البناء ، مع أن السفن اليونانية القديمة كانت تعتبر من السفن المهمة فى زمنها ، فهى التى إكتشف بحارتها البحر الأسود . وكانت هذه السفن اليونانية قد وصلت إلى منطقة البونتوس Pontus ؛ والبونتوس إسم قديم لمنطقة فى آسيا الصغرى الشمالية، تقع إلى الشمال من كبادوكيا Cappadocia وتمتد بطول ساحل البحر الأسود . أما سفن أسبانيا فكانت تبحر من هسباليس Hispalis (أشبيلية) – الواقعة فى

الجنوب الأسبانى – فى إتجاه الغرب، وفى إتجـاه نصـف الكـرة الجنوبى the southern hemisphere ، وأخيرا تبحر إلى الشرق ثم تعود مرة ثانية إلى أسبانيا " .



البعثات الكشفية فى المحيط الهادى عام ١٦٠٠

ومن الجدير ذكره أن ماجلان كان من أكثر المغامرين شهرة خاصة من الذين أبحروا حول العالم ، فكان ماجلان قد أوضح بأن المحيط الهادى ينبغى أن يستعمل كطريق يؤدى إلى الشرق ، مع أن هذا المحيط لم يكن قد أكتشف بشكل نهائى خلال القرن الذى أعقب رحلة ماجلان . فمن الواضح أن بعثة ماجلان لم تكتشف كل المحيط الهادى ، فكل ما قامت به بعثته أن السفينة الثالوث (أى الأب والأبن والروح القدس) ، قامت بجهد كشفى كبير ، فقد وصلت هذه السفينة إلى المحيط الهادى عند كل من خطى عرض ٤٢° شمالا ، وخط طول ١٤٣° شرقا تقريبا، ورغم ذلك لم يكن فى مقدور تلك السفينة التقدم إلى الأمام ، فاضطرت نتيجة إلى ذلك إلى العودة إلى المولوكاس ، وكانت هذه السفينة قد إستكشفت عدداً قليلا من الجزر، وكانت الأهمية الأساسية للرحلة تكمن فى برهنتها على وجود محيط واسع (المحيط الهادى الذى وصل إليه ماجلان). (١)

ومما لاشك فيه فإن رحلة ماجلان كانت على جانب كبير من الأهمية ، فقد أثبتت هذه الرحلة بما لا يدعو مجالا للشك كروية الأرض ، فبذلك تكون هذه الرحلة قد أراحت الناس من التفكير حول كروية الأرض من عدمه .

- نتائج حملة ماجلان :

كان من أهم نتائج حملة ماجلان إثبات كروية الأرض ،هذا اللغز الذى ظل يحير العلماء لقرون عدة . وكان من نتائج تلك الرحلة أيضا ربط المحيط الأطلنطى بالمحيط الهادى ، وفتح طريق جديد يربط بين العالم القديم والجديد ، وكان منها أيضا أنها شجعت الأسبان على مواصلة إرسال حملاتهم الكشفية إلى المحيط الهادى ، ففى العشرين من شهر يونيو عام ١٥٦٥، قام أندروس دى أوردانيتا Andres de Urdaneta على رأس بعثة كشفية عبر أثناءها المحيط الهادى من الغرب إلى الشرق ، وقد ذكر دى مورجا

---

(١) Baker B Ibid. pp. 105-114 .

De Morga ، إن بعثة أوردانيتا واجهت عاصفة هبت عليها من الجنوب الغربى خاصة عندما دخلت إلى وسط المحيط الهادى ، ووصلت هذه البعثة إلى خط عرض ١٥° . وهناك بدأت الرياح الشمالية الشرقية فى الهبوب ، وهى رياح عكسية ، لهذا غيرت تلك البعثة خط سيرها ، واتجهت إلى الشمال الشرقى . وبذلك تكون هذه البعثة قد عبرت خطوط عرض كثيرة وبعد نجاح أوردانيتا فى رحلته ، أستخدم خط سير حملته كطريق منظم عرف بطريق "أوردانيتا " هذا الطريق الذى ربط بين مستعمرات أسبانيا فى العالم الجديد ، وبين مستعمراتها فى شرق آسيا ، ورغم ذلك لم يكن أوردانيتا معروفا معرفة جيدة كخبير جغرافى .

إضافة إلى ذلك فإن أسبانيا أرسلت عام ١٥٦٧م . بعثة كشفية أخرى تحت قيادة الفارو دى مندانا Alvaro de Mendana ، وفى عام ١٥٦٨ تمكنت تلك البعثة من إستكشاف جزر الأليس Ellice Islands ، وفى فبراير من نفس العام قطعت هذه البعثة مسافة كبيرة من الأرض ، كانت عبارة عن مجموعة من الجزر ، التى عرفت بجزر سليمان Solcmon Islands ، وقد مكث أفراد تلك البعثة بعض الوقت فى هذه الجزر . وفى منتصف شهر أغسطس من نفس العام غادرت البعثة تلك الجزر ، وتركت عددا من أفرادها فيها ، بسبب وجود معدن الذهب فى تلك الجزر . وبعد ذلك أبحرت، بعثة مندانا صوب الشمال فعبرت جزر المارشال The Marshal Islands ، ووصلت إلى خط عرض ٣٠° شمالا ، بعد أن أدى أفرادها عملهم بنجاح . وفى النهاية وصلت تلك البعثة إلى كاليفورنيا ، ومنها إلى ليما،وذلك بتتبعها ساحل أمريكا الجنوبية ، وعلى الرغم من أن بعثة مندانا كانت واحدة من أهم البعثات ، إلا أنها لم تكن ناجحة لأنها لم تحقق الأهداف المرجوة منها ، سواء أكان ذلك فى مجال المعادن الثمينة أم فى مجال السلع التجارية . وكان من أهم أهداف بعثة مندانا زيارة جزر سليمان ، ففى عام ١٥٩٥م ، أبحرت بعثة مندانا هذه من ليما وكان برفقتها بدرو دى كويروس Pedro de quiros الذى عمل مرشدا لهذه البعثة ثم وصلت

بعد ذلك إلى جزيرة صغيرة عرفت باسم مجدالينا Magdalena . وفى تلك الأثناء دب صراع بين أفراد البعثة بسبب الخلاف فى وجهات النظر ، لأنهم لم يكونوا على علم بالمخاطر التى ستواجههم . وفى النهاية وصل أفراد تلك البعثة إلى جزيرة بركانية ، كان سانتا كروز قد أسس عليها مستوطنة أسبانية ، وفى تلك المستوطنة دب الخلاف من جديد بين أفراد هذه البعثة ، لأن البعض منهم كان راغب فى التخلى عن المستوطنة ، ورأى البعض الآخر المكوث فيها ، وقد لاحظ كويروس - أحد أعضاء هذه البعثة- أعمال فجور وأخرى وقحة وسلوكيات خاطئة غير ملائمة من جانب أفراد بعثة مندانا هذه . وفى تلك الأثناء مات مندانا وعدداً آخرا من القادة فى هذه الجزيرة . بعد ذلك قاد كويروس البعثة إلى جزر اللادرونس Ladrones . وفى النهاية وصلت البعثة تحت قيادة كويروس إلى مانيلا ، وقد ظلت مستوطنة سانتا كروز شاهد عيان على مدى الكوارث والأحزان التى وقعت فيها ، وكان ذلك بسبب الصراع الذى نشب بين أفراد بعثة مندانا ، وبين الهنود ، لهذا فشلت خطة هذه البعثة فى تحقيق مهامها فى هذه المستوطنة . وعلى الرغم من ذلك ، فإن هذه البعثة قامت ببعض المساهمات فى مجال المعرفة الجغرافية .

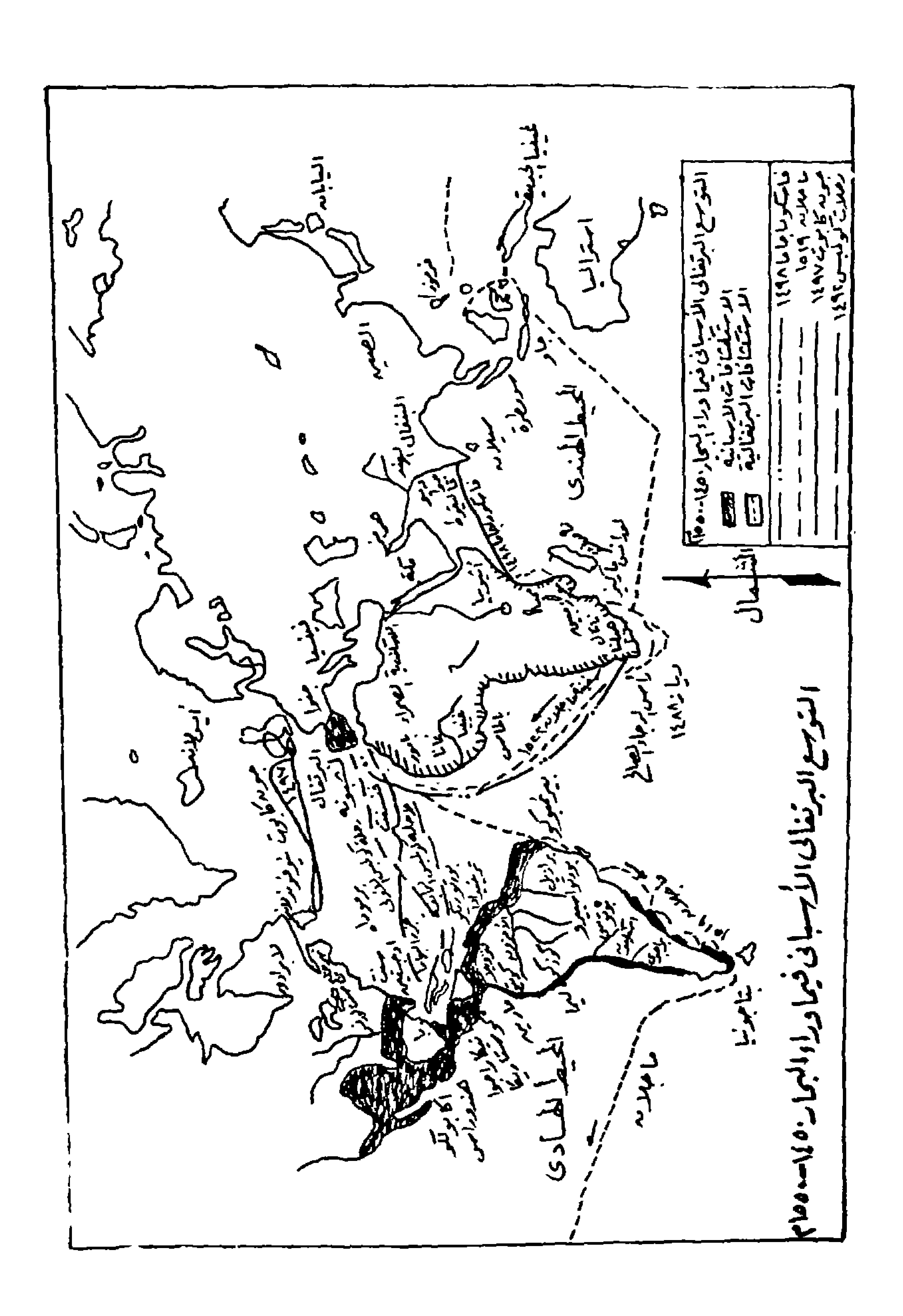
وفى عام ١٥٨٢م ، أبحر المستكشف الأسبانى فرانسسكو دى جالى Francisco de Gali عبر المحيط الهادى ، أى من المكسيك وحتى الفلبين ، وكتب تقريرا جاء فيه " أن الفلبين تقع إلى الشرق من اليابان ، وهناك يفيض تيار المحيط الهادى متجها إلى شمال كاليفورنيا . ويبدو أن رحلة دى جالى قادته إلى الإعتقاد بأن كاليفورنيا السفلى كانت جزيرة ، رغم أن إستكشافاته الأولى برهنت على عكس ذلك واستمر هذا الغموض حتى القرن ١٨ م .

وفى عام ١٥٩٢م ، أرسلت أسبانيا بعثة كشفية أخرى تحت قيادة جوا ن دى فوكا Juan de Fuca ، وذلك للبحث عن ممر مائى يربط بين المحيطين الأطلسى والهادى . وقد نجحت هذه البعثة فى

الوصول إلى خط العرض ٤٧° شمالا، وأخيرا ضم تقرير جـوا ن دى فوكا إلى مجموعة بورشاس the collection of purchas، وعمـل الأسبان على تحصين هذا الطريق كى يبعـدوا عنـه المغـامرين الإنجليز . وفى السنوات الأخيرة ذهـب أشـخاص كثيـرون فـى الطريق الذى سار فيه جوا ن دى فوكا من أجل البحث عـن هـذا الممر .

وفى عام ١٥٩٥م ، خرجت بعثة كشفية أسبانية أخرى مـن بيرو لكشف المحيط الهادى ، وكانت هذه البعثة قد نظمـت علـى غرار بعثة بدرو أورسوا ، وذلك لتخليص المستوطنة الأسبانية من الطبقة الأرستقراطية الأسبانية الكسولة ، والقضاء على التوتر فـى هذه المستوطنة ، ووضعها تحت قيادة بعثة مندانا ، إضـافة إلـى إخضاع الجزر الغربية الواقعة فى البحر الجنوبى إلى سيطرة تلـك البعثة .

بعد هذا العرض ، يمكن القول بأن أسبانيا قد نجحت إلى حد كبير فى الكشف عن داخلية قارة أمريكا الجنوبيـة . وقـد حققـت أسبانيا من وراء ذلك أرباحاً مادية طائلة جعلتها أغنى وأقوى دولة فى الغرب الأوربى ، ولا نبالغ إذا قلنا أن أسبانيا كانت من الـدول الرائدة فى مجال الكشوف الجغرافية ، فلم تسبقها أية دولة من دول أوربا باستثناء دولة البرتغال ، التى كانت منافسة لأسبانيا فى ذلـك الوقت والتى وجهت جهودها الكشفية إلى الشرق بهدف الوصـول إلى أسواق توابل شرق آسيا ، فاتخذت حملاتها الكشـفية طريقهـا صوب الجنوب وصولا إلى الهند .



التوسع البرتغالي الأسباني فيما وراء البحار ١٤٥٠-١٥٥٠م

دور بريطانيا وهولندا الكشفي

بعد تتبعنا لجهود أسبانيا الكشفية فى كل مكان من أمريكا الشمالية والوسطى وأمريكا الجنوبية والمحيط الهادى ، وما نتج عن ذلك من نتائج إيجابية بالنسبة لأسبانيا، ونشير هنا إلى منافسة بعض الدول الأوربية لأسبانيا فى مجال الكشف الجغرافى فيما وراء البحار .

بريطانيا :

قررت بريطانيا ألا تترك أسبانيا تصول وتجول فى المناطق الجديدة ، ففى عام ١٥٢٧م ، قام سبستيان كابوت Sebastian Cabot على رأس بعثة كشفية إكتشف أثناءها نهر البراجواى The Paragua River ، وسار فى عكس اتجاه المياه ليكتشف حوض هذا النهر ، واستمر سبستيان فى مسيره حتى وصل إلى مصب نهرى البرميجو the Bermego River والبارانا the Parana R. ومن بعدهما وصل إلى شلالات الأبيب the Apipe River . وفى تلك الأثناء وجد سبستيان ثروة معدنية لدى السكان ، ولكنه لم يستطع الحصول على أى شئ منها ، لهذا إنتهت بعثته بالفشل . وإلى جانب بحث بريطانيا عن المعادن الثمينة كانت تهدف إلى الكشف عن مناطق جديدة تضمها إلى ممتلكاتها ، فضلا عن عرقلة الجهود الأسبانية ، ووقف مشروعها التوسعى ، وعرقلة خطوط مواصلاتها بل تدمير سفنها التجارية ونهبها .

وفى عام ١٥٧٨م وصل المغامر البريطانى فرانسيس دريك Francis Drake إلى مياه المحيط الهادى . فمن الجدير ذكره أن الجغرافى هاكلوت أشار فى مذكراته Notes Hakluyt's المعنونة بـ "Hakluyts principal Navigation" إلى قول فرانسيس دريك " أنه فى اليوم السابع من شهر سبتمبر أعاقتنا عاصفة شديدة من الدخول إلى بحر الجنوب the South Sea ، وكنا بعيدين عن مضيق ماجلان،

الواقع نحو الجنوب ، ويضيف دريك بأنه مر من الخليج الذى أسماه معاناة الأصدقاء " بعد ذلك إندفع دريك فى الإتجاه الجنوبى من المضيق بحيث وصل إلى خط عرض ٥٧° . ومن هناك تتبع المسير حتى وصل إلى المرسى الواقع بين الجزر الجنوبية .

وحاول أفراد بعثة دريك الوصول إلى ما وراء رأس الهورن Cape Horn ، وبذلك يكون دريك قد حقق معرفة جغرافية دقيقة ، عن مجموعة صغيرة من الجزر الواقعة إلى الجنوب من القارة الجديدة . وتوضح الخريطة المرسومة باليد والموجودة فى المتحف البريطانى بأن القارة الجنوبية تتكون من جزر قليلة وتحمل إسم أسطورى هو ترو أوستراليس Terro Australis .

ونظرا للأعمال الجريئة التى قام بها فرانسيس دريك نجد أن أحد الهولنديين يقوم عام ١٥٨٦م برسم لوحة تذكارية plaque لتكريم فرانسيس دريك على أعماله فى مجال المغامرة ، وأيضا فى مجال الكشف الجغرافى . وكان دريك قد إدعى بأنه عرف معظم الأراضى الجنوبية فى العالم ، فقد ذكر أنه وصل إلى الساحل الغربى من أمريكا الجنوبية أى عند خط عرض ٤٣° ، الذى لم يصل إليه أسبانى واحد من قبل ، وهناك إكتشف دريك خليجا رائعا وجيدا ، لكنه لم يذكر إسمه لعدم معرفته به .

وفى عام ١٥٧٨م هدد فرانسيس دريك القوة الأسبانية الموجودة فى المحيط الهادى ، وذلك عن طريق شمال وجنوب المحيط الأطلسى ، ورغم ماقام به دريك من أعمال كشفية ، إلا أن أعماله لم تكن على جانب من الأهمية ، لأن المناطق التى سار فيها كانت معروفة من قبل . وفى الفترة ، ما بين ١٥٨٦وحتى ١٥٨٨م قام المغامر الإنجليزى توماس كافندس Thomas Cavendis بعمل مشابه لعمل دريك خاصة فى مجال المغامرة والكشف . وفى عام ١٥٩٥م . قام المغامر البريطانى رالى Raleigh على رأس بعثة كشفية إلى أمريكا الجنوبية ، ولكنه فشل فى مهمته التى كانت تتمثل فى الكشف عن الدرادو " مدينة الذهب الخرافية "

ومن الملاحظ أن بريطانيا لم يكن فـــى مقـــدورها منافســـة أسبانيا فى مجال الكشوف الجغرافية فى ذلك الوقت ، فلم نـــر لهـــا مغامرين فى نفس الفترة ، إلا كل من سبستيان كابوت ، وفرانسيس دريك ، ورالى وتوماس كافندى ، ويرجع ذلك فيما يبـــدو إلـــى أن بريطانيا لم تكن بالقوة التى كانت عليها أسبانيا فى ذلك الوقت .

هولنـــدا

دخلت هولندا المنافسة فى مجال الكشوف الجغرافيـــة إلـــى جانب كل من أسبانيا وبريطانيا ، فقد كان للأسطول الهولندى نشاطا ملموسا فى المحيط الهادى فـــى الســـنوات الأخيـــرة مـــن القـــرن الـــ١٦م.فمن المعروف أن الهولنديين كـــانوا قـــد حصـــلوا علـــى إستقلالهم من الأسبان عام ١٥٩٨م ، وفى نفس العام أرسلت هولندا أسطولا إلى المحيط الهادى مكونا من خمس سفن تحت قيادة جيمس ما هيو James Mahu ، فقد خرج هذا الأسطول من ميناء روتردام ، وسار فى المحيط الأطلسى حتى وصل إلى مضيق ماجلان . بعـــد ذلك تشتت سفن هذا الأسطول بسبب العواصف الرعديـــة ، وقـــد وصلت إحدى هذه السفن بعد التشتت إلى جـــزر الفوكلانـــد التـــى إكتشفها جون دافيس البريطانى John Davis عام ١٥٩٢م .

واصل الهولنديون جهودهم الكشفية بعد ذلك ، ففى نفس تلك الفترة خرجت بعثة كشفية هولندية إلى خـــط العـــرض الجنـــوبى العالى، ومن المحتمل أن تكون هذه البعثة قد شاهدت جزر الشتلاند الجنوبية the South Shetland Islands ، ومن بعـــدها عبـــرت بعثـــة هولندية أخرى المحيط الهادى بنجاح ، ووصلت إلى اليابان ، ولكن مد البحر عرقل مرشدها المدعو وليام آدامز Wiliam Adams ، الذى أصبح مألوفا لدى اليابانيين ، والذى عاش بينهم حتى موتـــه عـــام ١٦٢١م . وفى عام ١٥٩٨م ، أرسلت هولندا بعثة كشـــفية أخـــرى تحت قيادة فان نورث Van North ،وكانت هذه البعثة مكونـــة مـــن أربع سفن ، وبعد أن تم إعداد البعثة أبحر فان نورث مـــدة أربـــع

سنوات حول العالم ، وفى أغسطس * من عام ١٦٠١م عاد فان نورث إلى أمستردام مضيفا بذلك النذر اليسير إلى المعرفة الجغرافية . وكانت هذه البعثة تمثل علامة من علامات بداية السيادة الهولندية ، وانهيار النفوذ الأسبانى فى المحيط الهادى(١) .

* تعريف بالشهور العربية ومقابلتها بالشهور الأفرنجية : يناير = كانون ثان ، فبراير = شباط ، مارس = أذار ، أبريل = نيسان ، مايو = أيار ، يونيو = حزيران ، يوليو = تموز ، أغسطس = آب ، سبتمبر = أيلول ، أكتوبر = تشرين أول ، نوفمبر = تشرين ثان ، ديسمبر = كانون أول .

Baker B Ibid pp.104-114.

الخاتمة الثانية

بعد هذا العرض يمكن القول بأن حركة الكشوف الجغرافية البرتغالية والأسبانية والبريطانية والهولندية ، كانت على جانب كبير من الأهمية ، فقد تمكنت هذه الدول من المساهمة فى كشف معظم المحيطات ، وبعض الأجزاء من قارات العالم القديم فى هذه الفترة ، حيث ظل هذا العالم مجهولا طوال تاريخه القديم والوسيط. وكان من نتائج تلك الكشوف الجغرافية معرفة طرق مائية جديدة ساهمت فى نمو التجارة العالمية بل ساهمت فى بناء السفن وتطويرها ، كما كان منها الوقوف على الأنظمة السياسية لتلك الأقطار التى وصل إليها الأوروبيون ، وكذلك الوقوف على الثروات المعدنية والزراعية والحيوانية التى تنتجها تلك الأقطار .

وكان من نتائج هذه الحركة الكشفية الدولية نشوب التنافس بين تلك الدول الذى أدى بالتالى إلى صراعات دموية . وقد نجم عن حركة الكشوف الجغرافية هذه تأسيس الإمبراطوريات الإستعمارية البغيضة ، التى قامت أساسا على الإستغلال واستعباد الشعوب المستعمرة ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل شمل إستغلال الموارد الإقتصادية المختلفة ، وتحويل هذه الأقطار إلى أسواق إستهلاكية. وفرضت تلك الدول القوية الإستعمارية التخلف على سكان تلك الشعوب ، بحيث لم تقدم لهم أية وسيلة من وسائل التطور المعاصر . فالشعوب المتخلفة التى لم تعرف واجباتها نحو التقدم والتحضر يمكن قيادتها بيسر وسهولة ، ويمكن القول بأن فترة الإستعمار التى سادت أرجاء العالم المتخلف كانت بكل تأكيد نكبة ألمت بتلك الشعوب المقهورة داخليا وخارجيا .

ومن الملاحظ أن تلك الحكومات الأوروبية لم تقم بأى دور رسمى فى نشر المسيحية بين سكان الأقطار التى تم كشفها ، ولكن إذا كان هناك نشر للمسيحية بين سكان بعض الأقطار فى آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية ، فإن ذلك يعود إلى الجهود غير الرسمية

التى قام بها أشخاص غير رسميين ، وهذا ما عرف بالجهود غير الرسمية التى قامت بها الكنائس العالمية ، وبعض المبشرين الهامين مثل هنرى موفات وديفيد ليفنجستون فى أفريقيا .

وفى الختام يمكن القول بأن التاريخ يكرر نفسه ، فما هو حادث الآن فى الشرق الأوسط هو خير دليل على ذلك ، فأمريكا لم تأت إلى الشرق الأوسط من أجل نشر المسيحية ، ولكن جاءت من أجل السيطرة والهيمنة على الموارد الإقتصادية للبلدان العربية . فنلاحظ أن أمريكا لم تقم ببناء كنيسة فى العراق أو فى أية دولة من دويلات الخليج لأن هذا ليس من أهدافها . فهذا العصر هو عصر التكنولوجيا والتقدم العلمى ، فالهدف الفعلى والحقيقى لأمريكا فى الشرق الأوسط يكمن فى بسط الهيمنة العسكرية والسياسية على العراق ودويلات الخليج وتحويلها إلى قواعد عسكرية ومحطات تموين لسفنها وطائرات أساطيلها ، فضلا عن سيطرتها على ثروات العراق البترولية وغير البترولية ، وكذا فرض الهيمنة على دويلات الخليج واستغلال بترول تلك الدويلات وتحديد أسعاره خدمة للمواطن فى كل من أمريكا وأوربا على حساب الشعوب المقهورة فى العراق ، ودويلات الخليج .

ومن الواضح أن السياسة التى تتبعها أمريكا فى الشرق الأوسط هى سياسة فرض التخلف على شعوب المنطقة حتى تظل تلك الشعوب عاجزة عن التقدم ومسايرة بقية دول العالم المتحضر . فالشعوب المتخلفة المتحجرة من السهل قيادتها وتوجيهها بخلاف الشعوب المتحضرة المثقفة المالكة لوسائل التقدم والتحضر .فمن المعروف أن منطقة الشرق الأوسط هى منطقة تتوسط العالم ، فالقوة التى تهيمن عليها تصبح لها القدرة على التحكم فى طرق الملاحة العالمية والجوية والبحرية .

وعلاوة على كل ذلك فإن أمريكا تحاول بكل جهد جعل دويلات الخليج والسعودية خاصة ، والبلدان العربية والإسلامية

الأخرى بعامة أسواقا إستهلاكية ذات قيمة عالية بالنسبة للمنتجات الأمريكية خاصة والأوربية عامة . فمن المعروف أن دويلات الخليج ومعها السعودية تستورد الغتر والعقال والجلباب والثوب الداخلى والمسبحة والمصلى وخلافه . فدول شبه الجزيرة العربية تنعدم فيها الصناعة تماما فهى تستورد كل شئ وأى شئ . فكيف لا تحرص أمريكا على إحتلال منطقة كمنطقة الشرق الأوسط ، خاصة وأن دول تلك المنطقة بتفككها الحالى لا تستطيع مواجهة أمريكا ولا إسرائيل ، لكن لو اتحدت هذه الدويلات العربية البترولية الصغيرة ومعها السعودية مع الدول العربية الكبيرة ، لاستطاع العرب فى هذه الحالة مواجهة التحديات الخارجية ، وحتى يحسب لها ألف حساب ، ولمثلت قوة عصرية كبيرة . ومن المعروف أن دويلات الخليج العربى ومعها السعودية تقف حجر عثرة أمام قيام أى إتحاد عربى ، والسبب فى ذلك يعود إلى الإختلاف الشاسع فى مستوى معيشة الفرد ، فالشخص العربى فى دويلات الخليج العربى مستوى معيشته أفضل من مستوى معيشة الإنسان العربى فى الدول العربية الكبيرة ، ولهذا السبب نجدها ترحب بالتواجد الأمريكى على أرضها من أجل حمايتها والحفاظ على ما تبقى لها من الثروات البترولية .

وكان على الدول العربية جميعها أن تقتدى بدول الإتحاد الأوروبى الذى فتح أبوابه أمام دول أوروبا الشرقية الفقيرة ، فنظرة الأوروبيين إلى الإتحاد نظرة عميقة ومتفحصة بخلاف نظرة العرب السطحية . ففى القريب العاجل ستصبح أوروبا أكبر قوة إقتصادية وعسكرية تنافس أمريكا وغيرها من القوى المعاصرة الناشئة .

ومن الجدير ذكره أن أمريكا ومعها دول الإتحاد الاوروبى تريد تقسيم الشرق الأوسط إلى دويلات صغيرة بحيث لا تستطيع حماية مصالحها أو الدفاع عن نفسها ، وفى ذات الوقت تحاول تلك الدول الأوروبية ، ومعها " أمريكا" جعل دولة إسرائيل دولة عظمى تمتلك أسلحة الدمار الشامل حتى تصبح هذه الدويلة هى المهيمنة بل

المسيطرة على كل منطقة الشرق الأوسط . ومن المعروف أن أمريكا ودول أوروبا تحاول تكرار تاريخ القرن التاسع عشر ، بحيث تقوم تلك الدول باحتلال منطقة الشرق الأوسط ، وتقسيمها فيما بينها ، وتستند فى ذلك على أن أمريكا دولة متقدمة ، ومعها أوروبا، وتريد أن تنشر الديمقراطية بين شعوب تلك المنطقة وهذا وهم لا أساس له من الصحة .

ومن الملاحظ أن هذه الدول الأوروبية ومعها أمريكا وقفت على حجم الباقى من مواردها الطبيعية فى بلادها ، إذن لابد لهذه الدول من الحصول على ما تحتاج إليه من هذه الموارد الأولية من تلك الدول الفقيرة المتخلفة المقهورة ، وتستخدم هذه الدول المتحضرة كافة الوسائل التى تمكنها من تحقيق أطماعها البغيضة ، ومن ناحية أخرى نلاحظ أن هذه الدول المتحضرة المتقدمة يزيد إنتاجها الصناعى سنة بعد أخرى ، ويتطلب ذلك إيجاد أسواق جديدة لتصريف هذا المنتج ، ولا يتثنى ذلك إلا بفتح أسواق فى هذه البلدان المتخلفة ، وذلك باستخدام القوة العسكرية ، وهذا ماحدث فى الماضى ، ولا يستبعد أن يستخدم فى الوقت الحالى .

ومن الملاحظ أيضا أن عدد السكان فى هذه البلدان فى تزايد مستمر بسبب التقدم الصحى الكبير لدى هذه الدول ، لذلك يتحتم عليها البحث عن أماكن جديدة لتصريف هذه الزيادة السكانية . عندئذ يتطلب ذلك وجود مستعمرات لاستيعاب هذه الأعداد الزائدة عن حاجة الدول الأوروبية وأمريكا ، وتقوم هذه الدول بتسهيل تسفيرهم إلى هذه المستعمرات الجديدة التى ستكون قد استولت عليها لممارسة نشاطهم الإقتصادى فى هذه البلدان المتخلفة ، وتحويلها إلى ضياع كما كان الحال فى ظل العصور الوسطى ، وتحويل أبناء هذه المستعمرات إلى عبيد ، وهذا ما نخشاه .

هذا ممكن حدوثه فى هذا الوقت لأن البلدان العربية أصبحت ضعيفة وفقيرة ومتخلفة ومفككة ، وتفتقد إلى زعامة قوية تقودها ،

ومن المعروف أن هذه الشعوب تحكمها أنظمة إستبدادية منذ ربـــع قرن ويزيد ، ولا يهم هذه الأنظمة النهــوض بشــعوبهم ومســايرة العصرية بل تركت هذه الأنظمة شعوبها تغرق فى التخلف والفقــر والمرض . ومن المعروف أن هذه الأنظمة لا يعنيها نهضة شعوبها ولا تقدمها. فهذا هو حال الشعوب العربية المقهورة فــى عصــرنا المعاصر .

وإضافة إلى ذلك فإن هذه الدول الأوروبية ومعها "أمريكــا " ترفض أن يكون فى الشرق الأوسط دولة قوية تمتلك سلاح الــردع لحماية شعبها ومصالحها . وخير دليل على ذلك محاصرة إيــران لكونها بدأت تفكر مجرد التفكير فى إقامة مفاعل نووى للإســتخدام السلمى ، فقامت قائمة هذه الدول الإستعمارية بمحاصــرة إيــران وتأليب الأمم المتحدة ضدها ، وكذلك دول العالم أجمع وكمــا لــو كانت إيران ستدمر العالم كله بالسلاح النووى . ولكن الحقيقة تكمن فى أن هذه الدول تنزعج من إمتلاك أية دولة شرق أوسطية عربية كانت أم إسلامية ، لأى نوع من أنواع السلاح، خشــية أن يمثــل إمتلاك هذه الدولة لهذا النوع مــن الســلاح خطــراً إســتراتيجيا وعسكرياً يهدد مستقبل أمريكا وإسرائيل فى الشرق الأوسط .

ونقول لجميع المسئولين فى الشرق الأوسط أن يضعوا فــى إعتبارهم هذه الحيل الأوروبية الماكرة ، وعليهم أن يفهموا إن كانوا يرغبون فى الفهم أن الصورة أصبحت جلية وواضحة ، والمخطط أصبح واضحا أيضا ، فعلى حكام الشرق الأوسط ان يستيقظوا من ثباتهم ، ولا يأمنوا لهذه الدول حيلهم الماكرة ، فخططها أصــبحت واضحة ومعروفة للجميع . وفق الله حكام الشرق الأوسط لما فيــه خير بلدانهم .

المصـــادر العـــربية والأجنبيـــة

المصادر العربية :

١- **د. أحمد شلبي** : موسوعة التاريخ الإسلامي (الحضارة الإسلامية) ج ٦ ، القاهرة ، ١٩٨٣ م .

٢- **د. جوزفين كام** : المستكشفون فى أفريقيا ، ترجمة د . السيد يوسف نصر ،القاهرة ١٩٩٠م .

٣- **د. سعيد عبد الفتاح عاشور** : أوروبا العصور الوسطى ، التاريخ السياسى ، ج ١ ، القاهرة ١٩٨٣ .

٤- **د. سعيد عبد الفتاح عاشور** : أوروبا العصور الوسطى (النهضات ، والحضارة ، والنظم) ، القاهرة ١٩٨٠ .

٥- **صمويل اليوت موريسون** : كريستوفر كولمبس، ترجمة فوزى قبلاوى، بيروت عام ١٩٥٩م .

٦- **د. عبد العزيز الشناوى** : أوروبا فى مطلع العصور الحديثة ج١ الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٠م .

٧- **فيج . دى . جى** : تاريخ غرب أفريقيا ترجمة د. السيد يوسف نصر بدون تاريخ .

٨- **د. محمد فؤاد شكرى** : محاضرات فى تاريخ أوروبا الحديث من عصر النهضة وحتى الثورة الفرنسية . بدون تاريخ .


٩- **لافينا دبلر، وويليام برون** : الحكام العظام فى أفريقيا ترجمة د. السيد يوسف نصر ، القاهرة ، ١٩٩٠م .


The foreign references:

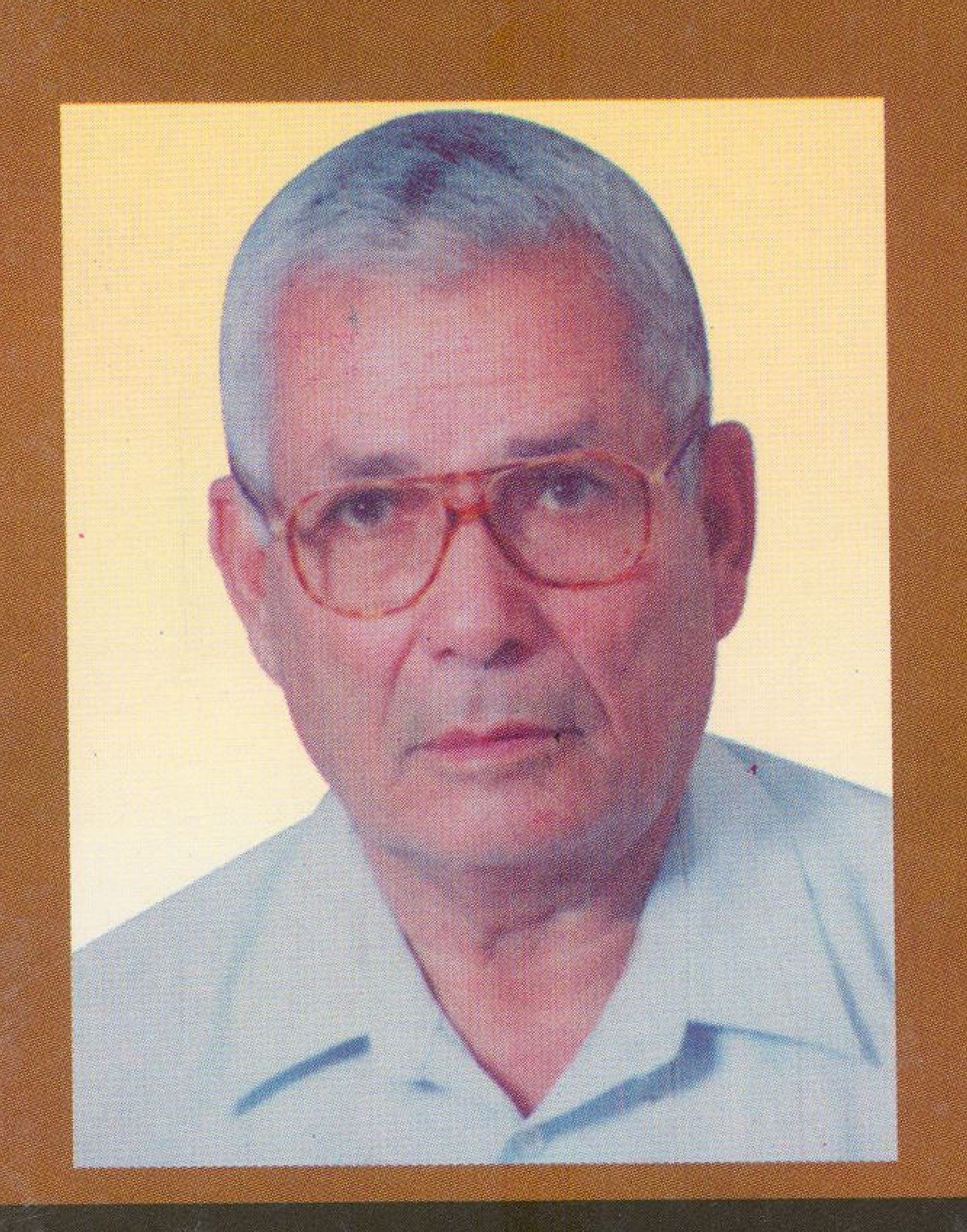
1- Baker B. : Ahistory of Geographical discovery and explorations, New York, 1967.
2- British seamen,in the sixteenth century,without date.
3- Doubleday and company Inc.: Exploring Africa and Asia the Encyclopedia of discovery and exploration.Garden city, New York. 1975.
4- Esmond wright: the Medieval and Renaissance world , Ahistory of civilization from the dark Ages to the Renaissance, New York. 1979 .
5- Emily Davie and others: profile of America . U. S. A. 1954.
6- Eugenec. Baker and others : the building of our nation , New York, 1948.
7- George shattel: Decision in United States history, Lexigton, 1975 .
8- George Fadlo Haurani, Arab sea faring in the Indian Ocean in ancient and early medieval times , New York , 1975.
9- George Guest: the marsh of civilization, London, 1977.
10- Frank Mcquilkin : think black, the bruce, publishing company, New York,1970.
11- Herman Bondi: Towards New frontiers, London,1969.
12- James Henry and others: history of Europe ancient and medieval, New York,1929.
13- John glubb pasha: the Middle East Crisis, great Britain, 1969.
14- Jonhan L.Goldman and Andrew sparks, webster's new world student, dictionary Macmillan, U. S. A. New York .1997.
15- Stella Davies: exploring the world, London, 1968.
16- Mahajan. V.D: India, since, 1526. without date.
17- Norman . A.Graebner, Gilbert.C. fite and Philip.L.white.: Ahistory of the American people, U.S.A. 1975 .
18 – The medieval and Renaissance world , London , 1979 .
19 – The New Oxford Encyclopedia Dictionary, Bay books in association with oxford press part 2 . without date .
20 – Wallace W . A . Wood : the growth of nations , U . S . A , 1944 .

فهرس الكتاب

الموضوع	رقم الصفحة


دار الفتح للتجليد الفني
الإسكندرية - القاهرة





دكتور / السيد يوسف نصر

- ليسانس آداب من قسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة القاهرة.
- ماجستير فى الآداب من قسم التاريخ « تاريخ حديث ومعاصر» من معهد البحوث والدراسات الإفريقية - جامعة القاهرة.
- دكتوراه فى الآداب من قسم التاريخ « تاريخ حديث ومعاصر» كلية الآداب - جامعة المنيا.
- مدرس بقسم التاريخ « لمادة التاريخ الحديث والمعاصر» كلية الآداب - جامعة أسيوط - فرع سوهاج.
- عمل أستاذاً مساعداً بقسم التاريخ لتدريس مادة التاريخ الحديث والمعاصر - بكلية الآداب - جامعة القاهرة - فرع الخرطوم بالسودان.
- عمل أستاذاً مساعداً بكلية العلوم العربية والإجتماعية - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالسعودية.
- له عدد من المؤلفات والتراجم على النحو التالى:

١- جهود مصر الكشفية فى أفريقيا فى القرن ١٩م.

٢- مستعمرة كارولينا.

٣- كشف العالم الجديد.

٤- الدور الحضارى للجيش المصرى فى آسيا وأفريقيا.

٥- الوجود المصرى فى أفريقيا فى الفترة ما بين: ١٨٢٠م - ١٨٩٩م.

٦- الكشوف البرتغالية والأسبانية حول العالم بين الأستعمار والإستغلال.

٧- الحكام العظام فى أفريقيا.

٨- البحارة البريطانيون فى القرن ١٦م.

٩- أزمة الشرق الأوسط.

١٠- مكتشفو أفريقيا.

١١- تاريخ غرب أفريقيا.

١٢- الوثائق التاريخية لسياسة مصر الأفريقية.

- مقالة بعنوان: الخرطوم تحت الحكم المصرى.
- ومقالة بعنوان: Historical and natural factors which affected the african man
- أشرف على عدد من رسائل الماجستير والدكتوراه.

